إرادة المعنى
أسس وتطبيقات العلاج بالمعنى

Twitter: @abdullah_1395
28.6.2014

تأليف : فيكتور ايميل فرانكل
ترجمه
الدكتورة/إيمان فوزى
تربية عين شمس

ketab.me
Best Books

الناشر
دار زهراء الشرق
١١٦ شارع محمد فريد القاهرة
ت : ٣٩٢٩١٩٢

إرادة المعنى
أسس وتطبيقات العلاج بالمعنى

تأليف : فيكتور ايميل فرانكل

إعداد الدكتورة إيمان فوزى

تربية عين شمس

الناشر

دار زهراء الشرق

١١٦ شارع محمد فريد القاهرة

Twitter: @abdullah_1395

المؤلف : فيكتور ايميل فرانكل

Twitter: @abdullah_1395

Twitter: @abdullah_1395

تقديم :

هذا الكتاب هو نتاج سلسلة من المحاضرات دعيت لالقائها عام ١٩٦٦ خلال البرنامج الدراسى الصيفى لقسم الدراسات اللاهوتية بجامعة ميثوديست الجنوبية بمدينة دالاس ، ولاية تكساس . وكنت قد كلفت حينئذ بمهمة خاصة تتعلق بتوضيح النسق الذى يميز العلاج بالمعنى Logotherapy .

لقد أشار مؤلفون عديدون إلى أن العلاج بالمعنى ـ على العكس من مدارس الطب النفسى الوجودى الأخرى ـ قد طور فنيات علاجية ملائمة ، إلا أن قدراً ضئيلاً من الانتباه قد توجه إلى الحقيقة التى مؤداها أن العلاج بالمعنى هو أيضاً آخر العلاجات النفسية التى تبلورت فى نسق نظرى محدد* .

وفيما يتعلق « بأسس » هذا النسق ، فإن فصول هذا الكتاب تعطى صورة مبدئية للإفتراضات والمعتقدات الرئيسية المتضمنة فى العلاج بالمعنى . فهى تشكل سلسلة مترابطة الحلقات .حيث أن العلاج بالمعنى يقوم على المفاهيم الثلاث الآتية :

١ ـ حرية الارادة . ٢ ـ ارادة المعنى .

٣ ـ معنى الحياة .

ـ أما حرية الإرادة فتتضمن موضوع الحتمية فى مقابل الحتمية الشاملة Determinism versus Pan - determinism .

---

* جوان باتيستاتوريللو قدم هذه الملاحظة فى مقدمة ترجمته الإيطالية لكتاب « الإنسان يبحث عن المعنى » .

Twitter: @abdullah_1395

ـ وأما إرادة المعنى فتناقش فى إطار تميزها عن مفاهيم إرادة القوة أو إرادة اللذة كما هما معروفان لدى أصحاب علم النفس الآدلرى والفرويدى (مع احترامى لهما) . وعلى وجه الدقة ، فإن مصطلح إرادة القوة قد ابتدعه نيتشه وليس آدلر ، كما أن مصطلح إرادة اللذة الذى يعنى مبدأ اللذة الفرويدى قد ابتدعته أنا وليس فرويد . بالإضافة إلى ذلك ، فإن مبدأ اللذة يجب رؤيته فى ضوء مفهوم أكثر اتساعًا هو مبدأ الهوميوستازس [٢] وخلال عرضنا النقدى لكلا المفهومين سوف نصيغ نظرية الدافعية الخاصة بالعلاج بالمعنى .

ـ أما معنى الحياة فيرتبط بموضوع النسبية فى مقابل الذاتية
. Relativism versus Subjectivism

ولتطبيقات العلاج بالمعنى التى تتم مناقشتها فى هذا الكتاب ثلاثة جوانب أيضاً . أولها ، أن العلاج بالمعنى قابل للإستخدام كعلاج للأعصبة المعنوية . والثانى هو أنه علاج للأعصبة نفسية المنشأ ، أى الأعصبة بمعناها التقليدى . أما الثالث فهو أن العلاج بالمعنى يستخدم كعلاج للأعصبة جسمية المنشأ أو الأمراض جسمية المنشأ بصفة عامة ـ وكما نرى فإن كل الأبعاد الخاصة بالكينونة الإنسانية متضمنه فى هذه السلسلة .

ويتناول الفصل التمهيدى من هذا الكتاب مقارنة العلاج بالمعنى بمدراس العلاج النفسى الأخرى ، وعلى وجه الخصوص بالتطبيقات الوجودية فى ميدان العلاج النفسى . أما الفصل الأخير فيعرض مناظرة جدلية بين العلاج

---

(٢) يخدم مبدأ الواقع نفس غرض مبدأ اللذة ، فى حين أن الأخير يخدم أيضاً أغراض الهوميوستازس . لهذا فإنه لا حاجة بنا لتضمينه باستفاضة فى نظريتنا .

Twitter: @abdullah_1395

بالمعنى وعلم اللاهوت .

لقد حاولت أن أضمن هذا الكتاب آخر تطورات العلاج بالمعنى واضعاً في الإعتبار كل من صياغة المعتقدات الفردية والمادة المستخدمة فى التوضيح . وعلى أى حال ، فإن محاولة تقديم صورة شاملة لكل النسق العلاجى تجبرنى على تناول بعض من المادة التى سبق أن عرضتها فى كتب سابقة [٣] .

أما ما أطلقت عليه مصطلح « الفراغ الوجودى » فإنه يشكل تحدياً للطب النفسى اليوم . فهناك أعداد متزايدة من المرضى يشكون مشاعر الفراغ واللامعنى ، تلك المشاعر تشتق ـ فيما أرى ـ من حقيقتين . فعلى نحو مغاير للحيوان ، لا تملى الغرائز على الإنسان ما يجب عليه أن يفعله . وعلى نحو مغاير لما كان عليه الإنسان فى الماضى ، لم تعد التقاليد تفرض عليه ما ينبغى أن يفعله . وفى بعض الأحيان لا يعرف الإنسان حتى ما الذى يرغب أن يفعله بدلاً من ذلك ، فإنه إما أن يرغب فى أن يفعل ما يفعله الآخرون (التواؤمية Conformism) ، أو أنه يفعل ما يرغب الآخرون منه أن يفعله (الديكتاتورية Totalitarianism) .

وأتمنى أن أنجح فى أن أنقل للقارئ إقتناعى بأنه رغم انهيار التقاليد ، فإن الحياة تحتفظ بمعنى لكل فرد . بل وأكثر من ذلك ، فإنها تحتفظ له بهذا المعنى حتى آخر لحظة فى حياته . ويستطيع الطبيب النفسى أن يجعل المريض

---

(٣) انظر مؤلفات فرانكل Man's Search For Meaning 1962, The Dector & The Soul 1965 .,
Psychotherapy & Existentialism 1967 .

Twitter: @abdullah_1395

يرى أن الحياة لا تتوقف أبداً عن الاحتفاظ بمعنى . وإذا تحرينا الدقة ، فإنه لا يستطيع أن يجعل المريض يرى ما هو هذا المعنى ، ولكن يمكنه أن يجعل المريض يعرف أن هناك معنى ، وأن الحياة تحتفظ دائماً بهذا المعنى : أى أنها تظل ذات معنى تحت أى ظرف من الظروف . وكما يعلمنا العلاج بالمعنى ، فإنه حتى الجوانب المأساوية والسلبية من الحياة ـ كالمعاناة التى لا يمكن تجنبها ـ يمكن تحويلها إلى انجاز إنسانى من خلال الإتجاه الذى يتبناه الإنسان تجاه محنته . وعلى عكس معظم المدارس الوجودية ، فإن العلاج بالمعنى ليس تشاؤمياً على الإطلاق ، وإنما هو علاج واقعى فى مواجهة الثالوث المأساوى للوجود الإنسانى : الألم ، والموت ،والإثم . بل أن الأفضل هو اعتبار العلاج بالمعنى علاجاً تفاؤلياً لأنه يجعل المريض يرى كيف يمكنه أن يحول الشعور باليأس إلى إحساس بالإنتصار .

ان فى عصرنا هذا الذى بدأت التقاليد فيه فى التهاوى ، يجب على الطب النفسى أن يضع نصب عينيه المهمة الأساسية التى يزود بها الإنسان بالقدرة على إيجاد المعنى . ففى عصر فقدت فيه الوصايا العشر ما كان لها من مصداقية غير مشروطة بالنسبة لكثير من الناس ، يجب أن يتعلم الإنسان الإصغاء إلى آلاف الوصايا المتضمنة فى آلاف المواقف التى تتكون منها حياته . وفى هذا الصدد أتمنى أن يجد القارئ فى العلاج بالمعنى ما يجيب على متطلبات الوقت الحاضر .

ڤيكتور ايميل فرانكل

ڤيينا ـ النمسا

Twitter: @abdullah_1395

تقديم الترجمة

مؤلف هذا الكتاب هو ڤيكتور إميل فرانكل (١٩٠٥ ـ ١٩٩٧) طبيب الأعصاب النمساوى الذى نشأ نشأة مشابهة لنشأة فرويد فى نفس المدينة «ڤيينا» ، وبرغم أن تاريخ ميلاد فرانكل يعقب تاريخ ميلاد فرويد بما يقرب من نصف قرن ، إلا أن دراسة الطب ـ التى انخرط فيها كلاهما ـ كانت من الفرص القليلة المتاحة أمام طلاب العلم اليهود فى النمسا فى ذلك الوقت . وقد اختار فرانكل ـ أيضاً ـ أن يتخصص فى طب الأعصاب والطب النفسى .

والطريف ، أنه قدر لفرانكل أن يصبح زعيماً لثالث مدرسة نمساوية فى العلاج النفسى بعد مدرستى سيجموند فرويد والفريد آدلر .

إلا أن مدرسة ڤيكتور فرانكل قامت على أساس من انتقاداته التى وجهها لكل من التحليل النفسى الفرويدى وعلم النفس الآدلرى ، خاصة تلك الانتقادات الموجهة إلى نظريتى الدافعية لدى كل منهما . حيث يرى فرانكل أن مبدأ اللذة الفرويدى ، ودافع المكانة الآدلرى غير كافيين لتفسير سلوك الإنسان . وفى هذا الصدد يقرر فرانكل أنه وضع ما أسماه بمبدأ « إرادة المعنى » The Will to Meaning ليعارض به كلا من مبدأ اللذة الذى يحكم نظرية الدافعية فى التحليل النفسى وإرادة القوة The Will to Power كمبدأ رئيسى فى علم النفس الآدلرى . فالسعى إلى تحقيق اللذة أو الوصول إلى المكانة المهيئة للحصول على القوة والنفوذ لا يمكن أن يفسر كل صور النشاط الإنسانى ، فى حين أن معنى الحياة لدى كل إنسان هو الذى يمكن أن يجعل من السعى الدؤوب وتحمل المعاناة شيئاً يرفع من قيمة الحياة ويجعلها تستحق أن تعاش . بل أن الإنسان الذى يكتشف لحياته معنى وهدفا ، هو الإنسان الذى يستطيع أن يتحمل ندرة اللذة ، والإفتقار إلى المكانة والنفوذ دون

Twitter: @abdullah_1395

أن ينتقص هذا من سعادته أو من صحته النفسية . فالمسعى الرئيسى للإنسان هو تحقيق المعنى فى الحياة لا تعقب اللذة أو تعاظم السطوة .

وقد مر ڤيكتور فرانكل بخبرة إنسانية نادرة أثناء فترة الحرب العالمية الثانية . حيث تم إعتقاله فى عام ١٩٤٢ وظل رهن الإعتقال حتى عام ١٩٤٥ متنقلاً بين معسكرات اعتقال نازية عديدة من ضمنها آوشڤيتز وداخاو . وعندما خرج إلى الحرية اكتشف أنه فقد كلا من أبيه وأمه وأخيه وزوجته الأولى ، حيث قتلوا جميعاً فى غرف الغاز .

إلا أن هذه الخبرة الرهيبة كان لها أبعد الأثر فى نضج فكر فرانكل واكتمال تصور أهمية معنى الحياة لديه . فمع معايشته للموت فى كل لحظة من لحظات الاعتقال ، ومع غلبة اليأس وقسوة المعاناة احتفظ فرانكل ببعض القصاصات التى تحوى أفكاره عن أهمية المعنى فى الحياة الإنسانية ، وعن كيفية توظيف هذا المعنى لخدمة الصحة النفسية . وهكذا ، احتفظ فرانكل مع تلك القصاصات بالهدف الذى من أجله تشبث بالخيوط الضعيفة الباقية للأمل فى البقاء حياً والنجاة من هذه المحنة . لقد كان احتفاظه برسالة إلى البشرية تحمل بعض الأمل فى حياة أفضل هو المعنى الذى اكتشف أن حياته ارتبطت به إلى الأبد ، هذا المعنى هو الذى جعل من مواجهة الموت والصمود أمام أقسى الظروف شيئاً ممكناً .

صحيح أن فرانكل انساق فى معظم أعماله للترويج لبعض الأفكار التى حاول اليهود فرضها على العالم من قبيل أنهم أمة مختارة ومميزة ، ومن أنهم ضحايا للعالم عموماً وللنازية على وجه الخصوص . فعلى سبيل المثال ـ لا الحصر ـ نرى فرانكل يقول فى كتابه الإنسان يبحث عن المعنى : « الإنسان هو الذى ابتدع غرف الإعدام بالغاز فى آوشڤيتز ، وبالرغم من ذلك فإنه هو

Twitter: @abdullah_1395

أيضاً ذلك الكائن الذى دخلها شامخ الأنف مرفوع القامة شاكراً ربه » . وعلى أى حال ، يجب أن نحاول افتراض سلامة النية لدى فرانكل فى ضرب العديد ـ جداً ـ من الأمثلة على المعاناة التى كان عليه وعلى غيره من المعتقلين تحملها ، وذلك لكى نحتفظ بالقيمة الحقيقية لأعماله الرائدة .

فالعلاج بالمعنى يمثل بالفعل خطوة رائعة على طريق تطور العلاج النفسى. فهى خطوة تلوح بالأمل لاستعادة الإنسان لإنسانيته التى سلبتها اتجاهات العلاج التقليدية عندما قصرت فهمها للإنسان فى ضوء وجوده البيولوجى أو الحيوانى ، أو الاجتماعى النفسى فى أفضل الظروف ـ متناسية أهم ما يميز الإنسان كإنسان : حريته ، ومسئوليته عن أفعاله ـ وما هو أهم من ذلك : تطلعه الدائم إلى تحقيق معنى يجعل حياته تستحق أن تعاش ، وذلك فيما وراء مجرد إشباع الحاجات أو فرض النفوذ .

وبرغم أن العلاج بالمعنى ينتمى إلى الاتجاه الوجودى الإنسانى فى علم النفس والعلاج النفسى ، إلا أنه يتميز عن معظم المدارس الوجودية بوجود نسق نظرى متكامل ـ وهو ما يرفضه معظم الوجوديين ـ بالإضافة إلى أن العلاج بالمعنى كان الأسبق فى تطوير فنيات خاصة به تتفق مع المفاهيم الوجودية . فالعلاج بالمعنى مدرسة علاجية وجودية تتكامل فيها النظرية مع التطبيق ، ويلعب فيها المعنى دوراً رئيسياً فى اعطاء قيمة حقيقية لحياة الإنسان .

أما تناول فرانكل لموضوع الحتمية ، ونقده لما أسماه بالحتمية الشاملة Pan - determinism ، فيعد بحق من الانجازات الكبرى فى سياق الإطار النظرى الخاص بالعلاج بالمعنى ـ وهو اتجاه عام بين الوجوديين ، إلا أن فرانكل قد قدم صياغة واضحة ومحكمة لآرائه ، فها هو يقول فى كتاب « الإنسان

Twitter: @abdullah_1395

يبحث عن المعنى » * « يوجه اللوم غالباً إلى التحليل النفسى على ما يعرف بمذهبه الجنسى الشمولى وإنى بالأصالة عن نفسى لأشك فيما إذا كان هذا اللوم مشروعاً . ومع ذلك ، ثمة شىء يبدو لى على أنه افتراض أكثر مغالطة وخطورة ، ألا وهو ما أطلق عليه مصطلح الحتمية الشمولية ، وأعنى بذلك تلك النظرة إلى الإنسان مما لا تضع فى الاعتبار مقدرته على أن يتخذ موقفاً إزاء أى ظرف مهما كان الحال . فالإنسان ليس مشروطاً أو محتوم السلوك بصورة كلية ولكنه يقرر نفسه سواء سلم تسليماً كاملاً للظروف أو اتخذ بشأن هذه الظروف موقفاً . والإنسان ، بقول آخر ، إنما يقرر لنفسه ، فهو فى الغاية والنهاية المقرر لنفسه ـ وهذا هو جوهره فالإنسان ليس ببساطة أمراً موجوداً ، ولكنه يقرر دائماً وجوده الذى سيكون عليه ، ويقرر ما الذى سوف يصير إليه فى اللحظة التالية «

لقد رحل ڤيكتور إميل فرانكل عن عالمنا منذ أيام قلائل ، ولكنه ترك للإنسانية رسالة صميمها الحرية ، وجوهرها تحمل الإنسان للمسئولية ، وبالتالى يصبح مردودها الوحيد هو الأمل فى استعادة الإنسان لإنسانيته من خلال المعنى الذى يحققه فى حياته ولنأمل أن تحقق رسالته هدفها النبيل

القاهرة فى ١٠/ ٩/ ١٩٩٧

إيمان فوزى

---

* الترجمة العربية للأستاذ الدكتور طلعت منصور ، دار القلم ، الكويت ، ١٩٨٢ ص١٧١ ، ١٧٢

Twitter: @abdullah_1395

مقدمة

موقف العلاج النفسى وموقف العلاج بالمعنى

يتسم الموقف الحالى للعلاج النفسى بارتفاع مد الطب النفسى الوجودى، أو ما يمكن اعتباره فى الواقع تطعيم للطب النفسى بالوجودية كنزعة معاصرة سائدة . ولكن عند الحديث عن الوجودية يجب أن نضع فى اعتبارنا أن هناك العديد من الإتجاهات الوجودية ، والعديد من أصحاب الإتجاهات الوجودية أيضاً. بل وأكثر من ذلك ، فإن كل صاحب اتجاه وجودى لم يشكل النموذج الفلسفى الخاص به وحسب ، وإنما استخدم المصطلحات الوجودية على نحو مغاير لاستخدام الآخرين لها . وعلى سبيل المثال ، نجد أن مصطلح الوجود existence & dasein يختلف معناه فى كتابات ياسبرز عنه فى كتابات هايدجر .

وبالرغم من ذلك فإن الأفراد الذين اسهموا بكتاباتهم فى الطب النفسى الوجودى يشتركون فى شىء ـ فى أساس مشترك . وهو تلك العبارة التى استخدمها هؤلاء الكتاب كثيراً ، والتى أساء استخدامها الكثير منهم : الكينونة ـ فى ـ العالم being - in - the - world . حيث ينشأ لدى المرء انطباع بأن هؤلاء الكتاب يعتقدون أن كثرة استخدام هذه العبارة يكفى للتدليل على كونهم وجوديين حقيقيين . ولكنى أشك فى أن هذا يشكل أساساً كافياً لكى يكون المرء وجودياً ، خاصة لأنه ـ كما يبدو لنا بوضوح ـ فى كثير من الحالات قد تم فهم تصور هايدجر عن الكينونة ـ فى ـ العالم على نحو خاطئ فى اتجاه الذاتية المحضة ـ كما لو كان العالم الذى توجد فيه الكينونة ليس إلا

Twitter: @abdullah_1395

تعبير ذاتى عن الكائن نفسه وأنا أستطيع أن انتقد هذا الفهم الخاطئ واسع الإنتشار فقط لأنه اتيحت لى الفرصة لمناقشة هذا التصور فى محادثة شخصية مع مارتن هايدجر نفسه ، ووجدت أنه يوافقنى الرأى .

ويمكننا بسهولة إدراك أسباب سوء الفهم القائم فى مجال الوجودية . حيث أن أقل ما يمكن قوله عن المصطلحات هنا هو أنها أحياناً ما تكون غامضة. فمنذ نحو ثلاثين عاماً ، كان علىّ أن ألقى محاضرة عامة عن الطب النفسى والوجودية فى ڤيينا .وقد عرضت على الحاضرين فقرتين قلت لهم أن إحداهما مقتبسة عن كتاب هايدجر والأخرى جزء من محادثة جرت بينى وبين مريض فصامى بأحد مصحات ڤيينا حيث كنت أعمل فى ذلك الوقت . ثم طلبت من الحاضرين أن يجروا تصويتاً على نسبة كل فقرة إلى صاحبها . وصدقوا ذلك أو لا تصدقوا ، فإن الغالبية العظمى قد ظنوا أن الفقرة المقتبسة عن هايدجر ليست سوى تعبيرات مريض فصامى ، والعكس بالعكس . على أى حال ، لا ينبغى أن نخرج باستنتاجات طائشة من نتيجة هذه التجربة ، فهى لا تنفى على الإطلاق عظمة هايدجر ، ودعونا نسلم بأنه عظيم بالفعل كما يعتقد الكثير من الخبراء . وإنما هى بالأحرى تنفى عن لغة الحياة اليومية القدرة على التعبير عن الأفكار والمشاعر الخبيئة ـ ولتكن أفكاراً سوية ابتدعها فيلسوف عظيم ، أو مشاعر غريبة يشعر بها فصامى . فإن ما يجمعهما هو أزمة فى التعبير ، وقد أوضحت فى كتاب آخر أن هناك شيئاً مشابهاً يصدق على الفنانين المعاصرين (انظر كتابى : العلاج النفسى والوجودية : أوراق مختارة من العلاج بالمعنى ، الفصل الخاص بالعلاج النفسى والفن والدين) .

Twitter: @abdullah_1395

أما عن الموقف المنهجى لما أطلق عليه اسم العلاج بالمعنى وهو موضوع هذا الكتاب ، فإن معظم الكتاب يتفقون على أنه يقع فى فئة الطب النفسى الوجودى . وفى الحقيقة فإننى بداية من الثلاثينات قد اعتبرت كلمة التحليل الوجودى Existenzanalyse مرادفاً لاسم العلاج بالمعنى الذى أطلقته عليه منذ العشرينيات . وفيما بعد ، عندما بدأ الكتاب الأمريكيون ينشرون كتاباتهم عن مجال العلاج بالمعنى ، استخدموا مصطلح التحليل الوجودى كترجمة للكلمة الألمانية Existenzanalyse . وللأسف ، استخدم بعض الكتاب نفس المصطلح كترجمة للكلمة الألمانية Daseinsanalyse وهو مصطلح اختاره فى الأربعينات لودفيج بينز فانجر الطبيب النفسى السويسرى العظيم لكى يشير به إلى تعاليمه الخاصة . ومنذ ذلك الحين أصبحت كلمة التحليل الوجودى كلمة غامضة تماماً . ولكى لا نضيف إلى اللبس فى هذا الصدد ، فقد قررت أن أحجم عن استخدام مصطلح التحليل الوجودى فى كتاباتى المنشورة بالانجليزية وأحياناً أتحدث عن العلاج بالمعنى حتى فى بعض السياقات التى لا تتضمن علاجاً بالمعنى الدقيق للكلمة . وبشكل ما أدعوه الخدمة الطبية ـ على سبيل المثال ـ جانباً هاماً من ممارسات العلاج بالمعنى . وإن كان يعبر على وجه الدقة عن تلك الحالات التى يستحيل فيها العلاج الفعلى لأن المريض يعانى من مرض لا شفاء منه . ومع ذلك ، فإن العلاج بالمعنى فى أوسع معانيه هو علاج حتى لتلك الحالات ـ فهو علاج لاتجاهات المريض نحو قدره الذى لا فكاك منه .

ولم يكن العلاج بالمعنى مصنفاً تحت زعامة الطب النفسى الوجودى

Twitter: @abdullah_1395

وحسب ، ولكنه أيضاً كان المدرسة العلاجية الوحيدة ـ فى هذا المجال [١] التى أعلن عن نجاحها فى تطوير ما يمكن تسميته بدقة « فنيات » technique. وعلى أى حال ، هذا لا يعنى أننا أصحاب العلاج بالمعنى نبالغ فى تقدير أهمية الفنيات . فقد أدرك المرء منذ فترة طويلة أن ما يهم فى العلاج ليس الفنيات بل بالأحرى العلاقة الإنسانية بين الطبيب والمريض ، أو هو ذلك الإلتقاء الشخصى الوجودى .

ان الاتجاه القائم على الفنيات الخالصة فى العلاج النفسى قد يكون معوقاً للفاعلية العلاجية . وقد دعيت منذ فترة لإلقاء محاضرة فى جامعة امريكية على فريق من الأطباء النفسيين كانوا قد كلفوا برعاية أفراد تم اخلاؤهم عن منطقة حدث بها إعصار . ولم أقبل هذه الدعوة وحسب ، بل اننى اخترت عنواناً : « فنيات وديناميات البقاء على قيد الحياة » وهو عنوان أسعد القائمين على الإعداد لهذه المحاضرة . ولكن عندما بدأت المحاضرة صارحتهم بأنه طالما اقتصر تفسيرنا لمهمتنا فقط فى ضوء الفنيات والديناميات فقد جانبنا الصواب ـ كما أننا نفقد الطريق إلى قلوب هؤلاء الذين نرغب فى تقديم الخدمات العلاجية الأولية لهم . لأن الإقتراب من الكائنات الإنسانية بمجرد بناء من الفنيات يتضمن بالضرورة محاولة السيطرة عليهم ، كما أن الإقتراب منهم فى ضوء الديناميات الخالصة يتضمن تشييئهم ، أى تحويلهم من كائنات إنسانية إلى مجرد أشياء . وهذه الكائنات الإنسانية تشعر وتلاحظ على الفور ميول السيطرة

---

(١) هذا على الأقل فى اعتقاد بعض الكتاب أمثال اونجرسما وتويدى وليزلى وكاتزانوفسكى ولايونز وكرامبو .

Twitter: @abdullah_1395

ومحاولة تشييئهم فى اتجاهنا منهم . وهنا يمكننى القول بأن التشيىء قد أصبح الخطيئة الأولى فى العلاج النفسى . فالإنسان ليس « شيئا » . وهذا الذى « ليس ـ شيئاً » No - thingness بدلاً من الذى هو «لاشىء» Nothingess هو الدرس الذى يجب أن نتعلمه من الوجودية .

وفى إحدى جولاتى لإلقاء المحاضرات سئلت أن أوجه كلمة لسجناء سان كوينتين ، وقد أخبرونى فيما بعد أنهم شعروا لأول مرة بأن هناك من استطاع فهمهم . وما فعلته لم يكن شيئاً خارقاً للعادة ، فقد اعتبرتهم كائنات إنسانية ولم أعاملهم على أنهم ميكانيزمات تحتاج إلى إصلاح . فقد فسرت موقفهم بنفس الطريقة التى يفسروه بها ، بمعنى انى فسرت موقفهم بوصفهم أحراراً ومسئولين . لم أعرض عليهم هروباً رخيصاً من مشاعر الذنب بتصويرهم كضحايا لظروف وعمليات بيولوچية ونفسية واجتماعية . كما لم اعتبرهم قطع شطرنج بلا حول ولا قوة على ميدان الهى والأنا والأنا الأعلى ، ولم أزودهم بمبررات . لم أحرمهم من الشعور بالذنب ، ولم أستبعده . إنما اعتبرتهم أنداداً ، فتعلموا بذلك أن الشعور بالذنب هو امتياز منح للإنسان ـ وأن مسئوليته هى التغلب على الشعور بالذنب .

ان ما استخدمته فى مخاطبة سجناء سان كوينتين لم يكن سوى الفينومينولوچيا فى معناها الصحيح . وفى الحقيقة ، ان الفينومينولوچيا ليست سوى محاولة لتوضيح الطريقة التى يفهم بها الإنسان ذاته ، والتى يعبر بها عن وجوده الخاص ، بعيداً عن التصورات المسبقة للأنماط التأويلية والتوضيحية من قبيل الإفتراضات الجاهزة الخاصة بالسيكوديناميه والاقتصاديات الاجتماعية.

Twitter: @abdullah_1395

كـمـا قـال بول بولاك [٢]، فـإن فى تبنى العـلاج بالمعنى للمنهـجـيـة الفينومينولوچية محاولة للوصول إلى فهم ذاتى غير منحاز للإنسان من منظور علمى .

ودعونى أثير مرة أخرى قضية « الفنيات » فى مقابل « الإلتقاء » فالعلاج النفسى يتجاوز مجرد كونه فنيات إلى كونه فنًا ، كما أنه يتجاوز العلم الخالص إلى الحكمة . ولكن حتى الحكمة ليست صاحبة الكلمة الأخيرة . فقد رأيت مرة فى معسكر للإعتقال امرأة أقدمت على الإنتحار ، وكان بين حاجياتها ورقة مكتوب عليها : « ان ما هو أقوى من القدر ، الشجاعة على تحمله » . وبرغم هذا الشعار فقد انتحرت . وهكذا فإن الحكمة بدون اللمسة الإنسانية تظل قاصرة .

لقد تلقيت مؤخراً مكالمة تليفونية فى الثالثة صباحًا من سيدة قالت لى انها مصممة على الإنتحار ، ولكنها شعرت بالفضول إلى أن تعرف ماذا يمكن أن يكون رأيى . وأجبتها بكل ما يمكن أن يقال ضد هذا القرار ، ودافعت عن التشبث بالحياة . وتحدثت معها لمدة ثلاثين دقيقة ـ حتى وعدتنى فى النهاية بألا تنتحر ، وأن تأتى لترانى فى المستشفى . ولكن عندما زارتنى هناك اتضح انها لم تتأثر بأى كلمة قلتها لها ، وأن السبب الوحيد الذى دعاها إلى عدم الإنتحار هو اننى لم أغضب لأنها أقلقت منامى فى منتصف الليل ، ولكنى استمعت إليها بصبر لمدة نصف ساعة ، وأنها وجدت أن عالمًا يحدث فيه مثل

---

(٢) Paul Polak : Frankl's Existential Analysis, American Journal of Psychotherapy 3 : 517 - 522, 1949

Twitter: @abdullah_1395

ذلك لابد وأن يكون عالماً يستحق العيش فيه .

ان أقصى ما يهتم به العلاج النفسى هو ما أكد عليه الراحل لودفيج بينزفانجر من أن الإنسان يجب أن يسترد وعيه ويستعيد إنسانيته . ويمكن اعتبار علاقة أنا ـ أنت I - Thou محوراً لهذه المسألة . وهناك بعد آخر فيما وراء ذلك لا بد من اقتحامه . فالإلتقاء بين الأنا والأنت لا يمكن أن يكون كل الحقيقة، أو كل القصة . فإن الطبيعة الأساسية للتسامى بالذات - self Transcendence للوجود الإنسانى تجعل من الإنسان كينونة تتطلع إلى ما وراء الذات . ولهذا فإن كان مارتن بوبر Buber يفسر ـ وفرديناند ابنر Eb-ner أيضاً ـ الوجود الإنسانى بشكل أساسى فى صورة حوار بين أنا وأنت ، فيجب أن ندرك أن هذا الحوار يهدم ذاته إذا لم يتجاوز الأنا ، والأنت ذاتاهما تطلعاً إلى معنى فى الخارج.

وطالما أن العلاج النفسى لا يقتصر على الهندسة والتكنولوچيا النفسية ، وإنما يقوم أساساً على الإلتقاء . فإن هذا الإلتقاء لا يكون بين وحدتين عضويتين ، وإنما بين كينونتين انسانيتين تواجه كل منهما الأخرى «بالمعنى» logos الذى هو معنى الوجود .

ومن خلال تركيز الأهمية على الإلتقاء بين الأنا والأنت ، فإن تحليل الوجود Dasein - Analyse قد جعل الشريكين فى هذا الإلتقاء ينصتان بإخلاص كلاهما للآخر ، وبالتالى فإنهما يتحرران من « صممهما » الأنطولوچى ، إن جاز التعبير ولكن ما زال علينا أن نحررهما من « العمى » الأنطولوچى ، أن نجعل معنى الوجود يشرق أمامهما . وهذه هذ الخطوة التى

Twitter: @abdullah_1395

اتخذها العلاج بالمعنى فالعلاج بالمعنى يذهب إلى ما وراء تحليل الوجود ، أو التحليل الأنطولوچى (إذا استعرنا ترجمة چوردان شير) ، حيث أنه لا يهتم فقط بالوجوديات أو الكينونة ، وإنما أيضاً بالكلمة logos أو المعنى meaning ولعل فى هذا ما يدعم حقيقة أن العلاج بالمعنى هو أكثر من مجرد تحليل . بمعنى أنه ـ كما يدل على ذلك أسمه ـ علاج . وفى محادثة شخصية قال لى لودفيج بينزفانجر أنه شعر أن العلاج بالمعنى نشط أكثر من التحليل الأنطولوچى ، بل وأكثر من ذلك أنه يعتبر العلاج بالمعنى هو الإضافة العلاجية للتحليل الأنطولوچى

ويمكن تعريف العلاج بالمعنى حرفياً ، وببساطة شديدة على أنه (العلاج من خلال المعنى) « چوزيف فابرى » [٣] . وبالطبع يجب أن نضع فى اعتبارنا أن العلاج بالمعنى ليس علاجاً عاماً لكل الأمراض ، فهو يصلح لبعض الحالات ويتعارض مع البعض الآخر . كما سيتضح فى القسم الثانى من هذا الكتاب ، عندما يتم تناول تطبيقات العلاج بالمعنى ، أنه يصلح للتعامل مع حالات العصاب كبداية . وهنا يتضح وجود اختلاف آخر بين العلاج بالمعنى والتحليل الأنطولوچى . ويمكن أن نوجز اسهام بينز فانجر فى الطب النفسى من حيث هو تقديم فهم أفضل لذهان ، وعلى وجه الخصوص ، فهم أفضل للنمط الخاص والشاذ للوجود الذهانى ـ فى العالم . وعلى العكس من التحليل الأنطولوچى فإن العلاج بالمعنى لا يهدف إلى تحقيق فهم أفضل للذهان ، وإنما

---

(٣) Joseph B. Fabry . The Pursuit of Meaning : Logotherapy applied to life. Preface by Victor E. Frankl. Beacon Press. Boston. 1968 .

Twitter: @abdullah_1395

بالأحرى إلى علاج أقصر للعصاب . وهذه مبالغة أخرى فى التبسيط .

وفى هذا السياق ، يجدر بنا ذكر هؤلاء الكتاب الذين ينافحون عن أن أعمال بينز ڤانجر تهيئ لتطبيق مفاهيم هايدجر على الطب النفسى ، فى حين أن العلاج بالمعنى هو نتيجة لتطبيق مفاهيم ماكس شيلر على العلاج النفسى .

والآن ـ بعد الحديث عن شيلر وهايدجر وتأثير فلسفتهما على العلاج بالمعنى ـ فماذا عن فرويد وآدلر ؟ هل يدين لهما العلاج بالمعنى بأقل من ذلك ؟ كلا على الإطلاق . ففى الحقيقة ، ان القارئ لأول فقرة من أول كتبى يجد تعبيراً يفيد اعترافى بالدين لفرويد وآدلر ، وذلك عندما شبهت الموقف بذلك القزم الذى يقف على كتف العملاق فيرى أبعد قليلاً مما يرى العملاق . وعلى أى حال ، لقد كان التحليل النفسى ـ وسيبقى دائماً ـ الأساس الذى لا غنى عنه لكل علاج نفسى ، بما فى ذلك المدارس العلاجية التى ستظهر فى المستقبل . ومع ذلك فعليه أن يلقى مصير أى أساس ، بمعنى أنه يكون غير مرئى بالقدر الذى يشيد عليه من بناء سليم .

وقد كان فرويد من العبقرية بحيث لم يغفل التصريح بأنه قد اقتصر بالبحث فى الأساس التحتى أو الرقاقات الأعمق ، أو الأبعاد الدنيا من الوجود الإنسانى . وقد قال فرويد بنفسه فى خطاب أرسله إلى لودڤيج بينز ڤانجر : «لقد اقتصرت دائماً على الدور الأرضى والبدروم basement لذلك الصرح المسمى بالإنسان» (٤) .

---

(٤) Ludwig Binswanger, Reminiscences of a friendship , Grune & Straton, New York, 1957, P. 96 .

Twitter: @abdullah_1395

وفى مراجعة لأحد الكتب [٥] عبر فرويد عن اقتناعه بأن تبجيل سيد عظيم هو شيء حميد ، ولكن يمكن تجاوزه واغفاله أمام تبجيلنا للحقائق . فدعنا الآن نحاول أن نعيد تفسير وتقييم التحليل الفرويدى فى ضوء تلك الحقائق التى لم تفرض وجودها إلا بعد وفاة فرويد .

واعادة التفسير هذه تشتق من التحليل الذاتى الخاص بفرويد نفسه . فقد اعتقد كولومبس أنه اكتشف طريقاً جديداً للهند ، فى حين أن ما اكتشفه كان قارة جديدة . وهناك أيضاً فارق بين ما اعتقد فرويد أنه حققه وبين انجازه الفعلى . لقد اعتقد فرويد بإمكانية تفسير الإنسان بواسطة نظرية ميكانيكية ، وأن النفس الإنسانية يمكن شفاؤها باستخدام الفنيات . ولكن ما انجزه كان شيئا مختلفاً ، شيئاً مازال من الممكن الإبقاء عليه ، شريطة اعادة تقييمه فى ضوء الحقائق الوجودية . والتحليل النفسى وفقاً لفرويد يقوم على الإعتراف بمفهومين هما : الكبت بوصفة سبباً للعصاب ، والطرح بوصفه علاجاً للعصاب . ومن يعتقد بأهمية هذين المفهومين فقد يكون هذا كافياً ليعتبر نفسه محللاً نفسياً .

وتتم مواجهة الكبت بالنمو المتزايد فى الوعى ، حيث يجب أن تصبح المادة المكبوتة شعورية . أو كما يقول فرويد ، حيث كانت الهى موجودة ينبغى أن توجد الأنا . وبعيداً عن الأيديولوچية الميكانيكية التى اتسم بها القرن التاسع عشر ، وفى ضوء الفلسفة الوجودية الخاصة بالقرن العشرين يمكن القول بأن هذا يعنى أن التحليل النفسى يعمل على تطوير فهم الذات لدى الإنسان .

---

(٥) Sigmund Freud, Uber Forel : Der hypnotismus, seine bedeutung und seine handhabung ", Wiener medizinische wochenschrift 34 : 1098, 1889 .

Twitter: @abdullah_1395

وعلى نفس النحو ، يمكن تنقية وتطهير مفهوم الطرح . وقد أشار رودلف درايكرز ـ عالم النفس الآدلرى ـ إلى الطبيعة التسلطية الموجودة فى مفهوم الطرح الفرويدى [٦] . وبعيداً عن هذه الطبيعة التسلطية يمكن فهم مفهوم الطرح على أنه وسيلة ذلك الإنسان فى التواصل ، وأنه ذلك الإلتقاء الشخصى القائم على علاقة أنا ـ أنت . وفى واقع الأمر ، فانه لكى يتم التوصل إلى الفهم الذاتى يجب الإعتماد على الإلتقاء كوسيلة . بعبارة أخرى ، فإن عبارة فرويد : « حيث تكون الهى يجب أن تصبح الأنا » يمكن أن تتسع لتصبح : « حيث تكون الهى يجب أن تصبح الأنا ، ولكن الأنا لا يمكن أن تصبح «أنا» إلا من خلال أنت » .

أما عن المادة التى وقعت فريسة للكبت ، فإن فرويد يعتقد أنها الجنس . وفى الواقع فإن الجنس كان واقعاً تحت الكبت على مستوى العامة فى ذلك الوقت . وكان هذا نتيجة للنزعة التطهرية ، تلك النزعة التى سادت البلاد الأنجلو ـ ساكسونية . ومن العجيب أن تكون هذه البلاد هى الأكثر تقبلاً للتحليل النفسى ـ والأكثر مقاومة لمدارس العلاج النفسى التى تجاوزت فرويد .

ومحاولة ايجاد تطابق بين التحليل النفسى وعلم النفس أو الطب النفسى خطأ كبير يشبه محاولة ايجاد التطابق بين المادية الجدلية وعلم الإجتماع . فكل من الفرويدية والماركسية اجتهادات فى طريق العلم approaches to science بأكثر منها علوماً فى حد ذاتها . وإذا أردنا الدقة ، فإن محاولة فرض الآراء ـ غربية الطابع كانت أو شرقية ـ إنما يحجب الفارق بين مناصرة مبدأ وبين العلم .

---

(٦) Rudolf Dreikurs, " The Current Dillema in Psychotherapy ", Journal of Existential Psychiatry 1 : 187 - 206, 1960 .

Twitter: @abdullah_1395

وعلى أى حال ، لا يمكن أن تحل مدرسة أخرى محل التحليل النفسى. والمكانة الخاصة بفرويد فى تاريخ العلاج النفسى تذكرنى بقصة ذكروها لى فى أحد أقدم المعابد اليهودية فى العالم ، وهو معبد « آلت نيو » ببراج ، ويرجع إلى العصور الوسطى . فعندما يصل بك المرشد إلى الداخل فسوف يخبرك بأن المقعد الذى احتله الحاخام الشهير « لو » لم يجلس عليه أبداً أحد من أتباعه، وإنما وضعت لهم مقاعد أخرى ، لأنه كان من المستحيل أن يحل أحد محل الحاخام لو . لم يكن أحد يناظره . ولمدة قرون لم يسمح لأحد بالجلوس على هذا المقعد . وكذلك ينبغى أن يبقى مقعد فرويد خالياً .

Twitter: @abdullah_1395

الجزء الأول
أسس العلاج بالمعنى

Twitter: @abdullah_1395

Twitter: @abdullah_1395

الفصل الأول

المضمون الميتاكلينيكى للعلاج النفسى

يشير مصطلح المضمون الميتاكلينيكى للعلاج النفسى أساساً إلى التصور الخاص بالإنسان وفلسفة الحياة . فلا يوجد علاج نفسى لايستند إلى نظرية عن الإنسان وفلسفة الحياة . فالعلاج النفسى يقوم عليها عن عمد أو عن غير عمد . وفى هذا الصدد لا يشكل التحليل النفسى استثناءاً من هذه القاعدة . وقد سمى بول شيلدز التحليل النفسى بالاسم الألمانى Weltanschuung (نظرة إلى العالم) ، ومؤخراً قال جوردون بلون أن ممارس التحليل النفسى معلم أخلاقى أولاً وأخيراً، وهو يؤثر على الناس فيما يتعلق بأخلاقياتهم وسلوكهم الأخلاقى *[١] .

وهكذا ، فإن المسألة ليست هل يقوم العلاج النفسى على تصور للإنسان وفلسفة الحياة أم لا ، وانما هل هذا التصور على خطأ أو على صواب . وفى هذا السياق فإن الخطأ والصواب يعنيان : هل يتم الحفاظ على انسانية الإنسان فى الفلسفة أو النظرية المتبناه . أن الخاصية الإنسانية للكائن الإنسانى قد أهملت وتم التغاضى عنها ـ على سبيل المثال ـ من قبل هؤلاء السيكولوجيين الذين يلتزمون إما بنموذج الآلة أو « بنموذج الفأر » كما وصفهم جوردون أولبورت *[٢] أما عن أصحاب النموذج الأول ، فاعتقد أن هناك حقيقة هامة ،

١* F . gordon Pleune , All Dis - Ease Is Not Disease : AComparison of Psycho - analysis , and Psycho - social engineering , International Journal of Psycho - analysis 46 : 358,1965 . Quoted from Digest of Neurology and Psychiatry 34 : 148 , 1966 .

٢* Gordon w . Allport, Personality and social encounter , Beacon Press , Boston , 1960 .

Twitter: @abdullah_1395

هى أن الإنسان طالما كان يعتبر نفسه مخلوقاً فإنه يفسر وجوده فى صورة الإله خالقه ، ولكن ما أن يبدأ يعتبر نفسه خالقاً فأنه يبدأ يفسر وجوده فى صورة مجرد شئ خلقه هو نفسه ، وهو الآلة

أما تصور العلاج بالمعنى للإنسان فيقوم على ثلاثة دعائم هى : حرية الإرادة ، وارادة المعنى ، ومعنى الحياة . أما الأولى ـ حرية الإرادة ـ فانها تقوم فى معارضة المبدأ الذى تلتزم به معظم المداخل المعاصرة لدراسة الإنسان ، وهو بالتحديد مبدأ الحتمية . وعلى أى حال ، فحرية الإرادة تعارض فى الواقع ما اعتدت على تسميته « بالحتمية الشاملة » ، وذلك لأن الحديث عن حرية الإرادة لا يعنى بأى حال نفى مسبق للحتمية . فحرية الإرادة تعنى فى النهاية حرية الإرادة الإنسانية ، وإرادة الإنسان هى إرادة كائن محدود . وحرية الإنسان ليست حرية من الظروف ، وانما هى بالأحرى حرية اتخاذ موقف معين تجاه أى ظروف قد تواجه الإنسان .

وفى إحدى المقابلات الشخصية سألنى هيوستون سميث ـ من جامعة هارفارد ـ بوصفى استاذاً للأعصاب والطب النفسى ما إن كنت أرفض التسليم بأن الإنسان يخضع للظروف والمحددات الخارجية . وأجبته بأننى بالطبع ـ بوصفى متخصصاً فى الأعصاب والطب النفسى ـ على وعى تام بالحدود التى لا يكون الإنسان حراً فيها من الظروف سواء كانت بيولوجية أو نفسية أو اجتماعية . ولكننى أضفت بأننى إلى جانب كونى أستاذاً فى مجالى الأعصاب والطب النفسى فإنى أحد الذين نجوا من أربع معسكرات اعتقال . وبهذه الصفة الأخيرة اتيح لى أن أشهد المدى غير المتوقع من قدرة الإنسان على أن يقاوم وأن يكون شجاعاً فى مواجهة اكثر الظروف صعوبة . تلك القدرة على

Twitter: @abdullah_1395

أن يفصل ذاته حتى عن أسوأ الظروف هى قدرة إنسانية فريدة . عموماً ، أن هذه القدرة الفريدة للإنسان على أن يفصل ذاته عن أى مواقف ينبغى عليه أن يواجهها هى قدرة لاتتضح فقط من خلال البطولة كما فى حالة معسكرات الإعتقال ، وإنما تتضح أيضاً من خلال الفكاهة . والفكاهة أيضاً قدرة إنسانية فريدة ، ولا يجب أن نشعر بالخجل من هذه الحقيقة . فالفكاهة كما يقال هبة إلهيه . وفى ثلاثة من المزامير أشير إلى الرب على أنه الإله « الضاحك » .

أن الفكاهة والبطولة تلفتان نظرنا إلى قدرة الإنسان الفريدة على الإنفصال عن الذات Self - detachment . وبفضل هذه القدرة لايستطيع الإنسان أن يفصل ذاته عن موقف خارجى فقط ، وانما ينفصل عن ذاته أيضاً ـ فهو يستطيع أن يختار اتجاهه من ذاته . وعندما يفعل ذلك فإنه يستطيع حقاً أن يأخذ موقفاً تجاه ظروفه وحدوده الجسمية والنفسية . ومن المفهوم أن هذا موضوع حاسم بالنسبة للعلاج النفسى والطب النفسى والتعليم والدين . لأن الشخص هنا يكون حراً فى تشكيل شخصيته ، ويكون مسئولاً عما يمكن أن يصنع بنفسه . وما يهم هنا ليس ملامح شخصياتنا أو الدوافع والغرائز لدى كل منا ، وانما بالأحرى المهم هو الموقف الذى نتخذه منها . والقدرة على اتخاذ هذا الموقف هى التى تجعل منا كائنات إنسانية حقاً .

وإتخاذ موقف تجاه ظاهرة جسمية أو نفسية يتضمن الإرتفاع فوق مستواها وفتح بعد جديد ، وهو بعد الظاهرة المعنوية أو البعد المعنوى ، وهو يختلف عن البعد البيولوجى أو النفسى . وهذا البعد هو الذى تتكشف فيه الظاهرة الإنسانية فى تميزها الفريد .

هذا البعد يمكن تعريفه أيضاً على أنه البعد الروحى ولكن نظراً لأن

Twitter: @abdullah_1395

كلمة روحى فى الإنجليزية تتضمن تلميحات دينية ، فيجب تجنب هذا المصطلح بقدر الإمكان . وذلك لأن ما نفهمه من مصطلح البعد المعنوى أنه بعد انثروبولوجى لا دينى . ويسرى هذا أيضاً على كلمة المعنى Logos المستخدمة فى مصطلح العلاج بالمعنى . فبالإضافة إلى « المعنى » تشير كلمة Logos إلى الروح spirit * ، ولكن أيضاً بلا أى تلميحات دينية . فكلمة Logos هنا تعنى إنسانية الكائن الإنسانى بالإضافة إلى معنى أن تكون إنساناً .

والإنسان يمر بالبعد المعنوى حينما يفكر متجاوزاً ذاته ، أو ـ إذا احتاج الأمر ـ متجاهلاً ذاته . عندما يجعل من ذاته موضوعاً ، أو يبدى اعتراضات على ذاته ، وعندما يظهر وعيه بذاته ، أو عندما يظهر ما يشير إلى أنه كينونة لها ضمير . وفى الحقيقة فإن الكينونة ذات الضمير تفترض مسبقاً قدرة إنسانية فريدة على الإرتفاع على الذات ، وعلى قدرة الفرد على تقييم أفعاله والحكم عليها من الناحية الأخلاقية .

بالطبع قد يسلب المرء ظاهرة كالضمير انسانتيها ، قد يدرك الضمير كنتيجة لعمليات التشريط . ولكن فى الحقيقة ان هذا التفسير يكون ملائماً ومناسباً ـ مثلاً ـ فى حالة كلب بلل السجادة وتسلل تحت الأريكة واضعاً ذيله بين رجليه . هل يكشف هذا الكلب عن وجود ضمير لديه ؟ اعتقد أنه بالأحرى يظهر خوفه من عقاب متوقع هذا الخوف يمكن أن يكون نتيجة لعمليات تشريط .

---

* وهو ما يقترب من معنى لفظ « الكلمة » فى العربية ، مثل أن يكون عيسى هو كلمة الله (هامش الترجمة) .

Twitter: @abdullah_1395

واختزال الضمير إلى مجرد نتيجة لعمليات تشريط ليس سوى مثال للنزعة الإختزالية Reductionism . ويمكننى تعريف النزعة الإختزالية على أنها مدخل علمى كاذب يهمل ويتجاهل انسانية الظاهرات عن طريق تحويلها إلى مجرد ظاهرات ثانوية مصاحبة للعمليات الدماغية epiphenomena. وعلى نحو أكثر دقة ، عن طريق خفض الظاهرات إلى ظاهرات دون إنسانية . فى الواقع يمكن تعريف النزعة الإختزالية بأنها النزعة دون ـ الإنسانية « Sub - Humanism.

ولإعطاء مثال على ذلك ، دعونى أختار ظاهرتين ربما تكونان أكثر الظاهرات إنسانية ، وهما الحب والضمير . وهما مظهران شديدا الوضوح لظاهرة إنسانية فريدة أخرى ، وهى القدرة على التسامى على الذات ، أو تجاوز الذات . فالإنسان يتجاوز ذاته إلى كينونة إنسانية أخرى أو إلى معنى ، ويمكن القول أن الحب هو تلك القدرة التى تمكن الإنسان من أن يتفهم الكينونة الإنسانية الأخرى فى أوج تفردها . والضمير هو القدرة التى تمنحه القوة على أن يفهم تماماً معنى موقف ما فى أوج تفرده . وفى النهاية يكون كل شخص غير قابل للإستبدال بمن يحل محله ، وإذا كان لا يمكن استبداله بالنسبة لشخص آخر ، فإن ذلك يكون بالنسبة لمن يحبه .

ونظراً لفردية وتميز ظاهرتى الحب والضمير ، فإنهما قدرتان بديهيتان . وعلى أى حال ، فإلى جانب الأساس المشترك الفريد بين هاتين الظاهرتين ، هناك اختلاف بينهما . فالتميز الذى تلمسه فى الحب يشير إلى إمكانيات فريدة يمكن أن توجد لدى الشخص المحبوب . أما فى الجانب الآخر ، فان التميز الذى نلمسه فى الضمير يشير إلى ضرورة فريدة ، أو إلى حاجة فريدة قد يكون على الفرد أن يشبعها .

Twitter: @abdullah_1395

والآن ، قد تفسر النزعة الإختزالية الحب على أنه مجرد إعلاء للجنس ، وتفسر الضمير فقط فى ضوء الأنا الأعلى . وفى اعتقادى أن الحب لا يمكن أن يكون مجرد نتيجة لإعلاء الجنس ، لأنه حتى عندما يحدث الإعلاء فإن الحب يكون شرطاً مسبقاً على الدوام . ويمكن القول بأنه إلى الحد الذى يكون فيه الأنا I متوجهاً بالحب إلى الأنت ـ إلى هذا الحد فقط يستطيع الأنا ego أن يتحد مع الهى Id ، اتحاد الجنسية بالشخصية ككل .

كما لا يمكن أن يكون الضمير مجرد أنا أعلى ، وذلك لسبب بسيط هو أن الضمير إذا دعت الحاجة قد يعارض التقاليد والمعايير والعادات والقيم التى يمثلها الأنا الأعلى . وهكذا ، فإذا كان على الضمير فى ظرف معين أن يعارض الأنا الأعلى فبالتأكيد لا يمكن أن يكون مطابقاً للأنا الأعلى . وإختزال الضمير إلى أنا أعلى ، وإشتقاق الحب من وعاء الهى محاولتان محكوم عليهما بالفشل .

ودعونا نتساءل ما الذى أدى إلى ظهور النزعة الإختزالية . لإجابة هذا السؤال يجب أن نأخذ فى اعتبارنا آثار التخصص العلمى . فنحن نعيش فى عصر التخصص ، ولهذا ضريبته . فيمكن تعريف المتخصص بأنه رجل لم يرى غابة الحقيقة حيث انشغل برؤية أشجار الحقائق . ونختار هنا مثالاً واحداً من مجال الفصام ، فنحن نواجه بمكتشفات عديدة يرجع الفضل فيها للكيمياء الحيوية. كما نواجه أيضاً بتراث علمى غزير هيأته الإفتراضات السيكو دينامية الخاصة بالفصام . وهناك بالإضافة إلى ذلك التراث العلمى المهتم بالنمط الفريد للوجود الفصامى فى العالم . وعلى أى حال ، فأنا أعتقد أن الذى يؤكد

Twitter: @abdullah_1395

أنه يعرف كل حقيقة الفصام انما يخدعك ، أو على أفضل الأحوال يخدع نفسه .

وعلى ذلك ، فإن الصور التى يصور بها كل فرد الحقيقة تصبح شديدة التباين ، وشديدة الإختلاف فيما بينها ، مما أدى إلى أن يصبح من الصعب الحصول على نوع من الإندماج أو الإلتحام بين تلك الصور المختلفة . على أن هذا الإختلاف بين الصور لا يشكل بالضرورة خسارة ، وانما قد يكون مكسباً للمعرفة ففى حالة الصور المجسمة يكون الإختلاف بين الصورة اليمنى والصورة اليسرى هو على وجه التحديد الذى يكسب المشاهد انطباع رؤية البعد الكلى ، بمعنى رؤية المجسم ثلاثى الأبعاد لا المسطح ثنائى الأبعاد . وإذا أردنا الدقة فهناك شرط مسبق ، هو أن شبكية العين يجب أن تكون قادرة على استقبال صورة مندمجة للصور المختلفة .

وما يصدق على الرؤية يصدق أيضاً على الناحية المعرفية . والتحدى هنا هو كيف يمكن الحصول على تصور موحد والإحتفاظ به واستعادة هذا التصور الموحد عن الإنسان فى مواجهة تلك المعارف والحقائق والمكتشفات المتناثرة التى توفرت عن العلم المتجزئ عن الإنسان .

ولكننا لا نستطيع أن ندير عجلة التاريخ إلى الوراء . والمجتمع لايستطيع الإستغناء عن المتخصصين . وقد جاء الكثير جداً من البحوث التى تعتمد على عمل الفريق teamwork ، وفى إطار عمل الفريق لا يمكن الإستغناء عن المتخصص .

ولكن هل يكمن الخطر حقاً فى الإفتقار إلى الشمولية ؟ أليس الخطر

Twitter: @abdullah_1395

كامن بالأحرى فى الإدعاء الكاذب بالكلية ؟ إن الخطر هو فى محاولة الخبير ـ وليكن فى مجال البيولوجيا ـ أن يفهم ويفسر الكينونة الإنسانية بالكامل فى إطار البيولوجيا . ويصح الأمر أيضاً بالنسبة لعلم النفس وعلم الإجتماع . ففى اللحظة التى يبدأ منها الإدعاء بالكلية تصبح البيولوجيا نزعة بيولوجية ، ويصبح علم النفس نزعة سيكولوجية ، ويصبح علم الإجتماع نزعة سوسيولوجية . وبعبارة أخرى ، فى تلك اللحظة يتحول العلم إلى ايديولوجية . فما يجب أن نرثى له فى الواقع ليس هو أن العلماء يتخصصون ، ولكن بالأحرى أن المتخصصين يعممون . فنحن قد ألفنا نمطاً يدعى التبسيط الفظيع * . والآن أصبحنا نعرف نمطاً آخر أسميه أنا التعميم الفظيع . وأعنى بذلك هؤلاء الذين لايستطيعون مقاومة إغراء إطلاق عبارات بولغ فى تعميمها على أساس مكتشفات محدودة .

لقد صادفتنى مرة فقرة تضطلع بتعريف الإنسان على أنه « ليس سوى ميكانيزم بيولوجى معقد تتم تقويته عن طريق نظام احتراق يغذى الات حاسبة computers لها طاقات هائلة لتخزين معلومات شفرية » وأنا بوصفى متخصصاً فى الأعصاب أؤيد استخدام نموذج الآلة الحاسبة (الكمبيوتر) للنشاط الذى يقوم به الجهاز العصبى المركزى . فاستخدام هذا التشبيه مشروع تماماً . على هذا تكون العبارة من وجهة نظر معينة صادقة : الإنسان كمبيوتر . ولكنه فى نفس الوقت يعتبر أكثر بكثير جداً من مجرد كمبيوتر . فالعبارة خاطئة فقط من حيث أنها تعرف الإنسان على أنه « ليس سوى » كمبيوتر .

---

* أى التبسيط المبالغ فيه (هامش الترجمة) .

Twitter: @abdullah_1395

فلم تعد العدمية nihilism تكشف عن نفسها الآن من خلال الحديث عن اللاشيئية nothingness ، وانما تتخفى بالحديث عن «اللاشئ سوى» nothing-but-ness فى حديثها عن الإنسان . لقد أصبحت النزعة الإختزاليه هى قناع العدمية .

كيف تتعامل إذن مع هذه المسألة ؟ كيف يمكن أن نحتفظ بانسانية الإنسان فى مواجهة النزعة الإختزالية ؟ فى النهاية ـ كيف يمكن أن نحتفظ بفردية الإنسان فى مواجهة نزعة « الجمع » pluralism فى العلوم ، وذلك فى الوقت الذى تكون فيه نزعة الجمع فى العلوم بمثابة التربة الخصبة التى تزدهر فيها النزعة الإختزالية ؟

لقد حاول كل من نيكولاى هارتمان وماكس شيلر ـ ربما أكثر من غيرهما ـ أن يجدا حلاً لتلك المشكلة التى تواجهنا . فانطولوجية هارتمان وأنثروبولوجية شيلر محاولتان لتحديد ما يخص كل علم من مجال مصداقية محدود . فقد ميز هارتمان بين أطوار مختلفة كالجسمية والعقلية بالإضافة إلى القمة الروحية . وهنا أيضاً لاتتضمن كلمة « روحية » أى معان دينية ، وانما بالأحرى لها مغزى معنوى noological . ويرى هارتمان أن الوجود الإنسان مقسم إلى أطوار على هيئة بنية هيراركية . على العكس من ذلك ، تستخدم انثروبولوجية شيلر تصور الرقاقات البيولوجية أو السيكولوجية الأكثر أو الأقل قرباً من الرقاقة المركزية للشخص ، وهى الرقاقة الروحية .

لقد قام هارتمان وشيلر بالواجب نحو الفروق الأنطولوجية بين الجسم والعقل والروح بتناولهما لهذه الفروق من حيث هى فروق فى الكيف وليست مجرد فروق فى الكم . إلا أنهما لم يأخذا فى الإعتبار ما يقوم فى معارضة الفروق الأنطولوجية ، وهو ما أحب أن أسميه بالتحديد « الوحدة

Twitter: @abdullah_1395

الأنثروبولوجية» ، أو كما يقول توماس الأكوينى : « الإنسان هو وحدة متعددة الأوجه » unitas multiplex. وإذا كان تعريف الفن هو « الوحدة فى التعدد» فاننى أعرف الإنسان على أنه « وحدة برغم التعدد » .

أن فهم الإنسان بوصفه أطواراً أو رقاقات جسمية وعقلية وروحية يعنى التعامل معه كما لو كانت أشكال وجوده الجسميه والنفسية والمعنوية يمكن فصل بعضها عن البعض .

وقد حاولت أن شخصياً أن أقوم بالواجب فى وقت واحد نحو الفروق الأنطولوجية والوحدة الأثروبولوجية عن طريق ما أسمية الأنثروبولوجيا والأنطولوجيا ذاتا الأبعاد . وهذا المدخل يستفيد من التصور الهندسى للأبعاد كمثال الفروق الكيفية التى لا تحطم وحدة البنية .

والأنطولوجياذات الأبعاد ـ كما قدمتها ـ تقوم على قانونين . أولهما : أن الظاهرة الواحدة تسقط عن بعدها الأصلى صوراً مختلفة على أبعاد أدنى عن البعد الأصلى ، وذلك على نحو تبدو معه الصور المختلفة مناقضة لبعضها .

فلنتخيل اسطوانة ، ولتكن كوباً ، تسقط ظلالاً عن جسمها ثلاثى الأبعاد على سطحين أحدهما أفقى والآخر رأسى وكلاهما بالطبع ثنائى الأبعاد (الشكل ١) . فى الحالة الأولى ستعكس دائرة ، وفى الثانية ستعكس مستطيلاً . هاتان الصورتان (الدائرة والمستطيل) متناقضتان . وهناك ما هو أهم، فالكوب وعاء مفتوح وهذا يتناقض مع الدائرة والمستطيل اللذين هما أشكال مغلقة ـ وهذا تناقض آخر .

Twitter: @abdullah_1395

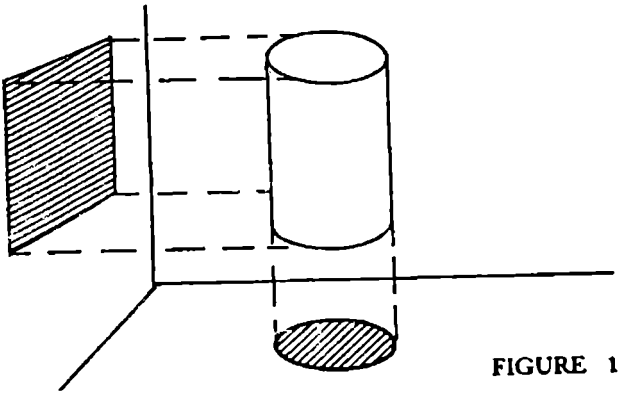

FIGURE 1

الشكل (١)

والآن ، ننتقل إلى القانون الثانى للأنطولوجيا ذات الأبعاد وهو : أن الظاهرات المختلفة التى تسقط عن أبعادها الأصلية صوراً على أبعاد أدنى من البعد الأصلى ، تظهر على نحو تبدو معه الصور مختلطة .

ولنتخيل أسطوانة ، وجسم مخروطى ، وجسم كروى . أن الظلال الساقطة على سطح أفقى تظهرهم فى صورة ثلاثة دوائر يمكن أن تحل أى منهم محل الأخرى (الشكل ٢) فلا يمكن أن نستدل من الظل على الشكل الذى أسقطه ، ما الذى فوقه ، ما إن كان اسطوانة أو مخروط أو كرة .

Twitter: @abdullah_1395

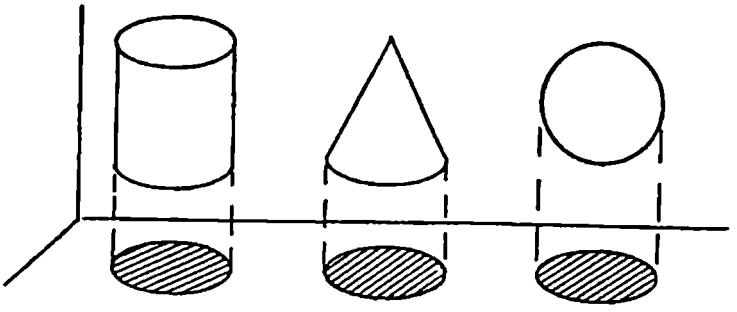

FIGURE 2

شكل (٢)

كيف يمكننا الآن تطبيق هذه الصور على الأنثروبولوجيا والأنطولوجيا ؟ لو أننا أسقطنا الإنسان على الأبعاد البيولوجية والسيكولوجية فأننا نحصل أيضاً على نتائج متناقضة . لأن فى إحدى الحالتين ينتج لدينا كائن بيولوجى ، وفى الأخرى ميكانيزم سيكولوجى . ولكن تلك الجوانب الجسمية والعقلية للوجود الإنسانى التى قد تبدو مناقضة إحداها للأخرى إذا تمت رؤيتها فى ضوء الأنثروبولوچيا ذات الأبعاد لا تعود مناقضة لوحدانية الإنسان . فهل التناقض بين الدائرة والمستطيل يناقض حقيقة أن كليهما انعكاس لنفس الجسم الاسطوانى؟

إن الأنطولوجيا ذات الأبعاد بعيدة عن أن تقدم حلاً لمشكلة العقل ـ الجسد . ولكنها تستطيع أن تفسر لماذا لا يمكن حل مشكلة العقل ـ الجسد .

ان وحدة الإنسان ـ وهى وحدة برغم تعددية الجسم والعقل ـ لايمكن أن توجد فى البعد البيولوجى أو السيكولوجى ، وانما يجب البحث عنها فى البعد

Twitter: @abdullah_1395

المعنوى Noological وهو البعد الذى انعكست عنه الصور الإنسانية منذ البداية *[٣] .

وعلى أى حال ، فهناك إلى جانب مشكلة العقل فى مواجهة الجسد مشكلة الحتمية ـ مشكلة حرية الإختيار . ولكن هذه المشكلة أيضاً قد يمكن تناولها من خلال الأنثروبولوجيا ذات الأبعاد . إن فتحة الكوب تختفى بالضرورة على البعدين الأفقى والرأسى . حسناً ، والإنسان أيضاً إذا تم إسقاطه على أبعاد أدنى من بعده الأصلى يظهر كنظام مغلق ، وليكن انعكاسات فسيولوجية أو ردود فعل واستجابات نفسية تجاه مثيرات . فنظريات الدافعية تلك ـ التى ما تزال تدين بالولاء لمبدأ الهوميوستازس ـ تتعامل مع الإنسان كما لو كان نظاماً مغلقاً . وهذا يعنى إغفال وإهمال الإنفتاحية الأساسية للوجود الإنسانى ، تلك التى أوضحها كل من ماكس شيلر وأدولف پورتمان وأرنولدجيلين . وعلى وجه الخصوص ، أوضح لنا عالم البيولوجيا پورتمان وعالم الإجتماع جيلين أن الإنسان منفتح على العالم ويمكن القول أنه بفضل خاصيه التسامى على الذات فإن وجود الإنسان يعنى دائماً الوجود المتوجه والميمم نحو شئ ما أو شخص آخر غير ذاته .

---

*٣ قبل أن نجيب على تساؤل كانط : ما هو الإنسان ؟ يجب أن نلتفت إلى السؤال : أين الإنسان ؟ وفى أى بعد يمكن أن توجد انسانية الكائن الإنسانى ؟ فإذا اعتمدنا النزعة الإختزالية وأصدرنا حكماً مسبقاً بأن الإنسان ما هو إلا حيوان فلن نكتشف شيئاً آخر . وفى هذا شبه بتلك الطرفه التى تحكى عن حاخام احتكم إليه رجلان يعتقد أحدهما أن قطة جاره سرقت منه خمسة أرطال من الزبد والتهمتها . والآخر يرد بأن القطة لم تأبه للزبد فى حياتها . فوزن الحاخام القطة ولدهشته وجدها تزن خمسه أرطال بالضبط . فقال : لدينا الزبد الآن ، ولكن أين القطة ؟ حسناً ، فأين الإنسان إذن عندما يقتصر بحثنا على البعد البيولوجى ويكبل بالاسقاطات البيولوجية .

Twitter: @abdullah_1395

كل هذا يختفى فى الأبعاد البيولوجية والسيكولوجية ولكن فى ضوء الأنثروبولوجياذات الأبعاد نستطيع على الأقل أن نفهم لماذا يجب أن يحدث ذلك . والآن ، فإن انغلاقية الإنسان الواضحة فى الأبعاد البيولوجية والسيكولوجية لم تعد تناقض إنسانية الإنسان . فالإنغلاقية فى بعد أدنى لاتتعارض إطلاقاً مع الإنفتاحية فى بعد أعلى ، سواء انفتاح الكوب الاسطوانى، أو انفتاح الكينونة الإنسانية .

وقد يصبح من المفهوم الآن لماذا ندرس مكتشفات البحوث فى أبعاد دنيا ، فهى على أى حال ، وأن كانت تغفل إنسانية الإنسان ، إلا أنها لاتعارضها بالضرورة . وهذا يصدق بنفس القدر بالنسبة لمداخل علمية متميزة كالسلوكية الواطسونية ، والإنعكاسية الپافلوفية ، والتحليل النفسى الفرويدى ، وعلم النفس الآدلرى . وهى مداخل لا يبطلها العلاج بالمعنى وانما يتجاوزها . أى أنها تفهم فى ضوء بعد أعلى . أو كما قال المعالج النفسى النرويجى بيارن ڤيلوج*[٤] ان مكتشفات هذه المدارس أعاد العلاج بالمعنى تفسيرها وتقييمها كما أعاد إليها إنسانيتها .

وفى هذا السياق يجدر بنا ذكر تحذير هام . فالبحث عن أبعاد عليا فى مقابل أبعاد دنيا لا يتضمن ببساطة حكماً قيمياً value judgement . وإنما يعنى البعد الأكثر شمولاً *[٥] .

---

*٤ مقال لبيارن ڤيلوج Bjarne K . Villaug ألقى أمام الجمعية الطبية النمساوية للعلاج النفسى فى ١٨ يوليو ١٩٦٣ .

*٥ اتذكر جيداً كم كان الراحل پول تيليك مصراً ودائم التساؤل فى فترة المناقشة التالية على تقديمى الأنطولوجيات ذات الأبعاد فى ندوة بأحد الكليات بمدرسة هارڤارد اللاهوتية . ولم يبلغ إلى الاقتناع إلا بعد أن ذكرت أن البعد الأعلى يعنى البعد الأكثر شمولاً .

Twitter: @abdullah_1395

وهذه مسألة حاسمه فى الأنثروبولوجيا . فهى تتضمن اعترافاً ـ لا أكثر ولا أقل ـ بأن الإنسان لكونه انساناً لا يتوقف أبداً عن أن يكون حيواناً ، وذلك كما لا تتوقف الطائرة عن أن تكون قادرة على الحركة على أرض المطار .

وكما أشرت فى المقدمة ، فقد كان فرويد من العظمة بحيث أدرك أنه اقتصر دائماً بالبحث فى الدور الأرضى والبدروم من الصرح الإنسانى . بعبارة أخرى ، لقد اقتصر على البعد السيكولوجى الأدنى . ولم يكن صحية للنزعة الإختزالية إلا عندما استطرد فى رسالته إلى لودفيج بينزفانجر معلناً أنه « قد وجد بالفعل مكاناً للدين ، وذلك بتصنيفه فى فئه أعصبة الجنس البشرى » . فحتى العبقرى لايستطيع تماماً أن يقاوم روح عصره .

والآن دعونا نرى كيف يمكن تطبيق القانون الثانى للأنطولوجيا ذات الأبعاد على الإنسان . حسناً ، اننا نحتاج فقط إلى استبدال الدوائر الثلاثة المختلطة بالأعصبة ، وذلك لأن الأعصبة أيضاً مختلطة وملتبسة .

فالعصاب قد يكون نفسى المنشأ ، أى العصاب بالمعنى التقليدى . بالإضافة إلى ذلك ، فقد تعلمت أثناء ابحاثى أن هناك أعصبة جسمية المنشأ أيضاً . وعلى سبيل المثال ، هناك حالات فوبيا الأماكن المفتوحة agorapho-bia نشأت عن زيادة إفراز الغدة الدرقية . وأخيراً وليس آخراً ، هناك أعصبة معنوية ـ كما أسميتها ـ وهى تنشأ عن المشكلات الروحية ، أو عن الصراعات الخلقية، أو عن ذلك الصراع بين الضمير الحقيقى وبين مجرد الأنا الأعلى الذى أشرت إليه فى بداية هذا الفصل . وعلى أى حال ، فإن الأكثر أهمية هنا هو تلك الأعصبة المعنوية التى تنتج عن إحباط إرادة المعنى ، أو عن ما

Twitter: @abdullah_1395

أسميته بالإحباط الوجودى ، أو الفراغ الوجودى ـ والذى خصصت له فصلاً كاملاً فى هذا الكتاب .

إذن فكلما كانت العوامل الاتيولوجية (etiology ـ أى العوامل المسببة للمرض) للأعصبة متعددة الأبعاد ، صارت الأعراض مختلطة وملتبسة . وكما لم نتمكن أن نستدل من الظلال الدائرية عما إذا كان الشكل الذى فوقها اسطوانه أو مخروط أو كرة ، فإننا لا نستطيع أن نستنتج ما إن كان زيادة إفراز الغدة الدرقية ، أو مخاوف الخصاء ، أو الفراغ الوجودى هو سبب العصاب. على الأقل لا نستطيع أن نعرف ذلك طالما اقتصرنا بالبحث فى البعد السيكولوجى .

وعلم الأمراض مختلط وغامض ، لأننا فى كل حالة يجب أن نبحث عن معنى المرض the logos of Pathos ـــ عن معنى المعاناة . ومعنى المعاناة لايوجد بالضرورة فى نفس البعد كالأعراض المرضية ، ولكنه قد يكمن فى بعد آخر . واتيولوجية الأعصبة متعددة الأبعاد تتطلب ما أفضل أن اسميه التشخيص ذو الأبعاد dimensional diagnosis .

وما يصدق بالنسبة للتشخيص يصدق أيضاً بالنسبة للعلاج . فالعلاج أيضاً يجب أن يتم توجيههه على نحو متعدد الأبعاد . وليس لدينا اعتراض مسبق على ما يسمى « بالحقنَ والصدمات » * . ففى الحالات التى تعرف فى الطب النفسى بالإكتئاب داخلى المنشأ يكون هناك من المبررات الشرعية ما يسمح باستخدام العقاقير ، وفى الحالات الخطيرة يمكن استخدام حتى العلاج

---

* أى العلاج الطبى عن طريق الحقن بالعقاقير أو حتى بالصدمات الكهربية Shots & shocks (هامش الترجمة) .

Twitter: @abdullah_1395

بالصدمات الكهربية . وقد اتفق اننى كنت أول من طور عقاراً مهدئاً بالقارة الأوروبية ، وذلك قبل أن تبدأ مسيرة الأنجلو ـ ساكسون إلى ميلتاون . وفى بعض الحالات الاستثنائية كنت انصح باجراء جراحة مخية ، وفى بعض الحالات الأخرى قمت بإجراء مثل هذه الجراحات بنفسى . وهذا كله يتم دون الإدعاء بأن هذه الإجراءات تتخذ لتفادى الإحتياج إلى العلاج النفسى فى نفس الوقت . وأيضاً العلاج بالمعنى ، وذلك نظراً لأنه حتى فى تلك الحالات نحن لانتعامل مع مجرد أمراض ولكننا نتعامل مع كائنات إنسانية .

وهكذا ، فأنا لا أشارك هؤلاء ـ الذين تحدثوا فى أحد المؤتمرات العالمية ـ اعتقادهم ، حيث قالوا انهم يخشون أن يصبح الطب النفسى آليًا، وأن يشعر المريض بالغربة النفسية إذا ما استخدمنا العلاج بالعقاقير . ففى قسم الأعصاب بمستشفى فيينا الهوليكلينيكى يستخدم الأطباء العقاقير ، والصدمات الكهربية إن احتاج الأمر ، وبالرغم من ذلك لايحدث أى اعتداء على كرامة المرضى . وعلى الجانب الآخر ، أعرف كثيراً من علماء نفس الأعماق الذين يشمئزون من إعطاء العقاقير ، فما بالنا بالصدمات الكهربية ، ولكن من خلال نفس تصورهم عن الإنسان ـ ومن خلال مدخلهم الميكانيكى للإنسان ، فانهم يعتدون على كرامة مرضاهم . ولهذا السبب أشعر أنه من المهم أن نطور تصوراً عن الإنسان يمكن من خلاله الإقتراب approach من مرضانا ونحن على وعى بذواتنا ، وأن نجعل المضمون الميتاكلينيكى للعلاج النفسى واضحاً وصريحاً .

فليس المهم إطلاقًا هو الفنيات المستخدمة فى كل حالة ، وانما بالأحرى الروح التى تستخدم بها الفنيات . وهذا لا يصدق فقط على العقاقير والصدمات الكهربية ، ولكن يصدق أيضاً على التحليل النفسى الفرويدى

Twitter: @abdullah_1395

وعلم النفس الآدلرى والعلاج بالمعنى .

ولنعد الآن إلى القانون الثانى للأنطولوچيا ذات الأبعاد . وعلى سبيل التغيير نستبدل الرموز الهندسية بأخرى تاريخية . وبتحديد اكثر ، لنتصور الظل الدائرى الأول يمثل حالة فصام مصحوبة بهلاوس سمعية فى حين يمثل الظل الدائرى الثانى حالة « چان دارك » . وما من شك فى وجهة نظر الطب النفسى بأن القديسة كانت لتشخص كحالة فصامية . وطالما اقتصرنا على الطب النفسى كإطار مرجعى ، فإن چان دراك « لا تكون سوى » فصامية . أما ما كانت عليه فيما وراء الفصام فلا يمكن إدراكه فى إطار بعد الطب النفسى . وحالما نتتبعها إلى البعد المعنوى ونلحظ أهميتها الدينية والتاريخية ، يتضح لنا أن چان دراك أكثر من مجرد فصامية . فحقيقة كونها فى إطار بعد الطب النفسى لا تقلل على الإطلاق من دلالة الأبعاد الأخرى ، والعكس بالعكس . وحتى مع تسليمنا بأن چان دراك قديسة ، فإن هذا لا يغير من حقيقة أنها كانت فصامية أيضاً .

على الطبيب النفسى أن يرسم حدوده فى إطار بعد الطب النفسى ، بدلاً من أن يخرج بنتيجة من ظاهرة طب نفسية مؤداها أنها « ليست سوى » ، أو « أكثر من » مجرد ظاهرة طب نفسية . فالإقتصار على بعد الطب النفسى يتضمن ـ على أى حال ـ اسقاط ظاهرة معطاة على بعد الطب النفسى ، وهذا أمر مشروع تماماً طالما يكون الطبيب النفسى على وعى بما يفعل . أكثر من ذلك، ان هذه الإسقاطات ليست مشروعة وحسب ، وإنما هى إجبارية فى العلم . فالعلم لا يستطيع التعامل مع الحقيقة فى تعددية أبعادها . ولكن يجب أن يتعامل مع الحقيقة كما لو كانت ذات بعد موحد . ومهما كان الأمر ،

Twitter: @abdullah_1395

فعلى الطبيب النفسى أن يظل على وعى بما يفعل لا لشئ إلا لتحاشى السقوط فى شراك النزعة الإختزالية .

ومثال آخر على التباسات الإسقاطات حدث من سنوات مضت فى المربع السكنى الذى كنت أقطن به فى ڤيينا . فقد هاجم أحد الصعاليك صاحبة متجر للطباق ، وفى اضطرابها صرخت قائلة : « فرانز » ـ وهو زوجها . وكان هناك ستار يفصل شطرى المتجر ، فتوقع الصعلوك أن يأتى فرانز من خلف الستار فى أى لحظة ، فهرب وتمكنوا من الإمساك به . ان هذه نتيجة منطقية لأحداث طبيعية ، أليس كذلك ؟ ولكن فى الحقيقة ان فرانز كان قد مات قبل ذلك بأسابيع ، وأن زوجته أرسلت صلاتها إلى السماء تتوسل زوجها أن يتوسط إلى الله من أجل انقاذها . حسناً ، فإن تفسير نتيجة هذه الحقائق الطبيعية يرجع بالكامل إلى رغبة كل منا فى أن يفسرها من حيث هى لبس وقع فيه الصعلوك ، أو من حيث أن السماء قد استجابت للدعاء . أما عنى أنا فأعتقد أنه لو كان هناك مثل هذه السماء ، ولو كانت تستجيب للدعاء ، فإنها سوف تخفى ذلك وراء نتيجة منطقية لحقائق طبيعية .

Twitter: @abdullah_1395

الفصل الثانى
التسامى على الذات كظاهرة إنسانية

فى الفصل السابق ذكرت أن الإنسان منفتح على العالم وهو كذلك على العكس من الحيوانات ، فهى ليست منفتحة على العالم ، وإنما بالأحرى مقيدة بالبيئة الخاصة بنوعها البيولوچى . فالبيئة تحتوى على ما يغرى ويشبع التكوين الغريزى للنوع البيولوچى . وعلى العكس من ذلك تلك الخاصية الرئيسية للوجود الإنسانى التى تقضى باختراق عقبات البيئة الطبيعية الخاصة بالنوع البشرى . فالإنسان يتوق إلى .. ويصل بالفعل .. ثم يحصل على « العالم » . وهو عالم ملىء بالكيانات الأخرى عليه أن يتواصل معها ، وملىء بالمعانى التى عليه أن يحققها .

وجهة النظر هذه تتعارض على نحو عميق مع تلك النظريات الدافعية التى تستند إلى مبدأ الهوميوستازس . فهذه النظريات تصف الإنسان كما لو كان نظاماً مغلقاً . ووفقاً لهذه النظريات ، فإن اهتمام الإنسان الرئيسى يكون فى استبقاء أو استعادة التوازن الداخلى ، وبهذا يصل أخيراً إلى خفض التوتر . وفى النهاية يفترض أن هذا هو هدف إرضاء الدوافع واشباع الحاجات . وكما أشارت شارلوت بولر [1] ـ وصدقت ـ فإنه بداية من مقولات فرويد الأولى عن مبدأ اللذة إلى أحدث المقولات المعاصرة عن إفراغ التوتر ومبدأ الهوميوستازس ـ كان الهدف النهائى الذى لم يتغير لكل الأنشطة الإنسانية

(1) Charlotte Buhler : 'Basic Tendencies in Human Life : Theoretical and clinical Considerations' in Sein und Sinn, edited by R.wisser, Tubingen,1960 .

Twitter: @abdullah_1395

على مدى الحياة هو استعادة اتزان الفرد .

وفى حين يخدم مبدأ اللذة أغراض مبدأ الهوميوستازس ، فإن مبدأ الواقع ـ أيضاً ـ يخدم أغراض مبدأ اللذة . فوفقاً لعبارة فرويد ، فإن هدف مبدأ الواقع هو تأمين اللذة ، وإن يكن ذلك من خلال تأجيلها .

لقد استطاع ڤون برتا لانفى أن يرينا أنه حتى فى البيولوجيا لم يعد من الممكن لمبدأ الهوميوستازس أن يصمد وقد قدم لنا جولد شتاين أدلة مستقاة من پاثولوجية الدماغ دلل بها على أن البحث عن الهوميوستازس ليس واحداً من خواص الكائن البشرى السوى ، وإنما هى من علامات الإضطراب . ففى حالات المرض فقط يقصد الكائن إلى تجنب التوتر أيًا كانت درجته . وفى مجال علم النفس ، فند اولپورت [٢] نظرية الهوميوستازس فقال : إنها تقصر عن تفسير ذلك النشاط الإنسانى الحثيث الذى يتميز بخاصية «مقاومة الإتزان» : حيث يتم استبقاء التوتر لا خفضه .كما أبدى مازلو [٣] ـ شأنه شأن بولر [٤] ـ اعتراضات مشابهة . وفى دراسة أحدث ، قالت شارلوت بولر [٥] «أنه وفقاً لمبدأ فرويد عن الهوميوستازس ، فإن الهدف النهائى كان هو

(2) Gordon W.Allport, Becoming : Basic Considerations for a Psycholog of Personality , Yale University Press , New Haven , 1955 .

(3) Abraham H. Maslow , Motivation and Personality , Harper & Brothers , NewYork , 1954 .

(4) Charlotte Buhler , "Theoretical Observations about Life's Basic Tendencies " , American Journal of Psychotherapy 13 : 561 , 1959 .

(5) Charlotte Buhler , "The Human Course of Life in its Goal Aspects ," Journal of Humanistic Psychology 4 : 1, 1964 .

Twitter: @abdullah_1395

الحصول على ذلك النوع من الإشباع التام الذى من شأنه أن يستعيد للفرد اتزانه من خلال إرضاء رغباته الغريزية . وفقاً لوجهة النظر هذه ، تصبح كل الإبتكارات الحضارية للإنسانية نواتج لدافع الإشباع الشخصى . وحتى لو كان المستقبل يحمل تغيرات فى نظرية التحليل النفسى فإن شارلوت بولر [٦] تبدى تشككها، لأن نظرية التحليل النفسى ـ كما تقول ـ برغم محاولات تجديدها لايمكن أبداً أن تتخلص من افتراضها الأساسى بأن الهدف النهائى لكل نشاط إنسانى هو الإشباع الهوميوستازى . أما ابتداع القيم وانجاز المهمات فهى أهداف ثانوية يرجع الفضل فى تحقيقها إلى تغلب الأنا والأنا الأعلى على الهى ، ولكنها تهدف إلى الإشباع . وعلى العكس من ذلك ، ترى شارلوت بولر إن الإنسان يحيا حياة قصدية ، أى أنه يعيش بهدف . والهدف هو إعطاء معنى لحياته ... فالفرد يريد أن يبتدع قيماً . واكثر من ذلك ، فالكائن له توجه أولى فطرى فى اتجاه ابتداع القيم .

وهكذا ، فإن مبدأ الهوميوستازس لا يقدم أساساً كافياً يمكننا من تفسير السلوك الإنسانى . ففى بعض الحالات على وجه الخصوص ، من قبيل الظاهرات الإنسانية المميزة كالإبتكارية ـ تلك التى تكون موجهه إلى القيم والمعنى ـ لا نحصل من خلال وجهه نظر الهوميوستازس إلا على رؤية غائمة وغير واضحة .

أما عن مبدأ اللذة ، فسوف أذهب فى انتقادى له إلى ما هو بعد من

---

(6) Charlotte Buhler , "Some Observations on the Psychology of the third Force " , Journal of Hunamistic Psychology 5 : 54 , 1965 .

Twitter: @abdullah_1395

ذلك . فأنا أعتقد أن مبدأ اللذة يهدم نفسه . فكلما تركز هدف الفرد على اللذة ، فشل فى تحقيق هذا الهدف . وهذا الهدم الذاتى الذى يميز البحث عن اللذة يؤدى إلى الكثير من الأعصبة الجنسية . ويمكن للطبيب النفسى المرة تلو الأخرى أن يلحظ كيف تتم إعاقة كل من الشبق والقدرة الجنسية عندما يجعل الفرد منها هدفاً يقصد إليه . وتزداد هذه الإعاقة كلما ارتبط القصد المفرط excessive intention بالإهتمام المفرط excessive attention فالإفراط فى القصد والإفراط فى التفكير كما اعتدت أن أسميهما، من شأنهما أن يخلقا أنماطاً عصابية من السلوك .

فاللذة السوية لم تكن قط هدف النشاط الإنسانى ، ولكنها بالأحرى ـ ويجب أن تظل كذلك ـ أثر ، بل أثر جانبى لتحقيق الهدف إذا تحرينا الدقة . فتحقيق الهدف يهيئ سبباً لأن يكون المرء سعيداً . بعبارة أخرى ، إذا كان هناك سبباً للسعادة ، فهو أنها تنشأ ذاتياً وتلقائياً . وهذا هو السبب الذى من أجله لا يحتاج الإنسان لأن يبحث عن السعادة ، فالإنسان لا يحتاج أن يأبه لها طالما كان هناك سبب لها .

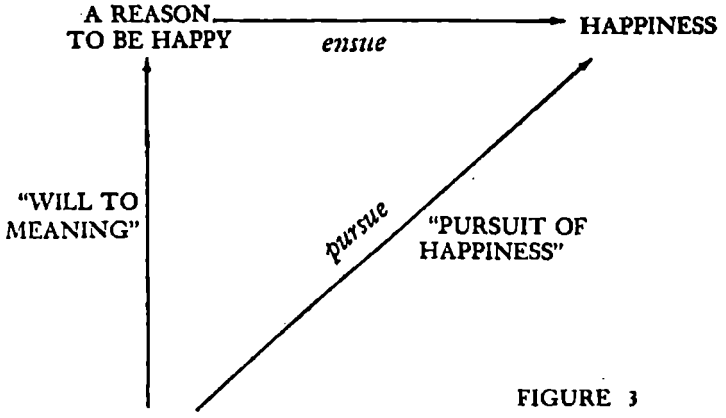

FIGURE 3

Twitter: @abdullah_1395

بل أكثر من ذلك ، ان الإنسان لا يستطيع أن يبحث عن السعادة ، فإلى الحد الذى يجعل فيه من السعادة موضوعاً لدافعيته ، فانه يجعل منها بالضرورة موضوع اهتمامه . ولكنه بذلك يفقد الإستبصار بأسباب السعادة ، عندئذ تتلاشى السعادة وتختفى .

ان تأكيد علم النفس الفرويدى على مبدأ اللذة يتوازى مع تأكيد علم النفس الادلرى على دافع المكانة status drive وعلى أى حال فإن هذا التأكيد أيضاً يبرهن على أنه يهدم ذاته فإلى الحد الذى يكشف به الفرد عن بروز دافع المكانة لديه ـ ينتهى به الأمر إلى أن يصبح أسيراً للبحث عن المكانة عاجلاً أو آجلاً .

ولعل إحدى تجاربى الشخصية توضح هذه النقطة فإذا كان لأحد كتبى الستة عشر أن يعتبر قد حقق نجاحاً فإنه ذلك الذى خططت لأن ينشر غفلاً من اسم المؤلف ، وإن كان بعض الأصدقاء قد نصحونى بأن ادع الناشر يضع اسمى عليه [٧] ، إلا أن ذلك لم يحدث إلا بعد أن اتممت إعداده . أليس مما يثير العجب أن هذا الكتاب بالذات الذى كتبته وأنا مقتنع بأنه لن ـ ولا يمكنه أن ـ يحقق أى نجاح أو رواج ، هذا الكتاب بالذات هو الذى حقق النجاح بالفعل . لعل فى هذا ما يكون عظة للكتاب صغار السن كى يطيعوا ما يمليه عليهم ضميرهم العلمى أو الفنى ، أيًا كانت الحالة ، وألا يأبهوا للنجاح . فالنجاح والسعادة لا بد أن يحدثا ، وكلما قل الإكتراث بهما ، ازداد احتمال حدوثهما .

وفى النهاية ، فإن دافع المكانة أو إرادة القوة فى جانب ، ومبدأ اللذة أو ما

---

(٧) ظل اسم المؤلف غير مطبوع على الغلاف عندما نشرت الطبعة الأصلية بالألمانية.

Twitter: @abdullah_1395

يمكن تسميته بإرادة اللذة فى الجانب الآخر هما مجرد مشتقات ثانوية للاهتمام الأولى للإنسان وهو إرادته للمعنى ـ وهو المفهوم الثانى من ثالوث المفاهيم التى يستند إليها العلاج بالمعنى . وما أطلق عليه اسم « إرادة المعنى » يمكن تعريفه بأنه المسعى الأساسى للإنسان لكى يجد ويحقق معنىً وهدفًا .

ولكن ما هو المبرر الذى من أجله تعتبر إرادة القوة وإرادة اللذة مجرد مشتقات لإرادة المعنى ؟ ببساطة لأن اللذة ليست هى غاية وهدف مساعى الإنسان ، وإنما بالأحرى نتيجة لتحقق المعنى . ولأن القوة ليست غاية فى حد ذاتها ، وإنما هى بالأحرى وسيلة لغاية معينة . وإذا كان للإنسان أن يعايش تحقيق إرادته للمعنى ، فإنه لا يستطيع الإستغناء عن قدر معين من القوة ـ ولتكن القوة المالية مثلاً . فقط عندما يحبط الإهتمام الأصيل للإنسان بتحقيق المعنى ، فإنه إما أن يصبح قانعاً بالقوة ، أو مستغرقًا فى اللذة .

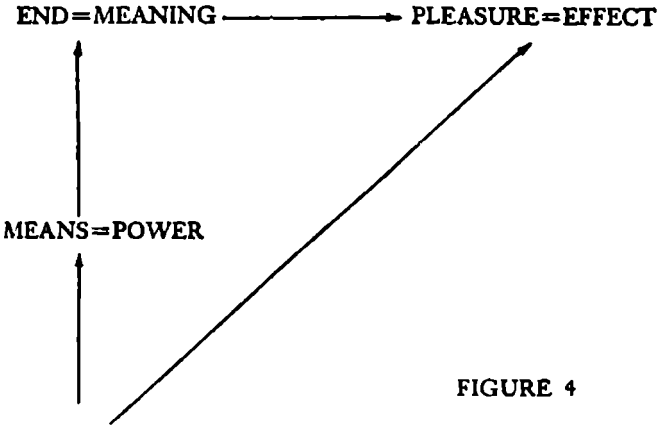

FIGURE 4

Twitter: @abdullah_1395

فالسعادة والنجاح ما هما إلا نتاجين * لتحقق المعنى . ولهذا السبب فإن مبدأ اللذة وإرادة القوة هما مجرد مشتقات لإرادة المعنى . وحيث أن تطورهما يستند إلى تشوه عصابى للدافعية الأصلية للإنسان ، فمن الممكن إذن أن نفهم كيف أن مؤسسى مدارس العلاج النفسى التقليدية ـ الذين كان عليهم التعامل مع العصابيين ـ طوروا نظرياتهم عن الدافعية فقط على أساس من الدافعية العصابية النموذجية التى لاحظوها خلال علاجهم لمرضاهم .

وهكذا يمكن أن نتعقب آثار الإفراط فى القصد إلى اللذة بالرجوع إلى احباط قصد آخر أكثر أساسية . ودعونى أوضح ذلك بهذه النكتة : رجل يلتقى بطبيب العائلة فى الطريق فيسأله الطبيب : كيف حالك يا سيد چونز ؟ فيرد عليه الرجل : عفواً ؟ ، فيسأله الطبيب ثانية : **كيف حالك** ؟ فيجيب الرجل : كما ترى . أن قدرتى على السمع تسوء . فقال الطبيب : بالطبع أنك تشرب كثيراً ، توقف عن الشراب عندئذ سوف يتحسن سمعك . وبعد عدة أشهر التقيا مرة أخرى فسأل الطبيب : **كيف حالك يا سيد چونز** ؟ . فرد الرجل : لا تصرخ هكذا ، أنا أسمع جيداً . فقال الطبيب : لابد أنك أقلعت عن الشراب . فقال الرجل : هذا صحيح . وبعد عدة أشهر التقيا مرة ثالثة ، ولكن كان على الطبيب أن يرفع صوته كى يسمعه الرجل ، فقال : هل عدت إلى الشراب مرة أخرى ؟ فأجاب الرجل : انصت إلى يا دكتور ، فى البداية كنت أشرب فضعف سمعى ، ثم توقفت عن الشراب فتحسن

---

* فى الأصل الانجليزى استخدمت كلمة substitutes وترجمتها (بديلين لتحقق المعنى) ولكن المترجمة رأت أن المعنى يستقيم بصورة أفضل باستخدام لفظ نتاجين. (هامش الترجمة)

Twitter: @abdullah_1395

سمعى، ولكن ما سمعته لم يكن لذيذاً كالويسكى .

فهذا الرجل قد أحبطه ما كان عليه أن يسمع بعدما تحسن سمعه ، ولهذا فقد عاود الشراب . ونظراً لأن ما سمعه لم يعطه سبباً للسعادة ، فقد بدأ يبحث عن السعادة نفسها . وحتى السعادة التى تحققت بسبب اللذة نتجت عن تحول بيوكيمائى بواسطة الكحول . وكما نعرف ، فإن السعادة لا يمكن أن تتحقق عن طريق القصد المباشر إليها . ولكن كما نلاحظ فإنها من الممكن أن تتحقق من خلال وسط بيوكيمائى . إذن فالإنسان الذى يفتقر إلى مبرر للذة يزود نفسه بسبب يكون نتيجة اللذة . ولكن ما الفرق بين المبرر والسبب ؟ إن المبرر دائماً يكون شيئاً نفسياً أو معنوياً ، فى حين أن السبب يكون دائماً شيئاً بيولوچياً أو فسيولوچياً . فإذا انت قطعت البصل فليس هناك مبرراً لأن تبكى ، ومع ذلك فإن لدموعك سبب . ولكن إذا كنت يائساً فإن هناك مبرراً لأن تبكى . أو أن متسلق جبال حقق ارتفاعاً قدره عشرة آلاف قدم ، وشعر بالحزن والغم ، فإن لمشاعره هذه إما مبرر أو سبب . فإذا كان يعرف أن معداته وتجهيزاته ضعيفة وأن تدريبه غير كاف فإن لمشاعره مبرر . ولكن يمكن أن يكون مجرد سبب ـ وهو نقص الأوكسچين .

والآن دعونا نرجع إلى مفهوم إرادة المعنى وهذا افتراض يتسق مع « الميول الأساسية » لشارلوت بولر [٨] . لأنه طبقاً لنظريتها الخاصة بتحقيق الهدف النهائى ،والميول الأربعة الأساسية التى تخدم تحقيق الهدف ، فإن ما يقصد

(8) Charlotte Buhler, "Theoretical Observations about Life's Basic Tendencies ", American Journal of Psychotherapy 13 : 561, 1959 .

Twitter: @abdullah_1395

بالتحقيق هنا هو تحقيق المعنى وليس تحقيق الذات أو تحقق الذات .

فتحقق الذات ليس الغاية النهائية للإنسان ، وليس حتى مقصده الأول . فإذا جعلنا من تحقق الذات غاية فى حد ذاته ، فإن ذلك يتعارض مع خاصية التسامى على الذات المميزة للوجود الإنسانى . فتحقق الذات ـ كالسعادة ـ نتيجة ، نتيجة لتحقيق المعنى . وفقط إلى الحد الذى يحقق فيه الإنسان معنى فى هذا العالم ، فإنه يحقق ذاته . وإذا بدأ الإنسان بتحقيق ذاته بدلاً من تحقيق المعنى ، فإن تحقيق الذات يفقد فى الحال ما يبرره .

ويمكننى القول بأن تحقيق الذات هو نتيجة غير مقصودة لقصدية الحياة. ولم يتمكن أحد على الإطلاق من التعبير عن هذا بنفس نجاح الفيلسوف العظيم كارل ياسبرز عندما قال : « إنما الإنسان هو ما صار عليه من خلال تلك القضية التى جعل منها قضيته الخاصة » .

وفى اعتقادى أن الإنسان يفقد أى أساس لتحقيق الذات إذا وجه اهتمامه المباشر لذلك ، وأنا أتفق فى ذلك تماماً مع وجهة نظر مازلو الخاصة . حيث أنه يعترف شخصياً بأن مسألة تحقيق الذات يمكن أن تتم على أفضل وجه من خلال الالتزام بقضية هامة [٩] . ومن وجهة نظرى ، فإن الإهتمام المتزايد بتحقيق الذات يمكن أن نتعقب آثاره إلى احباط المعنى . وكما يعود البوميرانج إلى الصياد فقط عندما يضل الطريق إلى هدفه ، فإن الإنسان

---

(9) Abraham H. Maslow, Eupsychian Management : A Journal, R. Irwin, Homewood, Illinois, 1965, P.136.

Twitter: @abdullah_1395

أيضاً يعود إلى ذاته وإلى القصد إلى تحقيق ذاته فقط إذا ضل الطريق إلى رسالته [١٠].

وما يصدق على اللذة والسعادة يصدق أيضاً على « الخبرات ـ القمة » Peak - Experiences في تصور مازلو . فهذه الخبرات أيضاً يجب أن تظل نواتج . كما أنها أيضاً تنشأ تلقائياً ولا يمكن تعقبها أو البحث عنها . ومازلو نفسه من شأنه أن يوافق على هذه العبارة لأنه يعتقد أن البحث عن القمم يشبه بعض الشيء البحث عن السعادة [١١]. بل وأكثر من ذلك ، فإنه يسلم بأن كلمة « خبرات ـ قمة » هى من قبيل التعميم [١٢]. وعلى أى حال ، فإن هذا يظل تصريحاً أقل مما تقتضيه الحقيقة ، لأن مفهومه أكثر من مجرد تعميم . بل أنه تبسيط مبالغ فيه على نحو ما . ونفس الشيء يصدق على مفهوم آخر ، وهو مبدأ اللذة . فاللذة فى النهاية هى نفس الشيء بصرف النظر عن سببها ، والسعادة هى نفس الشيء بصرف النظر عن مبرر الإحساس بها .

ومرة أخرى فإن مازلو نفسه هو الذى يعترف بأن « خبراتنا الداخلية

---

(10) Victor E.Frankl, Psychotherapy and Existentialism : Selected papers on Logotherapy , Washington square Press , NewYork, 1967 .

(11) Abraham H. Maslow, " Lessons from the Peak-Experiences, " Journal of Humanistic Psychology 2 : 9, 1962 .

(12) Abraham H. Maslow, " Fusion of Facts and Values, " Lecture read before the Association for the Advancement of Psychoanalysis on March 28, 1963 .

Twitter: @abdullah_1395

بالسعادة تتشابه جداً بصرف النظر عما يستثيرها [١٣]. وعن « الخبرات ـ القمة » يشير بعبارة مشابهة إلى الآثار المتماثلة برغم أن المثيرات شديدة الإختلاف : إننا نحصل على هذه الخبرات من رقص الروك آندرول ، ومن جرعات العقاقير والكحول ، ومع هذا فإن الخبرة الذاتية تميل لأن تكون متشابهة .

ومن الواضح أن التعامل مع الأشكال المتشابهة من الخبرات بدلاً من المضامين المختلفة لها يقتضى ضمنياً إغفال خاصية التسامى على الذات المميزة للوجود الإنسانى . ومع ذلك فقد قال اولبورت أن « عقل الإنسان موجه فى كل لحظة إلى قصد ما » [١٤]. وقد أشار شبيجلبرج إلى القصدية على أنها « خاصية للفعل الذى يتجه إلى مفعول به » [١٥]وهو ما يستند إلى إعتقاد برنتانو بأن « كل ظاهرة نفسية تتحدد بالرجوع إلى مضمون ، وبالتوجه إلى موضوع » [١٦]. ولكن حتى مازلو كان على وعى بهذه الخاصية القصدية للخبرة الإنسانية ، وذلك كما اتضح من عبارته : « لا يوجد فى العالم شىء اسمه الإحمرار خجلاً دون أن يكون هناك شىء تخجل منه ، وبعبارة أخرى، فإن الإحمرار خجلاً يعنى دائماً الخجل فى سياق معين » [١٧].

(13) Abraham H. Maslow, " Lessons from the Peak- Experiences, "Journal of Humanistic Psychology 2 : 9, 1962 .
(14) Gordon W.Allport , Personality and Social Encounter , Beacon Press, Boston, 1960 , P.60 .
(15) Herbert Spiegelberg, The Phenomenological Movement, Nijhoff , The Hague, 1960, P.719 .
(16) Franz Brentano, Psychologie vom empirischen Standpunkt, Meiner, Leipzig, 1924, P.125 .
(17) Abraham H. Maslow, Motivation and Personality, Harper & Brothers, NewYork , 1954, P.60 .

Twitter: @abdullah_1395

ومن هنا يمكننا إدراك مدى أهمية النظر إلى الظاهـرة فى علـم النفس « فى سياق » Context، وبعبارة أكثر تحديداً ، النظر إلى ظاهرة مثل اللذة والسعادة والخبرات القمة فى سياق علاقتهم بموضوعاتهم الخاصة ، بمعنى ـ النظر إلى « مبرر » أن يكون الشخص سعيداً ، ومبرر أن يكون عليه المرور بخبرة القـمم والملذات . فعزل الموضوعات على النحو الذى تشير إليه مثل هذه الخبرات سوف يتأدى بالتأكيد إلى إضعاف علم النفس . وهذا هو السبب فى أن السلوك الإنسانى لا يمكن فهـمه فى ضوء افتراضات تذهب إلى أن الإنسان مهتم باللذة والسعادة بصرف النظر عن المبرر الذى يؤدى إليهـما . ومثل هذه النظريات الدافعية تتخطى المبررات التى تختلف فى كل حالة ، من أجل الوصول إلى النتيجة التى تكون نفس الشىء دائماً . الحقيقة أن الإنسان لا يعبأ باللذة والسعادة فى ذاتهما ، وإنما بالأحرى بالأسباب التى يكونا نتيجة لها ، وليكن ذلك تحقيق معنى شخصى أو إلتقاء بكيان إنسانى آخر . وهذا يصدق أيضاً على الإلتقاء بالكيان الإلهى . ومن هنا يتضح كيف يجب أن ننزع إلى الشك فيما يتعلق بالخبرات القمة التى تحدثها عقاقير الهلوسة أو أى نوع آخر من التسمم الكحولى . فإذا كانت الأسباب الكيميائية بدائل للمبررات الروحية ، فإن النتائج تكون زائفة . فالطريق المختصر ينتهى إلى طريق مسدود .

ومن ضمن نوعية الظاهرات التى لا يمكن تعقبها والبحث عنها ، وإنمـا يجب أن تظهر تلقائياً : الصحة والضمير . فإذا سعينا إلى أن يكون لنا ضمير حـى فإننـا لا نعـود جديريـن بأن يكون لنا مثـل هذا الضـمير . وهذه الحقيقة بالتحديد هى التى جعلت منا مرائين متظاهـرين بالصلاح .

Twitter: @abdullah_1395

وإذا جعلنا من الصحة محور اهتمامنا فإننا نمرض ، نصبح مرضى بتوهم المرض hypochondriacs.

والحديث عن الطبيعة المبطلة للقصد ـ والموجودة فى حالة البحث عن اللذة والسعادة وتحقيق الذات والخبرات القمة والصحة والضمير ـ يذكرنى بالقصة التى دعا فيها الرب سليمان النبى لأن يتمنى أمنية . فقال سليمان بعد لحظة تأمل أنه يتمنى أن يصبح قاضياً حكيماً فى شعبه . عندئذ قال الرب : حسناً ياسليمان ، سأحقق أمنيتك وأجعلك أكثر الناس حكمة على الإطلاق . ولأنك لم تأبه بطول العمر والصحة والثروة والقوة فسوف أضمنهم لك بالإضافة إلى ما تمنيت . وبالإضافة إلى كونك أكثر الناس حكمة فسوف أجعلك أكثر الملوك جبروتاً على الإطلاق . وهكذا فقد حصل سليمان على تلك الهبات التى لم يقصد طلبها .

ومن حيث المبدأ ، من المعقول أن نفترض ـ مع انجرسما [١٨] أن مبدأ اللذة الفرويدى هو المبدأ الهادى للطفل الصغير ، وأن مبدأ القوة الآدلرى هو المبدأ الهادى للمراهق أما إرادة المعنى فهى المبدأ الهادى للراشد الناضج . ويقول انجرسما : وهكذا فإن تطور مدارس ڤيينا الثلاث للعلاج النفسى يمكن رؤيته فى صورة تطور انطولوجى للفرد من الطفولة إلى النضج . وعلى أى حال، فإن السبب الرئيسى لاستنباط هذه النتيجة يمكن أن يكون حقيقة أنه فى المراحل الأكثر تبكيراً من التطور لا تكون هناك دلائل على ظهور إرادة

(18) Aaron J.Ungersma, The Search for Meaning : A New Approach to Psychotherapy and Pastoral Psychlolgy . Forward by Victor E.Frankl, The Westminister Press, Philadelphia, 1961 .

Twitter: @abdullah_1395

المعنى . ولكن هذه الحقيقة لا تعود مثيرة للإرتباك حالما ندرك أن الحياة هى جشطالت زمنية Zeitgestalt ، وهى بذلك لا تصبح شيئاً كلياً إلا باكتمال مسيرة الحياة . ولهذا ، فإن ظاهرة معينة يمكن أن تشكل جانباً بناءاً من الإنسانية ، ورغم ذلك لا تتكشف إلا فى مرحلة متقدمة من التطور . ولنرى قدرة إنسانية محضة أخرى ، وهى ابتكار واستخدام الرموز . لا شك فى أنها خاصية إنسانية مميزة ، وذلك برغم أنه ما من أحد قد رأى فى حياته طفلاً وليداً له قدرات لغوية .

وقد سبق أن قلت بأن الإنسان لا يأبه للذة والسعادة فى ذاتهما ، وإنما بالأحرى للأسباب التى تؤدى إليهما . ويكون هذا الأمر أوضح ما يكون فى حالة عدم السعادة . فدعونا نتخيل أن فرداً يعيش مشاعر الحداد لوفاة شخص محبوب ، فإذا نصحه أحدهم بتناول بعض الحبوب المهدئة لتخفيف حالة اكتئابه ـ وباستثناء حالة الهروب العصابى ـ فمن المؤكد أنه سيرفض تهدئة أحزانه ، وسوف يتعلل بأن ذلك لن يغير من الأمر شيئاً ، وأن الشخص المحبوب لن يعود حياً بهذه الطريقة . بعبارة أخرى ، فإن سبب اكتئابه سوف يبقى قائماً . أى أنه سيكون مهتماً بسبب اكتئابه وليس بإزالة اكتئابه ، إلا إذا كان فرداً عصابياً . فسوف يبقى واقعياً بالقدر الكافى لأن يعرف أن اغماض العينين عن حدث معين لا يذهب بهذا الحدث . وأعتقد أن العالم يجب أن يكون واقعياً على الأقل كالإنسان السوى ، فيستكشف سلوك الإنسان فى سياق إطاره القصدى .

Twitter: @abdullah_1395

وقد قدم كرامبو وماهوليك [١٩] تأييداً امبيريقياً لمفهوم إرادة المعنى حيث قالا : « تنزع المعلومات المبنية على الملاحظة والتجريب إلى تأييد الدافع الإفتراضى فى الإنسان الذى قاله به فرانكل » . وهذا يثير التساؤل عما إذا كان من المشروع الحديث عن إرادة المعنى على أنها « دافع لدى الإنسان » ، أنا لا أظن ذلك . لأننا لو نظرنا إلى إرادة المعنى على أنها مجرد دافع آخر ، فسوف نرى الإنسان مرة أخرى بوصفه كائناً يهتم أساساً باتزانه الداخلى . من الواضح أنه سوف يعمل على تحقيق المعنى من أجل إرضاء دافع المعنى ، أى من أجل استعادة اتزانه الداخلى فلن يعمل على تحقيق المعنى من أجل المعنى، وإنما من أجل نفسه .

ولكن حتى بعيداً عن الإلتزام بمبدأ الهوميوستازس ، فإن النظر إلى الإهتمام الأول للإنسان على أنه دافع لن يكون سوى توصيف غير دقيق لحقيقة الأمور . والملاحظة غير المنحازة لما يجرى للإنسان عندما يكون متوجهاً إلى معنى يمكن أن تكشف عن الفرق الرئيسى بين أن يكون المرء مدفوعاً إلى شيء من ناحية وبين أن يكون ساعياً إلى شيء من ناحية أخرى . وأنه من المعلومات التى تكتسب مباشرة من الخبرة بالحياة أن الإنسان مدفوع بدوافع ولكنه مجتذب بالمعنى ، وهذا يعنى أن الأمر يرجع إليه فى تحديد ما إن كان يرغب فى تحقيق المعنى أو لا يرغب . وهكذا فإن تحقيق المعنى يتضمن دائماً صنع القرار .

---

(19) James C.Crumbaugh and Leonard T. Maholick,"The Case for Frankl's Will to Meaning ", Journal of Existential Psychiatry 4: 43, 1963 .

Twitter: @abdullah_1395

ولهذا أتحدث عن « إرادة » المعنى لكى امنع سوء تفسير المفهوم وكأنه « دافع » إلى المعنى . ولا يتعلق الأمر على الإطلاق بتحيز اختيارى فى إطلاق المصطلح . وقد صدق رولوماى [٢٠] عندما ذهب إلى القول بأن « المدخل الوجودى أعاد القرار والإرادة إلى مقدمة الصورة وأن المعالجين الوجوديين قد اهتموا بمشكلات الإرادة والقرارات بوصفها مشكلات مركزية فى عملية العلاج » . أى أن هذا الحجر الذى أهمله عامل البناء أصبح حجر الأساس . ولكن أحب أن أضيف إلى ذلك أنه يجب علينا أيضاً أن ننتبه كى لا نرتد إلى الوعظ بقوة الإرادة ، أو تعليم النزعة الإرادية . فالإرادة لا يمكن طلبها أو التحكم فيها أو الأمر بها . فالمرء لا يمكن أن يريد الإرادة . وإذا كان من الممكن انتزاع إرادة المعنى ، لأمكن توضيح وشرح المعنى نفسه .

وتعتقد شارلوت بولر [٢١] أن وظيفية الكائن السوى تعتمد على التأرجح بين تفريغ التوترات وتصعيدها . وأعتقد أن هذا التناوب الذى يتسم به تطور الوجود الفردى ، يتوازى مع مثيله الذى يتسم به تطور الوجود البشرى . فهناك فترات من التزايد والتناقص فى التوتر يمكن أيضاً ملاحظتها فى تاريخ الإنسانية. فعصر فرويد كان عصراً للتوتر الناتج عن كبت الجنس على مستوى العامة . ونحن نعيش الآن عصر إطلاق الحرية ، وخاصة فيما يتعلق بالجنس . فقد كان هناك ناس يعيشون فى البلاد الأنجلوساكسونية عانوا طويلاً ـ نتيجة للنزعة التطهرية ـ من كبت الجنس على كل المستويات . وكما أشرت فى الفصل

(20) Rollo May, " Will, Decision and responsibility, " Review of Existential Psychology and Psychiatry 1 : 249, 1961 .
(21) Charlotte Buhler , " Basic Tendencies in Human Life : Theoretical and Clinical Considerations, " in Sein und Sinn, edited by R. Wisser, Tubingen, 1960 .

Twitter: @abdullah_1395

الأول ، فإن الخدمة التى أسداها لهم فرويد جعلتهم يشعرون بأنهم مدينين له مدى الحياة ، وهذا الشعور بالدين مدى الحياة قد يكون السبب فى المقاومة غير العقلانية ضد المداخل الجديدة للطب النفسى التى ذهبت إلى أبعد مما ذهب إليه التحليل النفسى .

واليوم يفتقر الناس إلى التوتر . ويرجع هذا الإفتقار إلى التوتر فى المقام الأول إلى ذلك الفقدان للمعنى الذى وصفته على أنه فراغ وجودى ، أو إحباط لإرادة المعنى .

لقد تساءلت بيكى ليت Beckey Leet فى مقال افتتاحية صحيفة جامعية بجامعة چورچيا : « إلى جيل شباب اليوم ، إلى أى مدى يصدق فرويد وآدلر؟ لقد اعتمدنا على حبوب منع الحمل كى نتحرر من النواتج المنغصة لممارسة الجنس ـ واليوم لا توجد حاجة طبية لنكون محبطين ومقموعين . ولدينا القوة المؤثرة ـ انظر إلى حساسية السياسيين الأمريكيين تجاه القطاع الجماهيرى فى سن الخامسة والعشرين فأقل ، أو انظر إلى الحرس الأحمر الصينى . على الجانب الآخر يقول فرانكل أن الناس اليوم يعيشون فى فراغ وجودى ، وهذا الفراغ الوجودى يكشف عن نفسه أساساً فى حالة من الشعور بالملل . الملل ـ هل تبدو الكلمة مألوفة ؟ كم من الناس الذين تعرفهم يصرحون بشكواهم من الشعور بالملل . حتى برغم أن كل شىء أصبح فى متناول ايدينا بما فى ذلك جنس فرويد وقوة آدلر . أن هذا يجعلك تتساءل لماذا، وقد تكون الإجابة لدى فرانكل » .

وبالطبع انه لا يملك الإجابة . وعلى أى حال ، فليست وظيفة العلاج

Twitter: @abdullah_1395

بالمعنى أن يعطى أجوبة . ولكن وظيفته بالأحرى هى كالعامل المساعد فى التفاعل الكيمائى . وقد وصف هذه الوظيفة أمريكى شاب كتب إلىّ من ڤيتنام : « لم أجد بعد إجابة لتساؤلاتى من فلسفتك ، ولكنك ساعدتنى بأن جعلت عجلات تحليلى لذاتى تدور مرة أخرى » .

إلى أى مدى يدعم التعليم الفراغ الوجودى ويسهم فى إنقاص التوتر ؟ إن تعليماً مازال يستند إلى نظرية الهوميوستازس يقود خطاه مبدأ أنه يجب إسناد أقل ما يمكن من المطالب إلى الشباب . ولكن يجب أن نأخذ فى اعتبارنا حقيقة أنه ـ على الأقل فى يومنا هذا ـ فى عصر مجتمع الوفرة يعانى معظم الناس من ضآلة المطالب لا من إفراطها . فمجتمع الوفرة هو مجتمع قليل المطالب تتناقص فيه توترات الناس .

وعلى أى حال ، فإن الناس الذين يفتقرون إلى التوتر يميلون إلى اختلاقه ، سواء بطريقة صحية أو بطريقة غير صحية . وعن الطريقة الصحية ، يبدو لى أن وظيفة الرياضة هى أن تسمح للناس بمعايشة حاجتهم إلى التوتر من خلال فرض مطالب معينة على أنفسهم طواعية ، هذه المطالب التى جنبهم إياها المجتمع قليل المطالب . بل وأكثر من ذلك ، فبعض صور الزهد على ما يبدو لى تكون متضمنة فى الرياضة . وهكذا فإنه لا يوجد مبرر لكى نشعر بالرثاء ـ مثل عالم الإجتماع الألمانى أرنولد جيلين [٢٢] ـ لأنه لا يوجد بديل دنيوى يحل محل فضيلة الزهد فى العصور الوسطى .

أما عن الطريقة غير الصحية التى يختلق بها التوتر ، خاصة بين الشباب ،

(22) Arnold Gehlen, Anthropologische Forschung, Rowohlt, Hamburg, 1961

Twitter: @abdullah_1395

فدعونا نتأمل جماعتان من الشباب تسميان بالبيتنيكس beatniks والهوليجانز hooligans . فهم يستثيرون رجال الشرطة كما هو الحال فى ڤيينا أو فى الساحل الأمريكى الشرقى ، وهم يلعبون لعبة الخوف*. هؤلاء الناس يخاطرون بحياتهم بنفس طريقة الذى يدمن التزلج على الماء ، وهم يهربون من المدارس وينقطعون عن الدروس ، كما هو الحال فى الساحل الأمريكى الشرقى . وأنا هنا لا أقصر اعتقادى على الأشخاص المدمنين أو الذين يتعاطون عقار الهلوسة ليحصلوا على الإثارة أو النشوة . وفى انجلترا يقاتل المودز Mods والروكرز Rockers بعضهم البعض . وفى اوسلو ، اوقف المخربون السابقون بنجاح النشاط التخريبى للمتلكات العامة . ففى كل ليلة تحرس دستة من المتطوعين الذين تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشر والثامنة عشر حوض سباحة منتزه فروجنر ، ويطوفون بالسيارات فى شوارع اوسلو ليمنعوا تخريب وتمزيق المقاعد. وتقول التقارير الخاصة بموضوع هؤلاء الفتيان ـ وأكثر من نصفهم كانوا ينتمون إلى جماعة الهوليجانز ـ إنهم يجدون إثارة فى أن يكونوا فى جانب القانون وضده أيضاً . وهذا يعنى أنهم يبحثون عن الإثارة والتوتر ، هذا التوتر الذى أفقدهم المجتمع الشعور به .

أما التعليم فيتجنب مواجهة الشباب بالمثل والقيم . فهم محجوبون . وهناك سمة للثقافة الأمريكية تصدم الأوروبيين وهى الفكرة القهرية الخاصة بتجنب أن يكون المرء ذا سلطة ، أو تجنب حتى مجرد أن يكون موجهاً لغيره .

---

* Chicken : لعبة تستخدم فيها السيارات ينهزم فيها الذى يخاف أولاً وينحرف بسيارته . وأحياناً لا يخاف اللاعبون فتصطدم السيارات وتحدث نتائج مروعة . (هامش ترجمة)

Twitter: @abdullah_1395

وقد ترجع هذه الفكرة القهرية فى أسبابها إلى النزعة التطهرية . وهى نزعة فاشيستيه ديكتاتورية أخلاقية . أى سيطرة الفكرة القهرية بألا يواجه الشباب بمثل وقيم قد تكون تعبيراً عن تكوينات مضادة reaction pormation .

فهؤلاء الذين تسيطر عليهم هذه الفكرة القهرية بشكل جماعى يخشون أن المعنى والغرض الذى يفرض علينا ، قد يكون ناتجاً عن استعداد ذاتى مضاد للمثل والقيم . وهكذا ، نفرغ الحمام من الطفل مع ماء الإستحمام ، أى نتخلص من كل المثل والقيم معاً . وعلى أى حال ، فإن رئيس قسم الطب النفسى والأعصاب والعلوم السلوكية فى جامعة أوكلاهوما ـ كلية الطب : ل . ج . وست [٢٣] صرح مؤخراً بالعبارة التالية : « أن شبابنا يستطيع تحمل متطلبات المثالية لأنهم أول جيل لمجتمع الوفرة . ومع ذلك فإنهم لا يستطيعون تحمل متطلبات المادية ، سواء كانت جدلية أو رأسمالية . لأنهم أول جيل قد يرى نهاية العالم . فشبابنا من الجنسين قد تعلموا ما يكفى لأن يعرفوا أن مثال التآخى الإنسانى هو فقط الذى يستطيع أن ينجيهم وينجى عالمهم » . من الواضح أنهم يعرفون ذلك . ودعونى انقل لكم ما حدث فى اقتراع لابداء الرأى قامت به نقابة التجارة النمساوية .فإن سبعة وثمانين بالمائة من ألف وخمسمائة شاب أدلو برأيهم عبروا عن اقتناعهم بأنه من الجدير بالإهتمام أن يكون لنا مثاليات . فحتى على مستوى العامة تبدو المثاليات هى وسيلة البقاء . هذا الإقتباس ـ على سبيل التغيير بدلاً من أن نقتبس عن علماء نفس

(23) Louis Jolyon West, " Psychiatry, Brainwashing, and the American Character," American Journal of Psychiatry 120 : 842, 1964 .

Twitter: @abdullah_1395

الأعماق ـ كان عن عالم نفس المرتفعات (إن صح التعبير) چون هـ . جلين [٢٤] .

فعلى العكس مما تذهب إليه نظرية الهوميوستازس ، فإن التوتر ليس شيئاً يجب تجنبه دائماً وعلى نحو غير مشروط . كما أن سلام النفس أو سلام الروح ليس أى شيء يمكن الإعتراف به على نحو غير مشروط ، فإن قدراً معقولاً من التوتر ـ مثل الذى يستثيره معنى يجب تحقيقه ـ يشكل جزءاً من أن يكون الفرد إنساناً ، ولا يمكن الإستغناء عنه من أجل سلامة العقل والنفس . فما يحتاجه الإنسان فى المقام الأول هو ذلك التوتر الذى يخلقه التوجه نحو شيء ما . وقد قال فرويد [٢٥] فى أحد المرات : « أن الرجال يكونون أقوياء طالما هم يدافعون عن فكرة قوية » . وفى الحقيقة فإن هذا الرأى قد تم اختباره فى كل من معسكر أسرى الحرب اليابانيين والكوريين الشماليين (ناردينى [٢٦] وليفتون [٢٧] على التوالى) وأيضاً فى معسكرات الإعتقال . وحتى تحت الظروف الطبيعية فإن التوجه نحو معنى قوى يعد عامل من عوامل تحسن الصحة وإطالة العمر ـ أن لم يكن الحفاظ على

---

(24) John H. Glenn , The Detroit News, February 20, 1963 .

(25) Sigmund Freud , Gesammelte Werke, Vol . 10 P.113 .

(26) J.E. Nardini, "Survival Factors in American Prisoners of War", American Journal of Psychiatry 109 : 244, 1952 .

(27) Robert J. Lifton, " Home by Ship : Reaction Patterns of American Prisoners of War Repatriated from North Korea " , American Journal of Psychiatry, 110 : 732, 1954 .

Twitter: @abdullah_1395

الحياة . وذلك ليس لصالح الصحة الجسمية فقط ، بل وأيضاً الصحة النفسية (كوتشن [٢٨]) .

ودعونى أشير إلى ما حدث العام الماضى فى الحرم الجامعى لجامعة كاليفورنيا فى بيركلى . عندما بدأت فترة فرق الحراسة* فإن أعداد المقبولين بقسم الطب النفسى ومستشفى الطلبة تناقص فجأة ثم عاد وازداد زيادة حادة حالما انتهت تلك الفترة . ولعدة أشهر وجد الطلبة معنى فى حركة حرية ـ الحديث .

ويذكرنى الحديث عن الحرية بما حدث لى منذ سنوات مضت عندما كنت ألقى محاضرة فى جامعة أمريكية . أخبرنى فرويدى أمريكى شهير ـ فى تعقيبه على مقالة قرأتها ـ بأنه عائد لتوه من موسكو . وهناك قال أنه وجد معدلاً أقل للأعصبة إذا قورن بمعدلاتها فى الولايات المتحدة . وأضاف أن ذلك قد يرجع إلى حقيقة أن الناس فى الدول الشيوعية ـ كما شعر هو بذلك ـ يواجهون أكثر بمهام يجب أن يتموها . واختتم تعقيبه قائلاً : « أن هذا يؤيد نظريتك ، فالتوجه إلى معنى معين والتوجه إلى مهمة معينة شىء مهم فيما يتعلق بالصحة النفسية » .

وبعد عام طلب منى بعض أطباء النفس البولنديين أن ألقى عليهم مقالاً

(28) Theodore A. Kotchen, " Existential Mental Health : An Emperical Approach, " Journal of Individual Psychology 16 :174, 1960 .

* Picketing : وهو دور يقوم به بعض الأفراد لحراسة منشأة ما أضرب عما لها مثلاً ، وذلك بمنع الحركة الطبيعية للمنشأة من خلال اقناع مرتاديها بتأييد المضربين (هامش الترجمة)

Twitter: @abdullah_1395

عن العلاج بالمعنى ، وعندما فعلت ذلك اقتبست فكرة المحلل النفسى الأمريكى وقلت لهم : انكم أقل عصابية من الأمريكيين لأن لديكم مهام أكثر يجب أن تتموها » . فابتسموا اعتداداً بأنفسهم ، فاستطردت : « ولكن لا تنسوا أن الأمريكيين قد استعادوا الحرية لكى يختاروا المهام الخاصة بهم . وهى حرية يبدو لى أحياناً انكم تتجاهلونها » . فتوقفوا عن الإبتسام .

كم يكون لطيفاً أن يندمج الشرق والغرب ، وأن تمتزج المهام بالحرية . فالحرية بهذا يمكن أن تنمو على نحو أكثر اكتمالاً . إنها حقاً مفهوم سلبى يتطلب تكملة إيجابية [٢٩] . والتكملة الإيجابية هنا هى المسئولية . والمسئولية تتضمن الإشارة إلى قصدين ، أولهما أنها تشير إلى معنى نكون مسئولين عن تحقيقه ، وثانيهما أنها تشير إلى كيان نكون مسئولين أمامه . ولهذا فإن ادراكنا لروح الديمقراطية يكون ذو جانب واحد إذا فهمناها على أنها حرية بدون مسئولية .

فالحرية تهدد بالإنحطاط إلى مجرد الفوضى ما لم ينظر إليها فى ضوء المسئولية . وأحب أن أقول بأن « تمثال الحرية » فى الساحل الشرقى يجب تعزيزه « بتمثال المسئولية » فى الساحل الغربى .

---

(٢٩) نفس الشىء يصدق على الكثير من المفاهيم المتضمنة فى حركات التمرد والإحتجاج . فكثير من الإحتجاجات بالفعل تقاتل ضد شىء ما بدلاً من أن تقدم بدائل إيجابية تقاتل من أجلها .

Twitter: @abdullah_1395

الفصل الثالث
مـا المقصـود بالمعنـى ؟

لقد حاولت أن أوضح أن الوجود يتداعى إذا لـم تكن هنـاك « فكرة قوية » ـ على حد تعبير فرويد ـ أو مثال قوى يتمسك به الفرد . ونقتبس هنا عن ألبرت أينشتاين قوله : « أن الإنسان الذى يعتبر حياته بلا معنى ليس مجرد إنسان غير سعيد ، ولكنه يكاد لا يصلح للحياة » .

وعلى أى حال ، فإن الوجود ليس قصدياً وحسب ، وإنما هو متسامى أيضاً . فالتسامى على الذات هو جوهر الوجود . وكون الإنسان إنساناً يعنى توجهه إلى شىء آخر غير ذاته . واقتباساً عن رودلف ألرس [1] « فإنه يندرج تحت هذه الغيرية أيضاً غيرية المرجع القصدى الذى يتوجه إليه السلوك الإنسانى » ـ ومرة أخرى اقتباساً عن رودلف ألرس [2] بذلك « ينشأ عالم ما وراء الذاتية trans - subjective . على أى حال لقد أصبح من دواعى الموضة إضافة الغموض على مفهوم ما وراء الذاتية هذا . وتحت تأثير الوجودية تم تركيز الأضواء على « ذاتية » الكينونة الإنسانية . وفى الحقيقة أن ذلك يعتبر سوء تفسير للوجودية . وهؤلاء المؤلفين الذين يدعون أنهم تغلبوا على الفجوة بين الذات والموضوع لا يدركون أنه لا يوجد ـ مثلما يمكن أن

---

(1) Rudolf Allers, " The Meaning of Heidegger, " The New Scholasticism 26 : 445, 1962 .

(2) Rudolf Allers," Ontoanalysis : A New Trend in Psychiatry, " Proceedings of the American Catholic Philosophical Association , 1961, P.78 .

Twitter: @abdullah_1395

يكشف عنه تحليل فينومينولوچى حق ـ مثل هذا الشيء الذى هو معرفة خارجة عن المجال القطبى المتوتر القائم بين الذات والموضوع . هؤلاء المؤلفون تعودوا الحديث عن « الوجود فى العالم » . ولكن ، لكى نفهم هذه العبارة جيداً ، يجب أن ندرك أن كون الإنسان إنساناً يعنى أساساً أن يكون منشغلاً ومشتبكاً بموقف ، ومواجه بعالم لا تكون موضوعيته وواقعيته بحال مختزلة بواسطة ذاتية هذه « الكينونة » التى هى « فى العالم » .

والإبقاء على « غيرية » وموضوعية الموضوع تعنى الإبقاء على التوتر القائم بين الذات والموضوع . هذا التوتر يشبه تماماً التوتر القائم بين أنا اكون I am وينبغى أن اكون I aught [٣] بين الواقع والمثال ، بين الكينونة والمعنى. وإذا كان لهذا التوتر أن يبقى ، فيجب ألا يتطابق المعنى مع الكينونة . أريد أن أقول أن معنى المعنى هو توجيه خطى الكينونة .

وأحب أن أقارن هذه الضرورة بتلك القصة التى جاءت فى التوراة : عندما كان بنو اسرائيل يتيهون فى البرارى ، تجلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ لهم فى هيئة سحابة ، وبهذه الطريقة فقط أمكن لبنى اسرائيل أن يهتدوا . من ناحية أخرى ، تخيل لو حدث أن وجود الله ـ المرموز إليه بالسحابة ـ قد توسط بنى اسرائيل ، فبدلاً من هدايتهم لتسببت السحابة فى تغييم كل شيء ، ولضل بنو اسرائيل .

فى ضوء ذلك يمكننا أن نرى مخاطرة « الخلط بين الحقائق والقيم » ،

---

(3) Victor E. Frankl, Psychotherapy and Existentialism : Selected Papers on Logotherapy. Washington Square Press . NewYork, 1967

Twitter: @abdullah_1395

كما يحدث فى « الخبرات القمة وأصحاب تحقيق الذات » [٤] حيث تختلط فى الخبرات القمة « يكون » is بينبغى Ought [٥]. وعلى أى حال ، فكون الإنسان إنساناً يعنى أن يواجه معنى وقيماً يجب تحقيقها . أى العيش فى مجال التوتر القائم بين الواقع وبين المثاليات التى يتم العمل على تحقيقها . فالإنسان يعيش بالمثل والقيم ، ولا يكون الوجود الإنسانى أصيلاً authentic إلا إذا كان يعاش فى ضوء التسامى على الذات .

أن الإهتمام الأصيل والطبيعى للإنسان والمنصب على المعنى والقيم يتعرض للخطر نتيجة لسيطرة النزعة الذاتية والنزعة النسبية . فمن شأن أى من هاتين النزعتين أن تودى بمثالية الإنسان وحماسه .

ودعونى ألفت أنتباهكم للمثال التالى المقتبس عن سيكولوجى أمريكى : « يشعر تشارلز بالغضب على نحو خاص عندما يتسلم كشف الحساب من أحد المهنيين ، كالطبيب أو طبيب الأسنان ، مقابل خدماتهم . وأنه إما أن يدفع جزء من الأتعاب أو لا يدفع أى شىء .. أما اتجاهى الخاص من الديون فيختلف تماماً . فأنا أضع قيمة عظمى لتسديد التزاماتى فى الحال . ولكن فى هذا الموقف لم أناقش القيم الخاصة بى ، ولكنى بدلاً من ذلك ركزت الاهتمام على سيكوديناميات سلوكه لأن ـ حاجتى القهرية إلى التسديد الفورى لها دوافع عصابية . وأنا لا أحاول شعورياً تحت أى ظرف أن أوجه أو

---

(4)Abraham H. Maslow, European Management : A Journal, R. Irwin, Homewood, Illinois, 1965 .

(5) Abraham H. Maslow , " Lessons from the Peak - Experiences ", Journal of Humanistic Psychology 2 : 9, 1962 .

Twitter: @abdullah_1395

أحث المريض على أن يتبنى القيم الخاصة بى لأنى على اقتناع بأن القيم نسبية وليست مطلقة [٦].

أما أنا فأعتقد أن تسديد التزامات المرء قد يكون له معنى بصرف النظر عما إذا كان المرء يحب ذلك أم لا ، ويصرف النظر عما قد يتضمنه ذلك من معنى لا شعورى . لقد صدق جوردون أولبورت عندما قال فى أحد المرات : « لقد كان فرويد متخصصاً بالتحديد فى تلك الدوافع التى لا يمكن أخذها بمعناها الظاهرى » [٧] . وحقيقة أن مثل هذه الدوافع موجودة لا تنفى حقيقة وجود دوافع أخرى كثيرة يمكن أخذها بمعناها الظاهرى . وإذا انكرنا هذا ، فما عساها أن تكون الدوافع اللاشعورية الخفية وراء هذا الإنكار ؟

ودعونا نستعرض مراجعة نشرها د. چوليوس هوشر عن مجلدين نشرهما محلل نفسى فرويدى شهير خصصهما عن جوته . فى هذه المراجعة[٨] يصور لنا المؤلف ـ فى ١٥٣٨ صفحة ـ عبقرياً له سمات مرضى ذهان الهوس ـ الإكتئابى ، والبارانويا ، والإضطراب الصرعى ، والجنسية المثلية والمحارمية والنظارية ، والإستعراضية ، والفيتيشية ، والعجز الجنسى ، والنرجسية ، والعصاب القهرى ، والهيستريا وجنون العظمة وغيرها . فهو

---

(6) James S. Simkin , in Charlotte Buhler, Valus in Psychotherapy, Free Press of glencoe , NewYork, 1962 .

(7) Gordon W. Allport, Personality and Soaial Encounter, Beacon Press, Boston , 1960 .

(8) Julius Heuscher, " Book Review, " Journal of Existentialism 5 · 229. 1964 .

Twitter: @abdullah_1395

على ما يبدو يركز على القوى الفطرية الدينامية المتضمنة فى الإنتاج الفنى . أى أنه يقودنا إلى الإعتقاد بأن أعمال جوته ليست سوى نتيجة لتثبيتات قبل تناسلية . وأن كفاحه لا يهدف حقيقة إلى مثال أو جمال أو قيم ، وإنما إلى محاولة للتغلب على مشكلة محرجة تتمثل فى القذف المبكر » . وينتهى مؤلف المراجعة إلى أن « هذين المجلدين يريانا مرة أخرى أن الموقف الأساسى للتحليل النفسى لم يتغير فى الحقيقة » .

وقد نفهم الآن لماذا كان ويليام ايروين تومبسون محقاً عندما سأل : إذا استمر معظم المتعلمين فى حضارتنا فى النظر إلى العباقرة على أنهم منحرفون جنسيون متنكرون ، وإذا استمروا فى الإعتقاد بأن كل القيم أوهام خادعة يقنع بها الرجل العادى لا العالم الحاذق الذى يعرف أفضل . فلماذا نقلق عندما يظهر العامة فى حضارتنا احتراماً قليلاً للقيم ، وبدلاً من ذلك يضيعون فى عربدة الإتلاف والجريمة واللا أخلاقية ؟ [٩] .

هنا يثور تساؤل صغير عندما تفرض مثل هذه الأمور ذاتها ، وقد طرحه ـ فقط مؤخراً ـ لورنس جون هترر [١٠] عندما قال : « كم من فنان غادر عيادة الطبيب النفسى وقد أغضبته تفسيرات ترى أنه يكتب لأن لديه تثبيتات أستية أو

---

(9) William Irwin Thompson , " Anthropology and the Study of Values, " Main Currents in Modern Thought 19 : 37. 1962 .

(10) Lawrence John Hatterer, " Work Identity : ANew Psychotherapeutic Dimension, "Annual Meating . American Psychiatric Association. Quoted From Psychiatric Spectator, Vol. II, 7 : 12 , 1965 .

Twitter: @abdullah_1395

لأنه سادى مازوخى ، أو أنه يمثل لأنه استعراضى، أو يرقص لأنه يريد إغواء المشاهدين جنسياً ، أو يرسم ليتغلب على مشاكل نشأت عن تدريب صارم على تنظيم الإخراج وذلك بأن يتجه إلى التلطيخ بحرية » .

كم كان فرويد حكيماً وحريصاً عندما قال فى أحد المرات أنه أحياناً ما يكون السيجار مجرد سيجار . أو هل كانت هذه العبارة مجرد ميكانيزم دفاعى، مجرد طريقة للتبرير المنطقى لتدخينه للسيجار ؟ إن هذا قد يعد « نكوصاً إلى الطفلية » . على أى حال نحن لا نشارك فرويد إيمانه بماهية ما هو محتوم determinedوما هو مدفوع motivated ـ ذلك إذا استعرنا عبارة مازلو [١١] . فقد لام مازلو فرويد لأنه أخطأ بأن طابق بين ما هو محتوم وما هو مدفوع لاشعورياً ، وكأنه لا توجد هناك محددات أخرى للسلوك .

ووفقاً لأحد التعريفات فإن المعانى والقيم ليست سوى تكوينات مضادة وميكانيزمات دفاعية . أما عن نفسى ، فلست على استعداد لأن أعيش من أجل تكويناتى المضادة ، كما أننى أقل استعداداً لأن أموت من أجل ميكانيزماتى الدفاعية .

ولكن هل المعانى والقيم نسبية وذاتية كما يعتقد البعض ؟ انهم كذلك على نحو ما ، ولكن على نحو يختلف عن ذلك الذى يراه أصحاب النزعة النسبية والذاتية . فالمعنى نسبى من حيث أنه يتعلق بشخص معين مشتبك بموقف معين . ويمكن القول بأن المعنى يختلف أولاً من إنسان لآخر وثانياً من يوم ليوم ، بل ومن ساعة لساعة .

---

(11) Abraham H. Maslow, Motivation and Personality, Harper & Brothers, New York, 1954, P. 294 .

Twitter: @abdullah_1395

ولتحرى الدقة ، أفضل أن أتحدث عن تفرد uniqueness بدلاً من نسبية المعانى . فالتفرد خاصية للحياة ككل وليست لموقف معين فقط ، وذلك نظراً لأن الحياة سلسلة من المواقف المتفردة . وهكذا فإن الإنسان فريد فيما يتعلق بكل من جوهره ووجوده . الخلاصة هى أنه لا يوجد إنسان يمكن أن يحل آخر محله ـ وذلك بفضل تفرد جوهر كل إنسان . وحياة كل إنسان فريدة من حيث أنه لا أحد يمكن أن يكررها ـ وذلك بفضل تفرد وجوده . وعاجلاً أو آجلاً سوف تنتهى حياته للأبد ، مع كل الفرص الفريدة لتحقيق المعانى .

لم أجد فى أى مكان صياغة أكثر تحديداً وإيجازاً من كلمات هيلل (الحكيم اليهودى الذى عاش قبل ألفى عام) . فقد قال : « إذا لم أفعلها أنا، فمن يفعلها ؟ وإذا لم أفعلها فى الحال ، فمتى أفعلها ؟ ولكن إذا فعلتها من أجل نفسى فقط ، فماذا أكون ؟ » . إذا لم أفعلها ... إن هذا يبدو لى كإشارة إلى تفرد ذاتى . وإذا لم أفعلها فى الحال .. فيها إشارة إلى تفرد اللحظة العابرة التى تعطينى فرصة لتحقيق معنى . وإذا فعلتها من أجل نفسى فقط .. ففى هذا ما يعبر عن خاصية التسامى على الذات المميزة للوجود الإنسانى ، لا أكثر ولا أقل . والسؤال ماذا أكون إذا فعلتها من أجل نفسى فقط يقتضى الإجابة : لا أكون إنساناً بحق على الإطلاق . ،ذلك لأن التسامى على الذات خاصية متأصلة فى الوجود الإنسانى ، ذلك أنه يتطلع إلى شىء آخر غير ذاته . وعلى حد التعبير الأوجستينى فإن قلب الإنسان لا يجد سبيلاً إلى الراحة إلا إذا وجد فى هذه الحياة معنى وهدفاً يعمل على تحقيقهما . هذه العبارة ـ كما سنرى فيما بعد ـ توجز كثيراً من النظرية والعلاج لذلك النمط من العصاب الذى أطلقت عليه اسم العصاب المعنوى noogenic .

Twitter: @abdullah_1395

ولكن دعونا نرجع إلى تفرد المعانى . فما سبق أن قلته يعقبه أنه لا يوجد ما يمكن تسميته « بالمعنى العالمى للحياة » ، ولكن فقط المعانى الفريدة للمواقف الفردية . على أى حال ، لا يجب أن ننسى أن من بين هذه المواقف توجد أيضاً مواقف شائعة وبالتالى فهناك أيضا معانى مشتركة بين الكائنات الإنسانية عبر المجتمع ، بل وعبر التاريخ . وهذه المعانى تشير إلى الشرط الإنسانى بدلاً من أن تكون مرتبطة بمواقف فريدة . وهذه المعانى هى ما نفهمها على أنها « القيم » . وعلى هذا يمكن تعريف القيم بأنها تلك المعانى الشمولية التى تتبلور فى مواقف نموذجية على المجتمع ـ أو حتى الإنسانية ـ أن تواجهها .

وامتلاك القيم يخفف من متاعب بحث الإنسان عن المعنى ، لأنها على الأقل فى المواقف النموذجية توفر على الإنسان متاعب اتخاذ القرارات . ولكن ـ وياللأسف ـ فإن عليه أن يدفع ثمن هذه الراحة ، فعلى العكس من المعانى الفريدة المرتبطة بالمواقف الفردية ـ قد تصطدم اثنتان من القيم احداهما بالأخرى . واصطدام القيم ينعكس على نفس الإنسان فى هيئة صراع قيمى ، وهذا الصراع يلعب دوراً هاماً فى تكوين الأعصبة المعنوية .

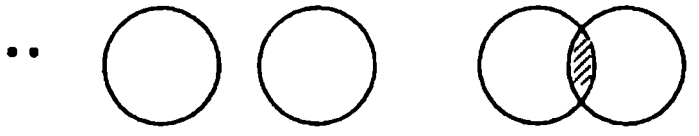

الشكل رقم (٥)

دعونا نتخيل المعانى الفريدة فى هيئة « نقط » ، فى حين أن القيم دوائر. من المفهوم أن قيمتان قد تتداخلان مع بعضهما ، فى حين لا يمكن أن

Twitter: @abdullah_1395

يحدث هذا للمعانى الفريدة (انظر شكل ٥) . ولكن يجب أن نسأل أنفسنا ما إن كانت هناك قيمتان يمكن أن تتصادمان فى الواقع ، أو بعبارة أخرى ، هل يكون من الصحيح تشبيههما بدوائر ثنائية الأبعاد ؟ ألا يكون من الأصح مقارنة القيم بأجسام كروية ثلاثية الأبعاد ؟ أن جسمين كرويين ذوا أبعاد ثلاثية يسقطان عن أبعادهما الثلاثية ظلاً على سطح ذو بعدين سيعكسان دائرتين ثنائيتى الأبعاد تتراكبان إحداهما فوق الأخرى ، برغم أن الجسمين الكرويين لا يلمس أحدهما الآخر مجرد تلامس (انظر شكل ٦) .

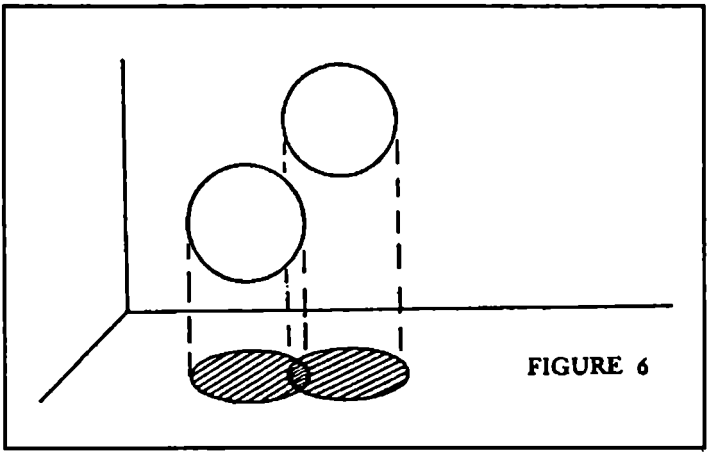

شكل رقم (٦)

فالإنطباع بأن قيمتين تصطدمان ببعضهما هو نتيجة لأن بعداً بأكمله قد تم إهماله . وما هو هذا البعد ؟ إنه الترتيب التصاعدى (الهيراركى » للقيم . فوفقا لماكس شيللر يعنى التقييم ضمنياً تفضيل قيمة على أخرى . وهذه هى النتيجة النهائية للتحليل الفينومينولوچى الذى وضعه عن عمليات التقييم valuing pracesses . فالإنسان يدرك منزلة القيمة والقيمة ذاتها

Twitter: @abdullah_1395

فى نفس الوقت . بعبارة أخرى ، فإن إدراك إحدى القيم يتضمن إدراك إنها تأتى فى منزلة أعلى من قيمة أخرى . وبهذا لا يكون هناك مجال لصراع القيم .

وعلى أى حال ، فإن إدراك الترتيب التصاعدى للقيم لا يغنى الإنسان عن صنع القرارات . فالإنسان مدفوع بالدوافع ، ولكنه منجذب بالقيم . وهو دائماً حر فى أن يقبل أو يرفض قيمة يفرضها عليه موقف معين . وهذا صحيح أيضاً فيما يتعلق بالترتيب التصاعدى للقيم كما تتم جدولتها عن طريق التقاليد والمعايير الأخلاقية والخلقية ويظل على القيم أن تمر باختبار آخر، وهو اختبار ضمير الإنسان ـ إلا إذا رفض الإنسان أن يطيع ضميره وأخمد صوته .

والآن ، وبعد أن تعرضنا للإجابة عن السؤال كيف أن القيم نسبية ، دعونا نتناول السؤال : ما إن كانت القيم ذاتية أم لا . أليس صحيحاً أن المعانى فى النهاية هى مسألة تفسير ؟ وألا يتضمن التفسير دائماً اتخاذ قرار ؟ ألا توجد مواقف تسمح بتعدد التفسيرات التى على الفرد أن يختار منها ؟ ان خبرتى الخاصة علمتنى أن هذا صحيح [١٢] .

لقد تلقيت ـ قبيل دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية ـ دعوة من السفارة الأمريكية فى ڤيينا لأتوجه إليها وأتسلم تأشيرة الهجرة للولايات

---

(12) Victor E. Frankl, " Luncheon Adress to the Third Annual Meeting of the Academy of Religion and Mental Health," Journal of Existentiol Psychiatry 4 : 27, 1963 .

Twitter: @abdullah_1395

المتحدة . فى ذلك الوقت كنت أعيش وحدى مع والدىّ المسنين . وبالطبع لم يتوقعا منى إلا أن أذهب واتسلم التأشيرة وأسارع بالهجرة إلى ذلك البلد . ولكنى فى اللحظة الأخيرة بدأت أتردد لأنى سألت نفسى : « هل يجب علىّ ذلك حقاً ؟ بل هل أستطيع أن أفعل ذلك ؟ » . لأنه مر بخاطرى تساؤل عما هو مقدر لوالدىّ . وكما كان الموقف حينئذٍ ، فقد كان من الممكن أن يذهبوا بهما فى خلال أسابيع قليلة إلى معسكرات الإعتقال ، أو بالأحرى إلى معسكرات الإعدام . فهل يجب علىّ أن أتركهما لمصيرهما فى ڤيينا ؟ حتى ذلك الوقت كان من الممكن لى أن أحميهما من هذا المصير لأنى كنت رئيساً لقسم الأمراض العصبية فى المستشفى اليهودى . ولكن إذا ذهبت فإن الموقف سوف يتغير فى الحال . وبينما كنت أفكر فيما هى مسئوليتى الحقة ، شعرت أن هذا موقف من قبيل تلك المواقف التى تتمنى فيها ما يدعونه عادة « باغاثة من السماء » . بعد ذلك عدت إلى المنزل ، وهناك لاحظت قطعة من حجر الرخام موضوعة علىْ المائدة . فسألت والدى عن سبب تواجدها فى هذا المكان ، فأجاب : أوه ياڤيكتور ، لقد التقطتها هذا الصباح من المكان المقام فيه المعبد اليهودى (لقد دفن هناك بواسطة الإشتراكيين الوطنيين) . فسألته : « ولماذا أخذته معك ؟ فأجاب : لأنه جزء من المنضدتين المحفور عليهما الوصايا العشر » . وأرانى على حجر الرخام خطاب بالعبرية محفور ومذهب . واستطرد أبى : « ويمكننى أن أخبرك أكثر إذا كان ذلك يهمك ، ان هذا الخطاب العبرى هو موجز لواحدة فقط من الوصايا العشر » . فسألته بفضول : « أى وصية ؟ » . فكانت إجابته : « بجل أباك وأمك فتسكن الأرض » . عندها قررت أن أبقى فى البلد مع أبوىّ ،

Twitter: @abdullah_1395

وتركت حقى فى التأشيرة يسقط .

سوف يكون من المعقول تماماً لو ادعيتم بأن هذا كان بمثابة اختبار اسقاطى ، وإننى كنت قد اتخذت القرار فى أعماق قلبى فى وقت سابق ، وإننى قد اسقطته وحسب على ظهور قطعة الرخام . ولكن حتى لو لم أرى فى قطعة الرخام سوى « كربونات الكالسيوم » ، لكان هذا أيضا نتيجة لاختبار اسقاطى ، وعلى نحو أكثر خصوصاً ، فإنه يكون تعبيراً عن الشعور « باللامعنى » ، أو الشعور بالفراغ أو الخواء الذى اصطلحت على تسميته بالفراغ الوجودى Existential Vacuum .

وهكذا ، ومع اختلاف المظاهر ، فإن المعنى شىء نسقطه على الأشياء التى حولنا ، تلك الأشياء التى هى « محايدة » فى حد ذاتها . وفى ضوء هذه الحيادية ، فإن الحقيقة تبدو مجرد شاشة نسقط عليها آمالنا وأفكارنا ، كما لو كانت بقعة حبر رورشاخ . وإذا كان الأمر كذلك ، فالمعنى لن يكون سوى وسائل للتعبير عن الذات ، وبالتالى شىء ذاتى فى أساسه [١٣] .

على أى حال ، ان الشىء الذاتى الوحيد هو المنظور الذى من خلاله نقترب من الواقع ، وهذه الذاتية لا تنقص بحال من الأحوال من موضوعية الواقع نفسه . وقد ارتجلت تفسيراً لهذه الظاهرة لطلبة السيمنار الخاص بى فى

---

(13) Cf . Kai Nielsen, " Linguistic Philosophy and Beliefs " Journal of Existentialism 6 : 421, 1966, who says that " Life does not have a meaning that is there to be discovered .. but it has whatever meaning we give it " . He leans upon a similar statement made by A. J. Ayer, " Deistic fallacies, " Polemic 1 : 9, 1964 .

Twitter: @abdullah_1395

هارڤارد : « انظروا من خلال نوافذ قاعة المحاضرات هذه على كنيسة هارڤارد الصغيرة . كل واحد منكم يرى الكنيسة على نحو مختلف ، ومن منظور مختلف ، وذلك وفقاً لموقع مقاعدكم . فإذا ادعى أحدكم أنه يرى الكنيسة تماماً كما يراها الجالس بجانبه ، فقد أذهب إلى القول بأن واحد منهما يهلوس . ولكن هل ينتقص اختلاف الرؤى من موضوعية وحقيقة الكنيسة ؟ بالطبع لا » .

والمعرفة الإنسانية ليست ذات طبيعة كاليدوسكوبية لأنك إذا نظرت فى كاليدوسكوب فلن ترى سوى ما هو داخل الكاليدوسكوب . فى حين انك إذا نظرت من خلال تلسكوب فانك سترى شيئاً خارج التلسكوب نفسه . وإذا نظرت إلى العالم ، أو إلى شىء فى العالم ، فإنك أيضاً سترى ما هو أكثر من ـ ولنقل ـ المنظور . فالمرئى خلال المنظور ـ مهما كان المنظور ذاتياً ـ هو العالم الموضوعى . وفى الحقيقة فإن لفظ « المرئى خلال » seen through هو الترجمة الحرفية للكلمة اللاتينية perspectum « المنظور » .

وليس لدى اعتراض على إحلال مصطلح « موضوعى » objective محل المصطلح الأكثر حذراً « ما وراء الذاتية » trans - subjective كما استخدمه ألرس [١٤] على سبيل المثال . فلن يؤدى هذا إلى فرق يذكر . كما لن يؤدى إلى فرق يذكر إذا تحدثنا عن أشياء أو عن معانى . فكلاهما « ما وراء ـ ذاتى » . و « ما وراء الذاتية » هذه كانت بالفعل مفترضة مسبقاً منذ

(14) Rudolf Allers, " Ontoanalysis : A New Trend in Psychiatry, " Proceedings of the American Catholic Philosophical Association , P. 78, 1961 .

Twitter: @abdullah_1395

بدأنا نتحدث عن التسامى على الذات . فالكينونة الإنسانية تتجاوز ذاتها إلى معانى تكون شيئاً آخر غير ذاتها ، تكون أكثر من مجرد تعبير عن الذات ، وأكثر من مجرد اسقاطات لهذه الذات . والمعانى مكتشفة ، ولكنها ليست مخترعة .

وفى هذا تعارض مع اعتقاد جان بول سارتر بأن المثل والقيم قد صممها واخترعها الإنسان . أو كما يذهب سارتر إلى أن الإنسان يخترع نفسه . وهذا يذكرنى بخدعة الفقير الهندى . فالفقير يدعى أنه سيلقى بحبل إلى الهواء ، إلى الفضاء الخالى ، بدون أى شىء يثبته إليه ، ومع ذلك فإنه يتظاهر بأن صبياً يتسلق الحبل . ألا يحاول سارتر أيضاً أن يجعلنا نصدق بأن الإنسان يُسقط (وهذا يعنى حرفياً أنه يلقى للأمام وللأعلى) المثال إلى العدم ، ومع ذلك فإن الإنسان يستطيع أن يتسلق ليحقق هذا المثال ويحقق الكمال لذاته ؟ ولكن هذا المجال القطبى للتوتر الذى يحتاج إليه الإنسان إلى أبعد حد بلغة الصحة النفسية والكمال الأخلاقى لا يمكن أن ينشأ إلا من خلال الإبقاء على موضوعية القطب الموضوعى ، وبالمرور بخبرة « ما وراء ـ ذاتية » المعنى بواسطة الكينونة الإنسانية التى يكون عليها أن تتمم هذا المعنى .

فى حقيقة الأمر أن مرور الإنسان بخبرة « ما وراء ـ الذاتية » يتضح من الطريقة التى يتحدث بها عن هذه الخبرة . وإذا لم يعاق فهمه لذاته نتيجة لاكتسابه المسبق لأنماط تفسيرية ـ ولا أقول لتشربه بأفكار ـ فإنه يشير إلى المعنى على أنه شىء يجب العثور عليه وليس شيئاً يُعطى . وسوف يرينا التحليل الفينومينولوچى ـ الذى يحاول وصف مثل هذه الخبرة بطريقة محايدة وامبيريقية ـ بالفعل أن المعانى يُعثر عليها ولا يمكن اعطاؤها . ويمكننى

Twitter: @abdullah_1395

القول بأنه إذا كان من الممكن أن تعطى فإنها لا تعطى بطريقة قسرية ، ولكن بالأحرى تعطى بالطريقة التى تعطى بها الأجوبة . بمعنى أن لكل سؤال إجابة واحدة ـ هى الإجابة الصحيحة . ولكل موقف معنى واحد ، وهو المعنى الحقيقى لهذا الموقف .

فى إحدى جولاتى للمحاضرة بجامعات الولايات المتحدة ، كان على الحاضرين أن يكتبوا اسئلتهم لى بالحروف الكبيرة لكى أجيب عليها بعد أن يسلموها لأستاذ علم اللاهوت الذى كان عليه أن يمررها لى بدوره . وقد اقترح على استاذ اللاهوت أن أغفل أحد الأسئلة لأنه على حد قوله : هراء محض ، فقد أراد أحد الطلبة أن يعرف ما هو تعريفى لستمائة فى نظريتى عن الوجود . ولكن عندما قرأت السؤال رأيت معنى مختلف ، فقد كان : بماذا تعرّف الله GOD فى نظريتك عن الوجود ؟ وقد كتبت كلمة الله بالحروف الكبيرة GOD فصعب تمييزها عن رقم ٦٠٠ 600 .

حسناً ، ألم يكن هذا اختباراً اسقاطياً غير مقصود ؟ على أى حال ، فإن استاذ اللاهوت رأى كلمة ستمائة ، فى حين قرأ أخصائى الأعصاب «الله» [١٥] . ولكن طريقة واحدة لقراءة هذا السؤال هى التى كانت صحيحة. طريقة واحدة لقراءة السؤال بالمعنى الصحيح الذى قصده السائل . وهكذا نصل إلى تعريف ما هو المعنى . فالمعنى هو ما يعنيه المرء أو الموقف . وليكن

---

(١٥) فيما بعد استخدمت هذا التشابه كشريحة عرض أعرضها على الطلبة الأمريكيين فى جامعة ڤيينا . وصدق أو لا تصدق . أن تسعة طلاب قرأوها ستمائة ، وتسعة قرأوها « الله » فى حين تأرجح أربعة بين القراءتين .

Twitter: @abdullah_1395

مثلاً الشخص الذى سألنى السؤال ، أو موقف يتضمن أيضاً سؤالاً يحتاج إلى إجابة . ولا أستطيع أن أقول « إجابتى صحيحة كانت أم خاطئة » كما يقول الأمريكيون « وطنى محقاً كان أم مخطئاً » . وإنما يجب أن أحاول جاهداً أن أجد المعنى الحقيقى للسؤال الذى يطرح علىّ .

وإذا تحرينا الدقة ، فإن الإنسان حر فى أن يجيب على الأسئلة التى تطرحها عليه الحياة . ولكن لا يجب أن تمتزج هذه الحرية بالإستبدادية ، وإنما يجب أن يتم تفسيرها فى إطار من المسئولية . فالإنسان مسئول عن إعطاء الإجابة الصحيحة للسؤال ، وعن ايجاد المعنى الحقيقى للموقف . والمعنى شىء يتم العثور عليه ولا يمكن إعطاؤه ، أى أنه يكتشف ولا يخترع . وقد أشار كرامبو وماهوليك[١٦] إلى أن العثور على المعنى فى موقف هو شىء له علاقة بالإدراك الجشطالتى . ويدعم هذا الإفتراض عالم الجشطالت فرتهايمر فى عبارته « الموقف سبعة + سبعة = .. هو نظام به ثغرة أو فجوة . ومن الممكن ملء هذه الفجوة بطرق عديدة . ولكن التكملة الوحيدة أربعة عشرة هى الملائمة للموقف ، تملأ الفجوة ، هى ما تتطلبه بنية هذا النظام ، فى هذا المكان ، بما لها من وظيفة فى الكل . فإنها تصحح الموقف. أى تكملة أخرى ـ خمسة عشرة مثلاً ، لا تصلح ، فهى ليست التكملة الصحيحة . لدينا هنا الآن التصورات الخاصة بمتطلبات الموقف ، أو التطلبية

---

(16) James C. Crumbaugh and Leonerd T. Maholick, " The Case for Frankl's Will to Meaning : " Journal of Existential Psychiatry,4 : 43 , 1963 .

Twitter: @abdullah_1395

Requiredness . ومتطلبات بهذه الصورة هى بمثابة خصائص موضوعية (١٧).

لقد قلت أن المعنى لا يمكن اعطاؤه على نحو استبدادى ، ولكن يجب أن توجد المسئولية . وقد اكون قلت أيضاً أنه يجب أن ننشد المسئولية وفقاً لما يمليه الضمير . وفى الحقيقة فإن الضمير يرشد الإنسان فى بحثه عن المعنى . ويمكن تعريف الضمير على أنه « المقدرة القصدية للإنسان على أن يجد المعنى لموقف من المواقف » . وحيث أن هذا المعنى هو شيء فريد ، فإنه لا يخضع لقانون عام ، ومقدرة قصدية مثل الضمير هى الوسيلة الوحيدة للإمساك بجشطالتات المعانى .

وبعيداً عن القصدية ، فإن الضمير خلاق . فضمير الفرد يأمره المرة تلو المرة بأن يفعل شيئاً يخالف ما يقدره المجتمع الذى ينتمى إليه الأفراد ، وليكن هذا المجتمع هو قبيلته مثلاً . ولنفترض أن هذه القبيلة تتكون من أكلة لحم البشر ، فإن الضمير الخلاق لأحد الأفراد قد يكتشف ـ فى موقف معين ـ أن الإبقاء على حياة عدو بدلاً من قتله قد يكون شيئاً له معنى أكبر . وبهذه الطريقة قد يبدأ ضميره ثورة ، وفى هذا نموذج لمقولة : ان ما يكون معنى فريداً أول الأمر قد يصبح قيمة عالمية فيما بعد (لا تقتل Thou shalt not kill) فالمعنى الفريد اليوم هو القيمة العالمية غداً . وهذه هى الطريقة التى ابتكرت بها الأديان ، ونشأت بها القيم .

---

(17)M . Wertheimer, " Some Problems in The Theory of Ethics", in Documents of Gestalt Psychology , edited by M. Henle, University of California Press, Berkeley, 1961 .

Twitter: @abdullah_1395

وللضمير أيضاً القوة على اكتشاف معانى فريدة تتعارض مع القيم المقبولة. والوصية التى اقتبستها منذ قليل تعقبها الوصية التالية : لا تزنى .

Thou shalt not commit adultery

وفى هذا السياق تحضرنى قصة رجل أعتقل هو وزوجته الشابة فى معسكر اعتقال آوشفيتز . وقد أخبرنى بعد إطلاق سراحه أنه بعد وصولهما للمعسكر وقبيل أن يفصلوهما عن بعضهما ، شعر فجأة بدافع قوى لأن يناشدها أن تتمسك بحياتها فقال لها ذلك ، واستطرد : « بأى ثمن ـ هل تفهمين ؟ » . وقد فهمت هى ما كان يعنيه ، فقد كانت جميلة ، وقد تسنح لها فرصة فى المستقبل القريب لأن تنقذ حياتها إذا وافقت على ممارسة الرذيلة مع الحرس الحديدى* . فقد أراد زوجها ـ إذا طرأ موقف من هذا القبيل ـ أن يظهر لها مغفرته لخطأها مسبقاً . ففى اللحظة الأخيرة أجبره ضميره أن يحلها من وصية : « لا تزنى » . ففى هذا الموقف الفريد ، وهو موقف فريد فعلاً ، كان المعنى الفريد هو فى تجاهل قيمة عالية بالإخلاص الزوجى ، وفى عدم طاعة واحدة من الوصايا العشر . وإذا تحرينا الدقة ، فقد كانت هذه هى الوسيلة الوحيدة للتمكن من إطاعة وصية أخرى من الوصايا العشر « لا تقتل » . فإذا لم يحلها من التزامها بالإخلاص لشارك فى المسئولية عن موتها .

نحن نعيش اليوم فى عصر انهيار واختفاء التقاليد . وبالتالى ، وبدلاً من ابتكار قيم جديدة عن طريق اكتشاف معان فريدة ، يحدث العكس . فالقيم العالمية فى طريقها إلى الزوال . وهذا هو السبب فى تزايد أعداد الناس الذين

* هذا المصطلح يدل على رجال المخابرات السرية للحزب النازى (SS) (هامش ترجمة).

Twitter: @abdullah_1395

يجدون أنفسهم سجناء مشاعر اللاهدفية والخواء ، أو ما اعتدت تسميته بالفراغ الوجودى . وعلى أى حال ، فحتى لو اختفت كل القيم العالمية ، فستظل الحياة ذات معنى ، لأن المعانى الفريدة ستبقى دون أن يمسها فقد التقاليد . ومن المؤكد أنه سيكون على الإنسان أن يجد المعانى حتى فى عصر بلا قيم ، سيكون عليه أن يتزود بالقدرة الكاملة للضمير . لهذا يكون من المعقول تماماً فى عصر مثل عصرنا هذا ، أى فى عصر الفراغ الوجودى ، أن تكون مهمة التعليم الأولى هى تهذيب وصقل تلك القدرة التى تسمح للإنسان بالعثور المعانى الفريدة ، لا الإكتفاء بنقل التقاليد والمعرفة . اليوم ، لا يستطيع التعليم أن يتقدم على طريق التقاليد ، وإنما يجب أن يدعم القدرة على صنع القرارات المستقلة والأصيلة . ففى عصر تفقد فيه الوصايا العشر مصداقيتها غير المشروطة ، يجب أن يتعلم الإنسان ـ أكثر من أى وقت آخر ـ أن يستمع إلى آلاف الوصايا التى تطرحها آلاف من المواقف الفريدة التى تتكون منها الحياة . وفيما يتعلق بهذه الوصايا يجب على الإنسان أن يرجع إلى ضميره ويعتمد عليه . فالضمير الحى النشط هو أيضاً الشىء الوحيد الذى يمكن الإنسان من مقاومة آثار الفراغ الوجودى . وبالتحديد ، مقاومة النزعة إلى التواؤمية والاستبدادية .

نحن نعيش فى عصر الوفرة من عدة وجوه . حيث يمطرنا أواسط العامة بوابل من المثيرات وعلينا أن نحمى أنفسنا ضدها عن طريق تنقيتها . كما تتوفر لنا إمكانات كثيرة علينا أن نختار من بينها . باختصار ، علينا أن نتخذ قرارات تحدد ما هو أساسى وما هو ليس كذلك .

كما أننا نعيش فى عصر حبوب منع الحمل ، وتتوفر لنا إمكانات جديدة

Twitter: @abdullah_1395

لم تكن موجودة من قبل . فإذا لم نكن نرغب فى أن نغرق فى اللا شرعية ، فإن علينا أن نلوذ بحسن الإختيار . فحسن الإختيار يستند إلى المسئولية ، أى إلى اتخاذ القرار بتوجيه من الضمير .

والضمير الحقيقى ليست له علاقة بما يمكن أن أسميه أخلاقية الأنا الأعلى الزائفة Superegotistic pseudomorality . ولا يمكن اعتباره مجرد ناتج عملية تشريط . فالضمير ظاهرة إنسانية على وجه التأكيد . ولكن يجب أن نضيف أيضاً أنه مجرد ظاهرة إنسانية ، فهو خاضع للشرط الإنسانى من حيث أنه موسوم بسمة محدودية الإنسان . لأن الإنسان لا يسترشد بالضمير فى بحثه عن المعنى وحسب ، وانما يضل به أيضاً فى بعض الأحيان. وباستثناء حالة ما إن كان الإنسان ينشد الكمال ، فانه سوف يتقبل أيضاً إمكانية زلل ضميره .

إن الإنسان حر ومسئول ـ هذه حقيقة . ولكن حريته محدودة . فالحرية الإنسانية ليست تامة . ولا الحكمة الإنسانية تامة العلم ، وهذا يصدق بالنسبة للجوانب المعرفية والمتعلقة بالضمير على نحو سواء . فالإنسان لا يعرف أبداً إن كان المعنى الذى يخلص له حقيقى أم لا . ولن يعرف ذلك حتى وهو على فراش موته . وكما قال ايميل دى بواريموند : نحن لا نعرف ، ولن نعرف أبداً Ignoramus et ignorabimus . وإن كان ذلك فى سياق يختلف كلية عن المشكلة السيكوفيزيقية .

ولكن إذا كان للإنسان ألا يناقض انسانيته ، فعليه أن يطيع ضميره على نحو غير مشروط ، حتى وهو يدرك أن احتمال الخطأ قائم . فاحتمالية الخطأ لا تحل الإنسان من ضرورة المحاولة . وكما قال جوردون اولبورت : « يمكننا

Twitter: @abdullah_1395

أن نكـون فى نفس الوقت نصف متـأكـدين ، وعـازمين بالكامل »[١٨] half-sure and whole-hearted .

إن احتمالية أن يخطىء ضميرى تتضمن إحتمالية أن يصيب ضمير شخص آخر . وهذا يستلزم تواضعاً . وإذا كان لى أن أبحث عن معنى ، فيجب أن أكون متيقناً من وجود هذا المعنى . ومن ناحية أخرى ، إذا لم أكن متيقناً من اننى سأجده ، فيجب أن أكون متسامحاً . وهذا لا يتضمن إطلاقاً أى نوع من الميل إلى عدم الإختلاف . فكونى متسامحاً لا يعنى أنى أشارك شخصاً آخر فى اعتقاده ، وانما يعنى انى أعترف بحق الآخر فى الإعتقاد ، وأمتثل لضميره .

ويترتب على ذلك أن المعالج النفسى لا يجب أن يفرض قيمة ما على المريض فعلى المريض أن يرجع إلى ضميره الخاص . وإذا سئلت ـ كما يحدث كثيراً ـ عما إن كان يجب استبقاء هذه الحيادية حتى فى حالة « هتلر » ، فاننى أرد بالإيجاب ، لأننى مقتنع بأن هتلر لم يكن أبداً ليصبح ما أصبح عليه إلا إذا كان قد قمع صوت الضمير فى أعماق نفسه .

ولعله من نافلة القول أن نؤكد أنه فى بعض الحالات الطارئة لا يحتاج المعالج النفسى إلى الإلتزام بحياديته . ففى مواجهة خطر الإنتحار يصبح من المشروع تماماً أن نتدخل ، لأن الضمير المخطىء فقط هو الذى يأمر الشخص بالانتحار . هذه العبارة تتسق مع اعتقادى بأن الضمير المخطىء فقط هو الذى يأمر الشخص بأن يقتل شخصاً آخر ، أو ـ بالإشارة إلى هتلر مرة أخرى ـ يبيد

(18) Gordon W. Allport , "Psychological Models for Guidance," Harvard Educational Review 32 : 373, 1962 .

Twitter: @abdullah_1395

عنصراً بأكمله . ولكن بعيداً أيضاً عن هذا الإفتراض، فحتى قسم هيبوقراط نفسه كان سيجبر الطبيب على التدخل ليحول بين المريض والإنتحار . أنا شخصياً اكون سعيداً بتحمل اللوم لكونى معالجاً توجيهياً directive فى سياق وجهة النظر المؤكدة على قيمة الحياة ، وذلك كلما اضطررت لتناول حالة مريض انتحارى .

ومع ذلك فعلى المعالج النفسى ـ كقاعدة ـ ألا يفرض على المريض وجهة نظره الخاصة ، والمعالج بالمعنى ليس استثناءاً من هذه القاعدة . ولم يدعى أحد المعالجين بالمعنى أن لديه كل الإجابات . ولم يكن معالجاً بالمعنى، بل أفعى ـ تلك التى قالت للمرأة : « سوف تكونين كالرب الذى يعرف الخير والشر » . فلم يتظاهر أى معالج بالمعنى بأنه يعرف ما هو قيم وما هو ليس كذلك ، أو ما الذى له معنى وما الذى ليس له معنى ، أو ما هو المعقول وما هو غير المعقول .

يعتقد كل من ردليش و فريدمان [١٩] أن العلاج بالمعنى هو محاولة إعطاء معنى لحياة المريض . والحقيقة أن العكس هو الصحيح . أنا عن نفسى لا أتعب من تكرار الإشارة إلى أن المعنى يجب العثور عليه ولا يمكن اعطاؤه، خاصة من قبل الطبيب [٢٠][٢١] . فعلى المريض أن يجده تلقائياً . فليست

(19) F.C.Redlich and Daniel X.Freedman, The Theory and Practice of Psychiatry, Basic Books, NewYork, 1966 .

(20) Victor E.Frankl, "The Concept of Man in Logotherapy," Journal of Existentialism 6 : 53, 1965 .

(21) Victor E.Frankl, "Logotherapy and Existential Analysis AReview, " American Journal of Psychotherapy 20 : 252, 1966.

Twitter: @abdullah_1395

وظيفة العلاج بالمعنى تركيب وتوزيع الوصفات الطبية . وبرغم اننى أوضحت ذلك مراراً ، فاننى اكرر أن العلاج بالمعنى يتهم المرة تلو الأخرى بأنه « يعطى المعنى والغرض » . فى حين لم يتهم أحد التحليل النفسى الفرويدى الذى يهتم بالحياة الجنسية للمريض بأنه يمده بالفتيات ، ولم يتهم أحد علم النفس الآدلرى الذى يهتم بالحياة الاجتماعية للمريض بأنه يمده بالوظائف العليا . لماذا إذن يكون العلاج بالمعنى ـ الذى يهتم بالطموحات والاحباطات الوجودية للمريض ـ متكفلاً بإعطاء المعنى ؟

ويصبح هذا الإتهام الموجه للعلاج بالمعنى أقل قابلية للفهم فى مواجهة حقيقة أن « العثور على » المعنى هو اهتمام مقصور على مجال الأعصبة المعنوية ، والتى لا تتعدى معدلات ورود حالات منها حوالى عشرون بالمائة من الحالات التى ترد إلى عياداتنا ومكاتبنا . وبالكاد توجد أى مشكلات خاصة بالمعنى أو صراعات خاصة بالقيم متضمنة فى فنية المقصد المتناقض ظاهرياً ـ وهى جانب من العلاج بالمعنى تم تطويره لمعالجة الأعصبة نفسية المنشأ . « فالمعلم الأخلاقى أولاً وقبل كل شىء » هو ممارس التحليل النفسى، وليس ممارس العلاج بالمعنى . لأنه يؤثر على مرضاه فيما يختص بسلوكهم الأخلاقى والخلقى (٢٢) أنا شخصيا أعتقد أن التقسيم الأخلاقى بين الأنانية والغيرية هو تقسيم عتيق الطراز عفا عليه الزمن . فأنا مقتنع بأن

(22) F. Gordon Pleune, "All Dis-Ease Is Not Disease : A Consideration of Psycho-Analysis, Psychotherapy, and Psycho-Social Engineering, " International Journal of Psycho-Analysis 46 : 358, 1965 . Quoted from Digest of neurology and Psychiatry 34 : 148, 1966 .

Twitter: @abdullah_1395

الأنانى لا يمكن أن يحقق أى استفادة إلا من خلال وجود الآخرين ، وبالعكس ، فإن الغيرى يجب أن يهتم بنفسه دائماً من أجل الآخرين . وأنا على يقين من أن المدخل الأخلاقى سوف يفسح الطريق فى النهاية للمدخل الأنطولوچى . فمثل هذا المدخل سوف يعمل على تعريف الصالح والطالح من حيث قدرتهما على إعاقة أو تيسير تحقيق المعنى ، وذلك بصرف النظر عما ان كان المعنى خاص بالفرد أو خاص بفرد آخر .

ومن الصحيح أننا معشر المعالجين بالمعنى مقتنعون ـ ونحاول اقناع مرضانا إذا احتاج الأمر ـ بأن هناك معنى يجب تحقيقه . ولكننا لا نتظاهر بمعرفة ما هو المعنى . وقد يلاحظ القارىء أننا قد وصلنا إلى ثالث معتقدات العلاج بالمعنى بعد حرية الإرادة ، وإرادة المعنى : وهو « معنى الحياة » . بعبارة أخرى، اعتقادنا بأن هناك معنى للحياة ، معنى لكل إنسان طال بحثه عنه . ولهذا الإنسان أيضاً الحرية لأن ينطلق لتحقيق هذا المعنى .

ولكن على أى أساس نؤكد معقولية افتراض أن الحياة كانت وستظل ذات معنى فى كل حالة ؟ ان الأساس الذى أتصوره ليس أخلاقى ، ولكنه ببساطة امبيريقى ـ بالمعنى الواسع للكلمة . فنحن نحتاج فقط لأن نلتفت إلى الكيفية التى يستشعر بها رجل الشارع المعانى والقيم ، وترجمة ذلك إلى لغة علمية . ويمكننى القول بأن هذه المهمة هى بالتحديد الوظيفة التى يجب أن تؤدى فى إطار ما يسمى بالفينومينولوچيا . وعلى العكس من ذلك فان مهمة العلاج بالمعنى هى أن يترجم ما تعلمناه بهذه الطريقة إلى كلمات بسيطة تمكننا من أن نعلم مرضانا كيف يمكنهم أيضاً أن يعثروا على المعنى فى الحياة . ولا يجب أن يفترض المرء أن هذا العمل يعتمد مجرد المناقشة

Twitter: @abdullah_1395

الفلسفية مع مرضانا ، فهناك قنوات أخرى يمكن من خلالها اقناعهم بأن الحياة ذات معنى على نحو غير مشروط . وأنا أذكر جيداً واقعة حدثت بعد محاضرة عامة دعيت لإلقائها من قبل جامعة بنيواورليانز ، عندما اقترب منى رجل لم يكن يريد إلا أن يصافحنى ويشكرنى . وقد كان « رجل شارع » فعلاً ، فقد كان عامل رصف ، وقد سجن لمدة أحد عشر عاماً . وكان كتابى : « الإنسان يبحث عن المعنى » هو الشيء الوحيد الذى أشعره بالدعم الداخلى ، وكان قد وجد الكتاب فى مكتبة السجن . وهكذا ، فان العلاج بالمعنى ليس مجرد مسألة فكرية .

والمعالج بالمعنى ليس أخلاقياً ولا فكرياً . وانما يعتمد فى عمله على الامبيريقية من قبيل الفينومينولوچية والتحليلات وتحليل خبرة رجل الشارع البسيط بعملية التقييم بما يوضح أن الفرد يمكن أن يجد معنى الحياة من خلال عمل ابتكارى ، أو القيام بصنيع ما ، أو اكتشاف معانى الخير والحق والجمال ، أو اكتشاف قيمة الطبيعة والحضارة ، أو ـ أخيراً وليس آخراً ـ من خلال الإلتقاء بكينونة فريدة أخرى فى تفرد هذه الكينونة الإنسانية المميز ـ بعبارة أخرى ، من خلال أن يحبها . على أى حال ، ان أنبل تقدير للمعنى يرجع إلى هؤلاء الناس الذين حرموا من الفرصة للعثور على معنى فى فعل ، أو فى عمل ، أو فى الحب ، الذين يرتفعون فوق المحنة ويتجاوزون ذاتهم بذلك الاتجاه الذى يختاروا أن يواجهوا به محنتهم . فما يهم هو الموقف الذى يتخذونه ـ موقف يسمح لهم بتحويل محنتهم إلى انجاز وانتصار وبطولة .

وإذا فضل المرء أن يتحدث فى هذا السياق عن القيم ، فقد يتبين ثلاثة مجموعات رئيسية من القيم . وقد صنفتهم كالتالى : قيم ابتكارية creative ، وقيم خبرية experiential، وقيم اتجاهية attitudinal. وهذا

Twitter: @abdullah_1395

الترتيب يعكس الطرق الثلاثة الرئيسية التى يمكن أن يجد بها الإنسان معنى فى الحياة . وتعنى الأولى « ما يعطيه » للعالم فى صورة ابتكارات ، وتعنى الثانية « ما يأخذه » من العالم فى صورة إلتقاءات وخبرات ، أما الثالثة فتعنى « الموقف الذى يتخذه » من محنته فى حالة ماإذا كان يجب عليه أن يواجه قدراً لا يمكن تغييره . وهذا هو السبب فى أن الحياة لا تتوقف أبداً عن أن يكون لها معنى ، لأنه حتى الشخص المحروم من كل من القيمتين الإبتكارية والخبرية ، فانه يظل أمام تحدى المعنى الذى يجب عليه أن يحققه ، وهو المعنى المتضمن فى الكيفية التى يتحمل بها معاناته وهو منتصب البنيان رافع الرأس .

وللتوضيح ، أحب أن أقتبس من تراث الحاخام ايرل أ. جرولمان « أنه تلقى مرة مكالمة من امرأة تحتضر لأنها مصابة بمرض لا شفاء منه ، سألته : كيف يمكننى أن أواجه فكرة وحقيقة الموت ؟ ـ ويعلق هنا الحاخام قائلاً : لقد تحدثنا فى مناسبات عديدة ، وقدمت ـ كحاخام ـ كثيراً من مفاهيم الخلود الموجودة فى عقيدتنا . وفيما بعد ذكرت أيضاً القيمة الإتجاهية التى تحدث عنها فرانكل . فلم تأت المناقشة الدينية سوى بآثار ضئيلة ، ولكن القيمة الإتجاهية أثارت فضولها ـ خاصة عندما علمت أن صاحب المفهوم طبيب نفسى كان قد اعتقل فى معسكرات اعتقال النازى . وقد سيطر هذا الرجل بتعاليمه على تفكيرها لأنه عرف ما هو أكثر من المعانى الدينية المتضمنة فى المعاناة . عندها قررت فى الحال ، انه إذا لم يكن فى استطاعتها أن تتجنب المعاناة التى لا مفر منها ، أن تحدد الطريقة والأسلوب الذى تواجه به المرض . لقد أصبحت قمة فى القوة فى عيون من حولها ، هؤلاء الذين

Twitter: @abdullah_1395

كان الألم يعتصر قلوبهم . لقد كان فى أول الأمر تظاهر بالشجاعة ، ولكن بمرور الوقت امتزج الفعل بالغرض . وقد أسرت لى بقولها : قد يكون الفعل الخالد الوحيد لى هو الطريقة التى أواجه بها هذه المحنة . وبرغم أن آلامى تكون غير محتملة أحياناً ـ فقد حققت سلاماً داخلياً ورضا لم أعرفهما من قبل . وقد ماتت بعد ذلك بكرامة ، وظلت جماعتنا تذكر لها شجاعتها التى لا تقهر » .

ولا أود فى هذا السياق أن أتدارس العلاقة بين العلاج بالمعنى واللاهوت(٢٣) ، فقد احتفظت بهذا الموضوع للفصل الأخير من هذا الكتاب . ويكفى هنا القول بأنه من حيث المبدأ فان مفهوم القيمة الإتجاهية ممكن الدفاع عنه سواء اعتنقنا فلسفة دينية للحياة أم لا . فمفهوم القيمة الإتجاهية ليس نتيجة لوصفة طبية أخلاقية أو خلقية ، ولكنه بالأحرى نتيجة وصف امبيريقى واقعى لما يحدث للإنسان عندما يقيم سلوكه أو سلوك غيره . فالعلاج بالمعنى يعتمد على « عبارات صيغت عن القيم والحقائق » لا على « أحكام صادرة على الحقائق والقيم » . وانها لحقيقة أن الإنسان فى الشارع يقيّم الفرد الذى يحمل صليبه على كتفيه بشجاعة لا تقهر (على حد تعبير الحاخام جرولمان) اكثر من مجرد الفرد الذى يحقق النجاح حتى لو كان

---

(23) Orlo Strunk, " Religious Mturity and Victor E. Frankl," in Mature Religion, Abingdon Press, NewYork , 1965 ; Earl A. Grollman," Victor E. Frankl : A Bridge Between Psychiatry and Religion," Conservative Judaism 19 : 19, 1964 ; D. Swan Haworth, " Victor Frankl," Gudaism 14 : 351, 1965 .

Twitter: @abdullah_1395

نجاحاً ساحقاً سواء فى صورة رجل أعمال يجمع ثروة ، أو فتى طائش له مغامرات عاطفية .

وهنا دعونى أؤكد على اننى أشير فقط إلى « القدر الذى لا يمكن تغييره » . فتقبل المعاناة فى مرض قابل للشفاء ـ كالسرطان الذى يشفى بالجراحة ـ ليس له أى معنى . وانما قد يكون صورة من صور المازوخية لا صور البطولة . ولكن دعونى ألقى الضوء على هذه النقطة بمثال أقل تجريداً . فقد صادفت مرة اعلاناً تمت صياغته فى صورة قصيدة ادين بفضل ترجمتها إلى الإنجليزية إلى صديقى چوزيف ب. فابرى :

تحمل بهدوء ، وبلا ضجيج

مـا كتبـه القـدر عليـــك

ولكن بالنسبة لبق الفراش لا تستسلم

اطلـب العـون مـــن روزنشتايـــن

وقد كان ريتشارد تراوتمان محقاً فى مراجعته لكتابى [٢٤] المنشور بالألمانية Homo Patiens[٢٥] عندما تحدث عن « المعاناة على أنها شىء يجب العمل على القضاء عليه بكل الوسائل وبأى ثمن » . ولكن على أى

(24) Richard Trautmann, " Book Review, " American Journal of Psychotherapy 5 : 821, 1952 .

(25) Victor E. Frankl, Homo patiens : versuch einer Pathodizee, Franz Duticke, Wien, 1950 .

Twitter: @abdullah_1395

حال من المفترض أنه ـ بصفته طبيباً ـ قد أصبح يدرك أن هناك أحياناً معاناة تواجه الإنسان ولا يمكن تجنبها ، فهذا الإنسان الذى سيموت عاجلاً أو آجلاً عليه قبل ذلك أن يعانى ـ وذلك برغم ملامح التقدم العلمى التى قدستها النزعة التقدمية والعلمية . واغلاق أعيننا عن هذه « الحقائق الوجودية للحياة » يعنى تدعيم الهروب العصابى لدى مرضانا . ان تجنب المعاناة بقدر الإمكان أمر مطلوب ، ولكن ماذا عن المعاناة التى لا يمكن الهرب منها ؟ ان العلاج بالمعنى يعلمنا أنه ينبغى تجنب الألم طالما كان ذلك ممكناً . ولكن ما أن يصبح القدر المؤلم غير قابل للتغيير ، لا يجب تقبله وحسب ، وإنما تحويله إلى شىء له معنى ، تحويله إلى انجاز . وهنا أتساءل : هل هذا الإتجاه يشير بالفعل إلى ميل نكوصى للخضوع المدمر للذات كما يعتقد ريتشارد تراوتمان ؟

ومن وجهة نظر معينة ، يعد مفهوم القيم الإتجاهية اكثر اتساعاً من مجرد معنى يجب العثور عليه فى المعاناة . فالمعاناة جانب واحد فقط مما أسميه « الثالوث المأساوى » للوجود الانسانى . هذا الثالوث يتكون من الألم pain ، والإثم guilt ، والموت death . ولا يوجد أى إنسان يمكنه أن يدعى أنه لم يفشل ، أو أنه لا يعانى ، أو أنه لن يموت .

ولعل القارىء يلاحظ أن هذا هو الثالوث الثالث الذى أقدمه . وكان الثالوث الأول يتكون من حرية الإرادة ، وارادة المعنى ، ومعنى الحياة . ويتألف معنى الحياة من مفردات الثالوث الثانى : القيم الإبتكارية ، والقيم الخبرية ، والقيم الإتجاهية . ثم تنقسم القيم الإتجاهية إلى مفردات الثالوث الثالث : وهى الإتجاهات ذات المعنى من الألم ، والإثم ، والموت .

Twitter: @abdullah_1395

ولا يجب أن يضلل الحديث عن الثالوث المأساوى القارىء فيفترض أن العلاج بالمعنى تشاؤمى كما يقال عن الوجودية . وانما ـ بالأحرى ـ يعتبر العلاج بالمعنى مدخل تفاؤلى للحياة ، لأنه يعلمنا أنه لا توجد جوانب مأساوية وسلبية لا يمكن تحويلها من خلال الموقف الذى يتخذه الإنسان منها إلى انجازات ايجابية .

ولكن هناك اختلاف بين الاتجاهات التى يتخذها الفرد من الألم والإثم، على التوالى . ففى حالة الألم يأخذ الفرد بالفعل موقفاً من قدره . وإلا لما أثمرت المعاناة أى معنى . أما فى حالة الإثم ، فان الفرد يأخذ موقفاً من ذاته . وما هو أهم من ذلك ، هو أن القدر لا يمكن أن يتغير ، وإلا لما كان قدراً . أما الإنسان فيستطيع أن يغير ذاته ، وإلا لما كان إنساناً . وهذا امتياز للإنسان بوصفه إنساناً ، وخاصية للوجود الإنسانى ـ أن يكون قادراً على تشكيل وإعادة تشكيل ذاته . بعبارة أخرى ، انه امتياز للإنسان أن يشعر بالإثم ، ومسئوليته هى التغلب على هذا الشعور بالإثم . وكما قال رئيس تحرير « أخبار سان كوينتين » فى خطاب أرسله لى : « قد يستطيع الإنسان أن يتحمل المرور بخبرة عملية التحول من الأدنى إلى الأسمى » * .

والحقيقة أنه لم يستطع أحد أن يقدم تحليلاً فينومينولوجياً متعمقاً لعملية التحول من الأدنى إلى الأسمى تلك أفضل من ذلك التحليل الذى قدمه

---

* يضرب رئيس التحرير هنا مثلاً لتحمل مسئولية الاثم التى تطهر الإنسان مشبهاً إياها بعملية تحويل المعادن الدنيئة إلى ذهب transmutation (هامش ترجمة)

Twitter: @abdullah_1395

ماكس شيلر فى أحد كتبه [٢٦] خاصة فى الفصل المعنون « الندم والميلاد من جديد » ، عندما أشار ماكس شيلر إلى أن للإنسان « الحق » فى أن يعتبر آثم، وأن ينال العقاب . فإذا نحن تعاملنا مع الإنسان على أنه ضحية للظروف ومؤثراتها ، فإننا لا نتوقف عن معاملة الإنسان كإنسان وحسب ، وانما نحن أيضاً نضعف إرادته للتغير .

ودعونا نرجع إلى الجانب الثالث من الثالوث المأساوى للوجود الإنسانى ، وهو زوالية الحياة . فعادة ، لا يرى الإنسان سوى حقلاً خالياً من الحياة بعد أن تكون الزوالية قد حصدته ، ولكنه لا يرى الصوامع المليئة بالغلال التى ملأها الماضى . فبالنسبة للماضى لا يوجد شيء فقد بالكامل ولا يمكن استعادته ، ولكن كل شيء يبقى ويحتفظ به للأبد ، كل شيء يحفظ ويؤمن . ولا يمكن لشيء أو لأحد أن يحرمنا مما استنقذناه واحتفظنا به فى الماضى . فما فعلناه لا يمكن محوه . وهذا يضيف إلى مسئولية الإنسان . لأنه ـ فى مواجهة زوالية الحياة ـ مسئول عن انتهاز الفرص العابرة لتحقيق الإمكانيات ، وتحقيق القيم سواء كانت ابتكارية أو خبرية أو اتجاهية . بعبارة أخرى ، الإنسان مسئول عما يفعل ، ومن يحب ، وكيف يعانى . فإذا حقق قيمة أو معنى ، فقد حققه مرة وللأبد .

ولكن دعونا الآن نرجع إلى كل من الإنسان البسيط فى الشارع ورجل الأعمال ، فالأول يقيّم نجاح الثانى أبعادياً dimensionally على نحو أدنى

---

(26) Max Scheler, On the External in Man, Harper & Brothers, NewYork, 1960 .

Twitter: @abdullah_1395

إذا قورن بنجاحه فى تحويل محنته إلى انجاز . و « الأنثروبولوچيا ذات الأبعاد » ـ كما اتضح فى الفصل السابق ـ قد تساعدنا على فهم المقصود بالأعلى والأدنى . ففى حياة الإنسان اليومية ، يتحرك الإنسان عادة فى بعد يكون قطبه الموجب هو النجاح وقطبه السالب هو الفشل . هذا البعد هو بعد الإنسان الكفء ، أو الحيوان الماهر ، أو الإنسان الحق (Homosapiens) . ولكن هذا الإنسان ، ذلك الذى يعانى ، وبفضل انسانيته استطاع أن يرتفع فوق معاناته ويتخذ منها موقفاً ، هذا الإنسان يتحرك فى بعد متعامد على البعد السابق ، وهو بعد يكون قطبه الموجب التحقيق التام fulfillment وقطبه السالب اليأس despair. والكائن الإنسانى يسعى إلى النجاح ، ولكن إذا احتاج الأمر لا يعتمد على قدره الذى قد يسمح له أو لا يسمح له بالنجاح . والإنسان يستطيع بالإتجاه الذى يختاره أن يعثر على المعنى ويحققه حتى فى موقف ينعدم فيه الأمل . ولا يمكن فهم هذه الحقيقة إلا من خلال مدخلنا ذو الأبعاد الذى ينسب إلى القيم الإتجاهية بعداً أعلى من القيم الإبتكارية والخبرية . فالقيم الإتجاهية هى أعلى القيم قاطبة . وبالطبع فإن معنى المعاناة ـ المعاناة التى لا يمكن تجنبها أو الهروب منها فقط ـ هو أعمق المعانى .

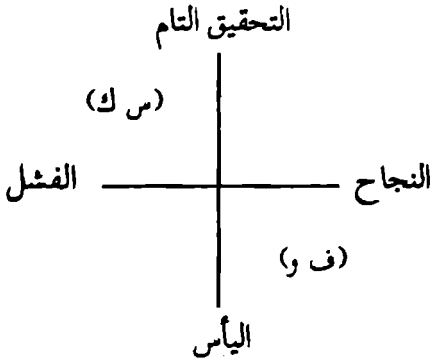

الشكل رقم (٧)

Twitter: @abdullah_1395

لقد أجرى رولف هـ.فون ايكارتسبرج دراسة فى جامعة هارفارد بهدف الكشف عن مدى التوافق فى الحياة لدى خريجى هارفارد . وأظهرت النتائج دلائل إحصائية تشير إلى أنه بين مائة مفحوص ممن تخرجوا قبل عشرين عاماً، هناك نسبة مئوية عالية تشكو من أزمة . لقد شعروا بأن حياتهم خالية من المعنى ولا هدف لها ـ وذلك برغم أنهم كانوا ناجحين بصورة واضحة كمحامين وأطباء وجراحين ، وأخيراً وليس آخراً : محللين نفسيين . ويمكننا أن نفترض نجاحهم أيضاً فى حياتهم الزواجية . لقد سقطوا فى شراك الفراغ الوجودى . وفى الرسم التوضيحى (الشكل رقم ٧) يكون مكانهم فى الجزء المشار إليه بالحرفين (ف و) أى فراغ وجودى ، أى تحت النجاح وبجانب اليأس . فظاهرة اليأس برغم النجاح لا يمكن أن تتضح إلا فى ضوء بعدين مختلفين .

من ناحية أخرى ، هناك ظاهرة يمكن وصفها بأنها « تحقيق معنى برغم الفشل » . ومكانها هو الزاوية العليا اليسرى ، ونشير إليها بالحرفين (س ك) وهو اختصار لاسم سجن سان كوينتين . لأننى فى هذا السجن قابلت مرة رجلاً هو شاهد على صدق اعتقادى بأن المعنى يمكن أن يوجد فى الحياة حتى آخر لحظة ، حتى آخر نفس يتردد فى مواجهة الموت .

فقد وجهت إلىّ الدعوة لمقابلة رئيس تحرير « أخبار سان كوينتين » فى سجن ولاية كاليفورنيا . وذلك بعد أن نشر فى جريدته مراجعة لأحد كتبى ، وشعر مشرف التعليم أنه من الحكمة أن يقابلنى به . وقد أذيعت هذه المقابلة على جميع الزنازن واستمع إليها آلاف المسجونين بما فيهم من كان ينتظر تنفيذ حكم الإعدام فيه . وقد طلب منى أن أوجه بعض الكلمات إلى أحد المسجونين الذى كان عليه أن يواجه

Twitter: @abdullah_1395

تنفيذ حكم الإعدام فى غرفة الغاز بعد أربعة أيام . كيف أتعامل مع هذا التكليف ؟ ـ بالرجوع إلى خبراتى الشخصية فى مكان آخر حيث كان الناس ينتظرون الموت فى غرف الغاز . وقد عبرت عن اقتناعى بأن الحياة إما أن تكون ذات معنى ـ فى حالة ما إن كان معناها لا يعتمد على مدى استمراريتها ـ أو أنها بلا معنى فى حالة مجرد الإستمرار فى الحياة بلا هدف . بعد ذلك تحدثت عن قصة تولستوى « موت إيڤان إليش » . بهذه الطريقة كنت آمل أن يرى المسجونون أن الإنسان يستطيع أن يرتفع فوق ذاته ، ويتجاوزها ويتخطاها حتى فى اللحظات الأخيرة . وهو بذلك يضفى معنى على الحياة حتى وهى توشك أن تنقضى . وصدق أو لا تصدق ، فقد وصلت الرسالة إلى هدفها لدى المسجونين . فبعد فترة من الوقت ، علمت من رسالة وصلتنى من ضابط بسجن ولاية كاليفورنيا أن مقالة « أخبار سان كوينتين » عن زيارة الدكتور فرانكل لسان كوينتين احتلت المكانة الأولى فى مسابقة صحفية عن الصحافة داخل السجون الوطنية ، وهى مسابقة أجريت تحت رعاية جامعة إلينوى الجنوبية . وقد اختيرت المقالة لمرتبة الشرف الأولى من جماعة ممثلة تتكون من نزلاء اكثر من مائة وخمسين مؤسسة إصلاحية أمريكية . ولكن بعد أن أرسلت تهنئتى إلى الفائز بالجائزة ، كتب يقول لى : أن النسخة المنشور بها مناقشتنا تم تداولها على نطاق واسع فى المؤسسة وأنه قد كان هناك بعض النقد الداخلى من قبيل : « أنه شىء جميل بالنسبة لنظرية ، ولكن الحياة تمضى على نحو آخر » . إلا أنه أسر لى فى النهاية بالتالى : أنا أعتزم كتابة مقال افتتاحى يوضح موقفنا الراهن ، محنتنا المباشرة ، ويظهر أن الحياة بالفعل تمضى على هذا النحو. وسوف اريهم واقعة محددة حدثت داخل

Twitter: @abdullah_1395

سجننا ، حيث تمكن رجل من أن يصنع لنفسه « خبرة حياة » ذات معنى ودلالة من أعماق اليأس والعبثية . وهم أيضاً لن يصدقوا أن رجلاً فى مثل هذه الظروف استطاع أن يتحمل عملية التحول التى جعلت من اليأس انتصاراً . سوف أحاول أن أريهم أن هذا ليس مجرد إمكانية وحسب ، وانما ضرورة .

دعونا الآن نأخذ درساً من كل من سان كوينتين وهارفارد . فالذين حكم عليهم بالسجن مدى الحياة أو بالموت فى حجرة الغاز قد يحققون انتصاراً ، فى حين أن الناجحين الذين تتبعهم البروفيسور ڤون ايكارتسبرج سقطوا فى شراك اليأس . فى ضوء الأنثروبولوچيا والأنطولوچيا ذاتا الأبعاد ، يقترن اليأس بالنجاح ، كما يقترن أيضاً بتحقيق المعنى بالموت والمعاناة .

ومن المؤكد ، أنه إذا أسقطنا هذا التحقيق عن بعده الخاص إلى بعد أدنى منه ـ وليكن بعد رجل الأعمال والفتى الطائش للذين يهتمون بالنجاح ، وإذا أسقطنا تحقيق المعنى « برغم » ، بل « بسبب » المعاناة إلى بعد أدنى ، فانه يصبح غامضاً ملتبساً ـ وذلك وفقاً للقانون الثانى من قوانين الأنثروبولوچيا والأنطولوچيا ذاتا الأبعاد ـ ويمكن الدفع ببطلانه على أنه مثلاً : « ميل نكوصى للخضوع المدمر للذات » كما قال ريتشارد تراوتمان [٢٧] .

لقد درس كاتبان أمريكيان سيكولوچية سجناء معسكرات الإعتقال . فكيف يفسرون ما كان على هؤلاء السجناء أن يعانوه ؟ كيف تم التعبير عن معنى هذه المعاناة بعد أن أسقطت إلى البعد الخاص بالنزعة السيكولوچية

---

(27) Richard Trautmann, " Book Review, "American Journal of Psycho-therapy 5 : 821, 1952 .

Twitter: @abdullah_1395

التحليلية الدينامية ؟ يعتقد أحد الكاتبين أن « السجناء قد نكصوا إلى الحالة النرجسية . وأن التعذيب الذى لاقوه ... » ـ ما المعنى الذى تتوقع أن تنطوى عليه معاناة السجاء من التعذيب ؟ انصت : « وأن التعذيب الذى لاقوه كان ينطوى على معنى لا شعورى بالخصاء . وقد دافع السجناء عن أنفسهم بالإرتداد إلى المازوخية أو السادية ، وإلى السلوك الطفلى » . واكثر من ذلك : « والناجون من معسكرات إعتقال النازى قد كبتوا سخطهم ضد » ـ ضد من تعتقد أنهم كبتوا سخطهم ؟ ـ « ضد آبائهم الذين قتلوا ، وأن هؤلاء الناجين حاولوا التعبير عن هذا العدوان بتوجيهه ضد » ـ ضد من ؟ ـ « ضد ابنائهم الأحياء » .

وحتى إذا سلمنا بأن مادة هذه الحالة صادقة ومعبرة عن واقع ، فمن الواضح أن معنى المعاناة هنا فيه تملص من محاولة فهم الحالة تحت ستار من التأويلات التحليلية الدينامية الصرفة . لقد أشار جورج زوت ـ رئيس قسم الطب النفسى بجامعة فرانكفورت آم ماين ـ (٢٨) إلى هذا البحث فى مجال سيكولوجية الناجين من اضطهاد النازى على أنه غير موثوق بنتائجه لأنه يقتصر على عينة منحازة تتكون من مجموعة مختارة عمداً . بالإضافة إلى ذلك ، فانه من ضمن المعلومات التى توفرت عن كل حالة تمت دراستها ، اختيرت فقـط تلك الجوانب التى تتفق مع النموذج التحليلى الدينامى . وبالإشارة إلى « حالة » أحد كتبى ، وهو : الإنسان يبحث عن المعنى ، فان الشىء الوحيد

(28) Jurg Zutt, " Book Review," Jahrbuch fur Psychologie, Psycho-therapie und medizinische Anthropologie 13 : 362, 1965 .

Twitter: @abdullah_1395

الذى استلفت انتباه أحد المراجعين ذوى التوجه التحليلى الدينامى كان هو الحقيقة التى مؤداها أنه شعر أن السجناء قد نكصوا إلى المرحلة البولية من تطورهم الليبيدى . ولم يجد شيئاً غير هذا يستحق الذكر .

وفى الخلاصة ، دعونا ننصت لرجل يجب أن يكون يعرف أفضل مما يعرفه أصحاب نظرية التحليل النفسى ـ رجل سجن فى صباه فى آوشفيتز وتركه وهو مازال صبياً : وهو يهودابيكون ـ واحد من أبرز فنانى اسرائيل ـ فقد نشر مرة وصفاً لتجاربه أثناء الفترة الأولى التى أعقبت إطلاق سراحه من معسكر الإعتقال : « اذكر واحداً من أول انطباعاتى بعد الحرب ـ لقد رأيت جنازة بها نعش ضخم وموسيقى ، وبدأت أضحك .. هل جن هؤلاء ليقوموا بكل هذا الهرج من أجل جثة ؟ وإذا ذهبت إلى مسرح أو حفل موسيقى فاننى كنت أحسب كم من الوقت يكفى لقتل مثل هذا الجمع الغفير بالغاز؟ كم من الملابس والأسنان الذهبية يمكن أن يبقى ؟ وكم فروة رأس يمكن جمعها منهم ؟ » ـ إلى هذا الحد كانت معاناة بيكون . والآن ، ما هو معناها ؟ انه يقول : « كصبى ، فكرت بأننى يجب أن أخبرهم بما رأيت على أمل أن يتغيروا إلى الأفضل . ولكن الناس لم يتغيروا ، بل ولم يكونوا يريدون حتى أن يسمعوا . وقد مرت فترة طويلة حتى فهمت بالفعل معنى المعاناة . فيمكننى أن أحصل على المعنى إذا ساعد هذا على جعلك (أنت) تتغير إلى الأفضل » .

Twitter: @abdullah_1395

الجزء الثانى
تطبيقات العلاج بالمعنى

Twitter: @abdullah_1395

الفصل الثالث

الفراغ الوجودى : تحدٍ يواجه الطب النفسي

بعد أن تناولنا موضوع المعنى ، نعدد الآن إلى هؤلاء الناس الذين يعانون من الشعور باللامعنى والفراغ . فهناك اعداد متزايدة من الناس يشكون مما يسمونه « الخواء الداخلى » inner void ، وهذا هو السبب الذى من أجله سميت هذه الحالة « بالفراغ الوجودى » Existential Vacuum . وعلى العكس من الخبرة ـ القمة التى وصفها ما زلو بحذق وذكاء ، فان ادراك معنى الفراغ الوجودى يتضح فى ضوء ما يمكن تسميته « بالخبرة ـ الهاوية » .

ويبدو لى أن اتيولوچية الفراغ الوجودى تنتج عن الحقائق التالية . أولاً ، على العكس من الحيوانات ، لا توجد دوافع أو غرائز تخبر الإنسان ما يجب عليه أن يعمله . ثانياً ، على العكس من أزمنة سابقة ، لا توجد عادات أو تقاليد أو قيم تخبر الإنسان ما يجب أن يفعله ؛ وهو عادة لا يعرف حتى ما يرغب هو أساساً أن يفعله وبدلاً من ذلك ، يرغب الإنسان أن يفعل ما يفعله غيره من الناس ، أو أنه يفعل ما يرغب منه غيره من الناس أن يفعله . وذلك بمعنى ، أنه يقع فريسة للنزعة التواؤمية أو الديكتاتورية ، بصرف النظر عن أن الأولى تمثل الغرب والثانية تمثل الشرق .

وظاهرة الفراغ الوجودى تتزايد وتنتشر . وفى هذه الأيام يعترف حتى المحللين النفسيين الفرويديين ـ كما حدث فى مؤتمر عالمى عقد مؤخراً بألمانيا الغربية ـ أن أعداداً من المرضى تتزايد شيئاً فشيئاً يعانون من نقص المضمون والغرض فى الحياة . بل واكثر من ذلك ، فهم يعترفون بأن هذه الحالة هى السبب وراء لجوئهم « للتحليل الذى لا ينتهى »unterminable analysis ، لأن العلاج على الأريكة أصبح بالفعل المضمون الوحيد للحياة . وبالطبع فان

Twitter: @abdullah_1395

علماء النفس الفرويديين لا يستخدمون مصطلح العلاج بالمعنى : الفراغ الوجودى ، ذلك الذى استخدمته منذ اكثر من عشر سنوات مضت . كما انهم لا يستخدمون فنيات العلاج بالمعنى فى التعامل مع هذه الظاهرة . ولكنهم مع ذلك يعترفون بوجودها.

والفراغ الوجودى لا يتزايد فقط وانما ينتشر أيضاً . وعلى سبيل المثال ، فقد أشار طبيب نفسى تشيكى فى مقال له عن الاحباط الوجودى [١] إلى أن الفراغ الوجودى بدأ يجد طريقه إلى الظهور فى البلاد الشيوعية أيضاً .

اذن ، كيف نتعامل مع الفراغ الوجودى ؟ قد يفترض أحدهم أنه يجب أن نعتنق فلسفة لكل إنسان . وهذا الإصرار يستند إلى مفهوم القيمة الإتجاهية التى تحدثنا عنها فى الفصل السابق ، حيث أشرنا أيضاً إلى أن تهاوى التقاليد يؤثر فقط على القيم العالمية ، لا على المعانى الفريدة .

ولكن فرويد احتقر الفلسفة ، واعتبرها فى النهاية مجرد واحدة من أرقى صور الإعلاء للجنسية المكبوتة [٢] . أنا شخصياً لا أعتقد أن الفلسفة مجرد إعلاء للجنس ، وانما بالأحرى أعتقد أن الجنس يستخدم عادة للهروب الرخيص من تلك المشكلات الفلسفية والوجودية التى تؤرق الإنسان .

وقد تقرأ العبارة التالية فى مجلة أمريكية : « انه لقول موثوق به ، انه لم

---

(1) S. kratochvil, "K psychoterapii existencialni frustrace," Ceskoslovenska psychiatria 57 : 186,1961, and "K problemu existencialni frustrace," Ceskoslovenska psychiatria 62 : 322, 1966.
(2) ludwig Binswanger, Erinnerungen an Sigmund Freud, Francke, Bern , 1956 .

Twitter: @abdullah_1395

يحدث فى تاريخ العالم أن تحررت دولة من الدول جنسياً ، كما هو الحال فى أمريكا اليوم » .

والغريب حقاً ، أن هذه العبارة مقتبسة من مجلة « المحترم » Esquire . وعلى أى حال ، فحتى لو صح هذا ، فذلك يدعم الإفتراض بأن الأمريكى العادى اكثر وقوعاً فى الإحباط الوجودى من غيره من الجنسيات ، ولهذا السبب فانه اكثر انشغالاً بالمبالغة فى التعويض الجنسى . وفى ضوء هذا يمكن فهم ذلك المسح الإحصائى الإرتجالى الذى طبق على طلبتى فى كلية طب جامعة ڤيينا ، حيث ظهر أن أربعين بالمائة من الطلبة النمساويين والألمان الغربيين والسويسريين عرفوا الفراغ الوجودى من خبراتهم الخاصة . أما بين الطلبة الأمريكيين الذين حضروا محاضرات ألقيتها بالإنجليزية فلم تكن النسبة أربعين بالمائة ، بل واحد وثمانين بالمائة .

وقد أصبحت المظاهر الرئيسية للإحباط الوجودى ـ الملل واللامبالاة ـ تحدياً للتعليم كما هى تحد للطب النفسى . وقد قلنا أنه فى عصر الفراغ الوجودى لا يجب أن يقنع التعليم بالإقتصار على نقل التقاليد والمعرفة ، وانما يجب أن يصقل قدرة الإنسان على العثور على المعانى الفريدة التى لا تتأثر بانهيار القيم العالمية . وهذه القدرة الإنسانية على العثور على المعنى المخبأ فى المواقف الفريدة هو الضمير . ولهذا يجب أن يزود التعليم الإنسان بالوسائل التى تمكنه من العثور على المعانى .

ولكن على العكس من ذلك ، فان التعليم عادة يضيف إلى الفراغ الوجودى . حيث تتعزز مشاعر الطالب بالفراغ واللامعنى بتلك الطريقة التى تقدم لهم بها المكتشفات العلمية ، وبطريقة التعليميين فى التدريس . فالطلبة

Twitter: @abdullah_1395

يتعرضـون لعملية فرض قسرى للإفكار indoctrination فى سياق نظرية ميكانيكية مؤداها : انسان + (زائد) فلسفة نسبية للحياة .

ويميل المدخل الإختزالى للإنسان إلى تشييئه ، بمعنى التعامل مع الإنسان كما لو كان مجرد شيء ، وإذا استخدمنا عبارة ويليام ايروين تومبسون [٣] « فان الإنسان ليس مجرد شيء يوجد كالمقاعد والمناضد ، ولكنه يعيش . وإذا وجد أن حياته قد تدنت إلى مستوى مجرد الوجود كالمقاعد والمناضد ، فانه ينتحر » .

وهذه ليست مبالغة بحال من الأحوال . فعندما كنت أحاضر فى واحدة من الجامعات الكبرى بهذا البلد ، قال عميد الطلاب معقباً على مقالى بأنه فى مقدوره أن يقدم كشفاً كاملاً بأسماء الذين انتحروا ـ أو على الأقل الذين أقدموا على الإنتحار ـ بسبب شعورهم بالفراغ الوجودى . لقد صار الفراغ الوجودى ظاهرة مألوفة لديه ، تواجهه يوماً بعد يوم فى عيادته الإرشادية .

وأنا أذكر جيداً كيف كان شعورى عندما تعرضت للنزعة الإختزالية للتعليم عندما كنت طالباً مستجداً بالمدرسة العليا وكنت حينئذ فى الثالثة عشرة. فقد أخبرنا مدرس العلوم الطبيعية مرة أن الحياة فى النهاية ليست سوى عملية احتراق غذائى ، أى عملية أكسدة ، فانبعثت واقفاً وقلت : « ولكن يا بروفيسور فريتز ، إذا كان الأمر كذلك ، فماذا يكون معنى الحياة ؟ » . وللدقة، فاننى لم أكن اتعامل فى تلك الحالة مع مثال من أمثلة النزعة الإختزالية، ولكنى كنت اتهكم على ما يمكن أن يطلق عليه هذا المدرس اسم « النزعة التأكسدية » oxidationism .

---

(3) William Irwin Thompson, "Anthropology and the Study of values, "Main Currents in Modern Thought 19 : 37, 1962 .

Twitter: @abdullah_1395

وفى هذا البلد أظهرت الكثير من الشخصيات البارزة فى مجال التعليم اهتمامها بالملل واللامبالاة الواضحة بين الطلبة ، فعلى سبيل المثال ، قام ادوارد د. ايدى مع اثنين من الزملاء بدراسة لعشرين كلية وجامعة يمثلون الكليات والجامعات بالولايات المتحدة ، وقاموا بمقابلات مع مئات من الإداريين وهيئات التدريس والطلبة . وقد عرض فى كتاب له النتائج التى كان مؤداها « أنه فى داخل معظم الجامعات من كاليفورنيا حتى نيوانجلاند فان اللامبالاة لدى الطلبة كانت موضوع الحديث . لقد كان الموضوع الوحيد الذى كثر تردده فى مناقشاتنا مع كل من أعضاء هيئات التدريس والطلاب (٤) .

وفى مقابلة مع البروفيسور هيوستون س. سميث كان عنوانها « أبعاد القيم فى التعليم » (٥) ، سألنى البروفيسور سميث ـ فيلسوف هارڤارد ـ عما إن كان من الممكن تدريس القيم . فأجبت بأن القيم لا يمكن تدريسها ، وانما يجب أن تعاش . ولا يمكن إعطاء المعنى أيضاً ، فالمدرس لا يستطيع أن يعطى المعنى لتلاميذه ، وإنما يعطيهم المثال ، مثاله الشخصى الخاص بالتكريس والإخلاص لقضية البحث والحقيقة والعلم .

ثم أراد البروفيسور سميث أن أناقش موضوع اللامبالاة والملل ، ولكنى رددت سؤاله بأن سألته كيف يمكننا أن نتوقع من الطالب الأمريكى العادى أن يشعر بشىء آخر غير الملل واللامبالاة ؟

وما هو الملل إن لم يكن عدم القدرة على المبادرة ؟ ولكن كيف يمكن

---

(4) Edward D. Eddy, The College Influence on Student Character, American council on Education, Washington D.C., 1959 .

(5) انظر الفصل الأول

Twitter: @abdullah_1395

للطالب أن يبادر بشيء وهو يتعلم أن الإنسان ليس سوى ساحة قتال لتلك القوى المزعومة المتصارعة من قبيل الهى والأنا والأنا الأعلى ؟ وكيف يمكن للطالب أن يهتم بشيء ، كيف يمكن له أن يأبه للمثل والقيم إذا وجد أنها لا تعدو أن تكون مجرد تكوينات مضادة وميكانيزمات دفاع ؟ إن النزعة الإختزالية لا يمكنها إلا أن تقوض وتهدم الحماس الطبيعى لدى الشباب . وللحقيقة ، يبدو لى أن حماس ومثالية الشباب الأمريكى ببساطة هى طاقة لا تنضب ، وإلا كانت مشاركتهم فى جماعات مثل فيلق السلام Peace Corps أو الأفق Vista ظاهرة تستغلق على الفهم .

ولكن كيف يمكننا التعامل مع حالة فراغ وجودى لدينا ، ليس من الناحية الوقائية ، ولكن من الناحية العلاجية ؟ هل يتضمن التعامل مع الفراغ الوجودى أى شيء يمكن مداواته به ؟ هل هو مرض ؟ هل يمكننا أن نقر فرويد على عبارته التى كتبها فى خطاب للأميرة بوناپرت [٦] : « فى اللحظة التى يتساءل فيها الإنسان عن معنى وقيمة الحياة ، يكون مريضاً » .

فى الحقيقة إن إساءة تفسير الفراغ الوجودى بوصفه بأنه ظاهرة مرضية هو نتيجة لإسقاطه من بعده المعنوى ثلاثى الأبعاد إلى البعد النفسى المسطح ثنائى الأبعاد . ووفقاً للقانون الثانى للأنثروبولوچيا والأنطولوچيا ذاتا الأبعاد ، فان هذا الإجراء من شأنه أن يستتبع ويولد تشخيصاً ملتبساً . حيث يختفى الفرق بين اليأس الوجودى والمرض الإنفعالى . وحيث لا يستطيع المرء التفرقة بين الألم الروحى والمرض العقلى

---

(6) Sigmund Freud, Briefe 1873 - 1939, S.Fischer - Verlag, Frankfort am Main, 1960 .

Twitter: @abdullah_1395

الفراغ الوجودى ليس عصاباً ، أو أنه لو كان عصاباً لكان عصاباً اجتماعى المنشأ ، أو لكان عصاباً علاجى المنشأ ـ بمعنى أنه يكون عصاباً سببه طبيب يتظاهر بأنه يعالج عصاباً . فكم من مرة فسر طبيب اهتمام المريض بالمعنى المطلق للحياة فى مواجهة الموت ، على أساس أن المعنى المطلق يرمز لمخاوف الخصاء . وبالنسبة للمريض ، فان من دواعى راحته أن يعرف أنه ليس مضطراً للقلق بشأن مسألة ما إن كانت الحياة تستحق أن تعاش أم لا ، ولكن بدلاً من ذلك يكفى أن يواجه حقيقة أن عقدته الأوديبية لم تستقر بعد . وعلى وجه الدقة ، مثل هذا التفسير من شأنه أن يشكل أساساً تبريراً منطقياً لليأس الوجودى .

وفى هذا السياق أحب أن أعرض لحالة أستاذ من جامعة بثيينا التحق بقسمى لأنه كان يشك فى معنى الحياة . وكما اتضح سريعاً فقد كان يعانى بالفعل من اكتئاب داخلى المنشأ ، وهو ما يعتبر مرض جسمى المنشأ وفقاً للطب النفسى الأوروبى التقليدى . ولكن الشىء الجدير بالملاحظة هو أن المريض لم تكن تنتابه الشكوك أثناء الفترات الاكتئابية ، ولكن فقط خلال الأوقات التى يكون طبيعياً فيها . وأثناء الفترات الإكتئابية كان ينشغل تماماً بشكاوى توهم المرض بالقدر الذى يلهيه عن الإهتمام بمعنى الحياة . هنا نحن فى مواجهة حالة يثبت فيها اليأس الوجودى والمرض الإنفعالى انهما يتناوبان الظهور كل على حدة . وهكذا يكون من غير المعقول اعتبار الفراغ الوجودى « مجردعرض آخر » من أعراض العصاب .

وعلى أى حال ، فالفراغ الوجودى يمكن أن يكون سبباً للعصاب برغم أنه ليس بالضرورة نتيجة له . ولهذا نتحدث عن العصاب المعنوى باعتباره مختلفاً تماماً عن الأعصبة نفسية المنشأ وجسمية المنشأ . ويمكننا تعريف

Twitter: @abdullah_1395

العصاب المعنوى على أنه العصاب الذى ينشأ عن مشكلة روحية ، عن الصراع الأخلاقى أو الخلقى ، على سبيل المثال ـ كالصراع بين مجرد الأنا الأعلى والضمير الحقيقى . حيث يتناقض الأخير مع الأول ويعارضه إذا احتاج الأمر . وأخيراً وليس آخراً ، فان الأسباب المنشئة للأعصبة المعنوية تتكون من الفراغ الوجودى ، أو من الإحباط الوجودى ، أو من إحباط إرادة المعنى .

وفى هذا الشأن صمم چيمس س. كرامبو اختباراً « للهدف فى الحياة » purpose in life (PIL) ، وذلك للتفرقة بين الأعصبة المعنوية والأعصبة التقليدية ، وشاركه فى تصميم الإختبار ليونارد ت. ماهوليك (٧) . وقد نشر النتائج التى حصل عليها ثم وزع نسخة منقحة ومزيدة قبل الإجتماع السنوى لرابطة علم النفس الأمريكية . وقد استقى بياناته من عينة مكونة من ١١٥١ فرداً . وقد توصل كرامبو إلى نتيجة مؤداها أن الأعصبة المعنوية توجد منفصلة عن الفئات الأخرى تقليدية التشخيص **وهى ليست** متطابقة مع أى من زملات الأعراض تقليدية التشخيص . **ولكنها تمثل** زملة أعراض كلينيكية جديدة ولا يمكن فهمها على نحو مناسب إذا اخضعت لضروب التوصيف الكلاسيكية . وتدعم نتائج هذه الدراسة تصورات فرانكل عن العصاب المعنوى والفراغ الوجودى . وانخفاض معامل الإرتباط بين اختبار (PIL) والمستوى التعليمى يشير من ناحية إلى أن الحياة ذات الهدف والمعنى ليست مقصورة على الذين حصلوا على فرصة تعليمية ، ويشير من ناحية أخرى إلى أن التعليم وحده **لا**

(7) James C. Crumbaugh & Leonard T. Maholick, "An Experimental Study in Existentialism : The Psychometric Approach to Frankl's Concept of Noogenic Neurosis, "Journal of clinical Psychology 20 : 200, 1964 .

Twitter: @abdullah_1395

يضمن بحال من الأحوال أن تنطوى الحياة على معنى [٨].

وفى سياق هذا الدعم الامبيريقى ، فقد أشار البحث الاحصائى الذى تم تطبيقه إلى تكرارية حدوث العصاب المعنوى . وقد وافق ورنر [٩] من لندن ، ولانجين وڤولهارد [١٠] من توبنجن ، وبريل [١١] من ڤيرتسبورج ، ونيبوير [١٢] من ڤيينا على أن حوالى عشرون بالمائة من الأعصبة التى يقابلها المرء تكون معنوية فى الطبيعة والأصل .

فإذا حدث أن تبدى الفراغ الوجودى فى صورة عصاب معنوى ، فلا حاجة بنا للقول بأن علاجه حكر على أصحاب مهنة الطب . ففى وطنى الأصلى ، وفى بلاد أخرى كثيرة لا يسمح بممارسة العلاج النفسى إلا

---

(8) James C. Crumbaugh, "The Purpose in Life Test as a Measure of Frankl's Noogenic Neurosis," delivered before Division 24, American Psychological Association, New York City, September 3, 1966. A more detailed version of this paper was published in 1968 (J.C. Crumbaugh, " Cross - Validation of PIL Test Based on Frankl's Concepts," Journal of Individual Psychology 24 : 47, 1968) - A copy of the PIL used in this Study will be sent upon request. Adress the Psychology Service, Veterans Administration Hospital , Gulfport , Mississippi 39501 .

(9) T.A.Werner, Opening paper read before the Symposium on Logotherapy, International Congress of Psychotherapy, Vienna, 1961.

(10) R.Volhard and D. Langen, "Mehrdimensionale Psychotherapie", Zeitschrift fur Psychotherapie 3 : 1,1953 .

(11) H.J. Prill, Organneurose und Konstitution bei chronish - funktionellen Unterliebsbeschwerden der Frau, " Zeitschrift fur Psychotherapie 5 : 215, 1955 .

(12) K. K ocourek, E. Niebauer, & P. Polak, "Ergebnisse der Klinischen Anwendung der Logotherapie, " in Handbuch der Neurosenlehre und Psychotherapie, Vol.3, edited by V.E. Frankl, V.E. Von Gebsattel, & J.H.Schultz, Urban & Schwarzenberg, Munich - Berlin, 1959 .

Twitter: @abdullah_1395

للأطباء . وهذا التشريع بالطبع ينطبق على العلاج بالمعنى . ومن ناحية أخرى ، فانه من المفهوم أن تلك الجوانب من العلاج بالمعنى – التى لا ترتبط بمعالجة مرض ، وليكن عصاباً معنوى المنشأ ، أو نفسى المنشأ ، أو جسمى المنشأ ـ من الممكن أن تمارس بواسطة أصحاب المهن الإرشادية الأخرى أيضاً . ولا يوجد هناك سبب يمنع ممارس علم النفس الكلينيكى أو الأخصائى الاجتماعى ، أو رجال الدين من أن يقدموا النصح والعون للناس الذين يبحثون عن المعنى فى الحياة ، أو يتساءلون عن معنى الحياة : بعبارة أخرى ، هؤلاء الواقعين فى قبضة الفراغ الوجودى . ووفقاً لهذا المبدأ ، فقد أنشأت رابطة العلاج بالمعنى الوجودى الأرجنتينية المؤسسة فى عام ١٩٥٤ قسماً للأطباء النفسيين ، وقسماً آخر اعضاؤه من غير الحاصلين على بكالوريوس الطب .

ان النضال من أجل معنى الحياة ، أو مصارعة مسألة ما إن كان هناك معنى للحياة ، ليس فى ذاته ظاهرة مرضية . وبالنسبة لصغار السن ، فإنه امتياز خاص بهم ، لا أن يأخذوا الأمر كمسلمة بأن هناك معنى للحياة وحسب ، وانما أن تكون لديهم الجرأة لقبول هذا التحدى . وعندما نرغب فى تقديم الإسعافات الأولية لحالة فراغ وجودى ، فيجب أن نبدأ من هذا الإقتناع . فليست هناك حاجة للشعور بالخجل من اليأس الوجودى بسبب افتراض أنه مرض انفعالى ، فهو ليس عرضاً عصابياً ولكنه مأثرة وانجاز انسانى . وأهم من كل هذا ، فهو مظهر من مظاهر الصدق والإخلاص الفكرى .

وعلى أى حال ، إذا اعترف شاب بما له من امتياز وقبل تحدى المعنى فى الحياة ، فيجب أن يتسم بالصبر ـ الصبر الكافى لأن ينتظر حتى يبزغ فجر المعنى ويضىء له .

Twitter: @abdullah_1395

كيف يمكن فى مثل هذه الحالات التخفيف عن المريض بجعله يرى المسألة على نحو موضوعى ، هذا ما يظهره تسجيل صوتى لجزء من حوار مع مريض يبلغ الخامسة والعشرين من العمر ، ظل يعانى لسنوات من القلق . وقد خضع خلال فترة السنوات الثلاث الأخيرة للعلاج بالتحليل النفسى . وهو الآن يطلب العون من جناح العيادة الخارجية بقسم الأعصاب بالمستشفى البوليكلينيكى . وبعد أن قدمه لى أحد الأطباء بالقسم ، أخبرنى بأن الحياة بدت له دائماً خالية من أى معنى . لقد كان يعانى من حلم متكرر يظهر فيه ما يدل عى خلو حياته من المعنى تماماً . فى هذه الأحلام يجد نفسه وسط مجموعة من الناس يسألهم بإلحاح عن حل لمشكلته ، وعما يحرره من هذا الموقف . كان يتوسل إليهم أن يحرروه من هذا الموقف . كان يتوسل إليهم أن يحرروه من الشعور بقلق محوره أن حياته كانت بلا طائل . ولكنهم كانوا يستمرون فى الإستمتاع بحياتهم ، أو التمتع بالوجبات أو بالشمس المشرقة ، أو بأى شيء يمكن أن تقدمه لهم الحياة . وعندما قص علىّ هذا الحلم ، دار بيننا هذا الحوار :

فرانكل : هل يعنى هذا انهم يتمتعون بحياتهم بطريقة تخلو تماماً من أى تفكير ؟

المريض : هذا صحيح ، فى حين تشلنى شكوكى التى تتعلق بمعنى الحياة .

ف : وماذا تحاول أن تفعل لكى تساعد نفسك ؟

م : أحياناً أشعر بالراحة لسماع الموسيقى ، على أى حال ، كان باخ

Twitter: @abdullah_1395

وموتسارت وهايدن أصحاب شخصيات عميقة التدين . وعندما استمتع بالموسيقى ، فأنا استمتع بحقيقة أن مبدعى هذه الموسيقى كان لهم من حسن الحظ ما جعلهم يصلوا إلى الإيمان الكامل بأن هناك معنى اكثر عمقاً ، أو حتى معنى مطلقاً للوجود الإنسانى .

ف : أى أنك حتى لو لم تكن مؤمناً بمثل هذا المعنى ، فإنك تؤمن على الأقل بالمؤمنين العظماء .

م : أنت على حق يا دكتور .

ف : حسناً ، أليست مهمة القادة العظماء فى الدين والأخلاق أن يتوسطوا بين القيم والمعانى من جهة ، والإنسان من جهة أخرى ؟ بهذا تتاح الفرصة للإنسان أن يتعلم على أيدى عباقرة الإنسانية ، وليكن موسى أو عيسى أو محمد أو بوذا ـ فالفرصة تتاح له أن يتلقى منهم ما لا يستطيع بنفسه أن يحصل عليه فى كل وقت . وكما تعلم ، ان ذكاءنا قد يكفينا فى مجال العلم ، ولكن فيما يتعلق بمعتقداتنا يجب أحياناً أن نعتمد على أناس أعظم منا، نثق فيهم ونتبنى رؤيتهم . وفى هذا البحث عن المعنى المطلق للكينونة كما نعرف ، يعتمد الإنسان أساساً على مصادر عاطفية وليس على مجرد مصادر فكرية عقلية . بعبارة أخرى ، يجب أن نثق فى وجود معنى مطلق للكينونة . بل واكثر من ذلك ، ان هذا الإيمان يجب أن يتوسطه الإيمان بشخص ما ، كما نرى الآن . ولكن دعنى أسألك سؤالاً الآن : ماذا لو لمست الموسيقى أعماق وجودك وحركت دموعك ـ كما يحدث لك بالتأكيد فى بعض الأحيان ، أليس

Twitter: @abdullah_1395

كذلك ؟ هل تشك حينئذ أيضاً بمعنى حياتك ؟ أو انك حتى لا تفكر فى ذلك فى هذه اللحظة ؟

م : هذه المشكلة لا تخطر ببالى حينئذ على الإطلاق .

ف : صحيح ، ولكن أليس من المعقول أنه فى هذه الحظة بالذات عندما تكون فى إلتقاء مباشر مع الجمال المطلق، إنك تكون قد وجدت معنى الحياة ، وجدته على أساس عاطفى دون أن تبحث عنه على أساس فكرى ؟ فى مثل هذه اللحظات لا نسأل أنفسنا ما إن كانت الحياة لها معنى أم لا ، ولكن إذا فعلنا ذلك فلن يكون فى إمكاننا إلا أن نصرح من أعماق وجودنا بصيحة انتصار « نعم » للوجود . فسوف نشعر بأن الحياة لها قيمة حتى لو عشناها فقط من أجل هذه الخبرة الفريدة .

م: أفهم ذلك وأوافق عليه ، فهناك بالتأكيد لحظات فى حياتى لا أفكر فيها على الإطلاق ، وعندئذ فقط ، يكون المعنى هناك ببساطة . وأشعر حتى بنوع من الإتحاد مع الوجود ، ويمكن للمرء أن يقول أيضاً أن هذا يشبه خبرة الوجود بقرب الله كما يخبرنا الصوفيون العظام .

ف : على أى حال ، يمكن القول بأنك حينئذ تشعر أنك قريب من الحقيقة ، ونحن بالتأكيد على صواب فى افتراضنا أن الحقيقة وجه من وجوه الألوهية أيضاً . فقط ، انظر أعلى رأسى : على الحائط خلف مقعدى سوف ترى درع جامعة هارفارد ، محفور

Twitter: @abdullah_1395

عليه كلمة veritas وهى تعنى « الحقيقة » ، ولكن كما تلاحظ أيضاً فان هذه الكلمة تنقسم إلى ثلاثة مقاطع وزعت على ثلاثة كتب ، ويمكننا تفسير هذا بالقول بأن الحقيقة الكلية ليست حقيقة عالمية ، لأنها ليست فى متناول أى أحد . وعلى الإنسان أن يقنع بالحصول على وجه واحد من كل الحقيقة . وهذا يصدق تماماً بالنسبة للّه ، الذى لا تكون الحقيقة سوى وجه من وجوهه .

م : على أى حال إن ما يثير اهتمامى هو مسألة ما يجب علىّ أن أفعله عندما أشعر بأننى فى قبضة الإحساس بالفراغ ، الخواء من أى قيم أو معانى ، وبأننى مغترب حتى عن الجمال الفنى والحقيقة العلمية .

ف : حسناً ، يمكننى القول هنا بأنه لا يجب أن تتعلق فقط بأرواح هؤلاء العظماء الذين وجدوا المعنى ، وانما أيضاً يجب أن تلتفت إلى هؤلاء الفلاسفة ـ أمثال الوجوديين الفرنسيين جان بول سارتر أو ألبير كامى ـ الذين عانوا على ما يبدو من نفس الشكوك التى تعانيها فجعلت منهم فلاسفة ، وان تكن فلسفتهم عدمية ، سوف تضع مشكلاتك على مستوى أكاديمى ، وتجعل هناك مسافة بينك وبينهم . فما كان يزعجك سوف يبدو لك الآن فى ضوء فقرة أو أخرى من صفحة فى كتاب لمؤلف أو لآخر . سوف تدرك أن المعاناة من هذه المشاكل شىء إنسانى ، بل ومخلص ، إنه انجاز ومأثرة وليس عرضاً عصابياً . عموماً ، سوف تجد أنه لا شىء هناك يخجل منه ، وانما بالأحرى شىء يفتخر به ، وهو بالتحديد الإخلاص الفكرى . وبدلاً من تفسير مشكلتك فى صورة أعراض ، سوف تتعلم أن

Twitter: @abdullah_1395

تفهمها بوصفها جانباً رئيسياً من الشرط الإنسانى الذى تعترف به حينئذ . سوف تعتبر نفسك عضواً فى جماعة غير مرئية ، جماعة بنى الإنسان الذين يعانون من الخبرة الأزلية باللامعنى الأساسى للوجود الإنسانى ، وفى نفس الوقت يجاهدون من أجل حل مشكلات الجنس البشرى المصاحبة للبشر على مدى الدهر . فى الحقيقة إن نفس المعاناة ونفس المجاهدة تجعلك تتحد مع أفضل صور القدوة الإنسانية . فلتحاول إذن أن تكون صبوراً وشجاعاً : صبوراً على أن تترك المشكلات التى بلا حل تأخذ وقتها ، وشجاعاً فى ألا تستسلم وتظل تجاهد من أجل إيجاد حل نهائى لتلك المشكلات .

م : اذن فانت لا تعتقد يا دكتور ان حالتى مجرد عصاب يمكن التغلب عليه .

ف : إذا كان هذا عصاباً ، فيمكننى القول بأنه عصاب جمعى خاص بحاضرنا ، وأن شفاؤه ممكن فقط على مستوى جمعى . ومن وجهة النظر هذه ، فان معاناتك تكون مثالاً للمعاناة التى ابتلى بها الجنس البشرى ككل ، أو على الأقل هؤلاء الأفراد الأكثر حساسية وتفتحاً عقلياً ؛ انها معاناتهم هم تلك التى تنوء أنت بحملها .

م : وأنا لا أعترض على المعاناة ، ولكن لا بد أن يكون لها معنى .

ف : ان طلبك للمعنى ليس مرضياً ، لا ولا تساؤلك عن معنى حياتك . انهما بالأحرى امتياز خاص بالشباب . ان الشاب حقاً لا يأخذ إطلاقاً معنى حياته كمسلمة ، ولكن يواجهه كتحدٍ . ما أريد أن

Twitter: @abdullah_1395

أقوله هو انك لست بحاجة لأن تيأس لأنك يائس . وانما يجب أن تأخذ هذا اليأس على أنه دليل وجود ما اعتدت أنا على تسميته « بإرادة المعنى » . ومن وجهة نظر ما ، فان ارادتك للمعنى بالذات هى تبرير ايمانك بالمعنى . أو كما قال الروائى النمساوى الشهير فرانز ڤيرفل : « العطش هو أقوى برهان على وجود الماء » . وقد كان يقصد كيف يمكن أن يشعر الإنسان بالعطش إلا إذا كان الماء موجوداً فى العالم . ولا تنس كلمات بليز باسكال : « للقلب أسبابه التى لا يعرفها العقل »-le coeur a ses raisons que la rai son ne connait pas ويمكننى القول بأن قلبك كان يؤمن طول الوقت بالسبب النهائى للوجود . فأحياناً ، تثبت حكمة قلوبنا أنها أعمق من بصيرة عقولنا . وأحياناً ، يكون من الأكثر معقولية ألا تحاول أن تكون معقولاً جداً .

م : هذا ما اكتشفته بنفسى بالضبط . فأحياناً ، من أجل أن أشعر بالراحة أحتاج فقط لأن ألتفت إلى المهام المباشرة التى تواجهنى .

لقد قلت فى البداية أن اللذة الجنسية قد يتم توظيفها كوسيلة هروب من الإحباط الوجودى . ففى هذه الحالات التى تحبط فيها إرادة المعنى ، لا تصبح إرادة اللذة واحدة من مشتقات إرادة المعنى وحسب ، وإنما أيضاً تكون بديلاً لها . وإرادة القوة يتم توظيفها فى خدمة هدف مماثل لذلك . ففقط عندما يحبط الإهتمام الأصلى بتحقيق المعنى ، إما أن ينغمس الإنسان فى اللذة أو يقنع بالقوة .

ومن الأشكال التى تتخذها إرادة القوة ما أسميه بارادة المال . وارادة المال هى السبب وراء كثير من النشاط المهنى المبالغ فيه وهى ـ والمبالغة فى النشاط

Twitter: @abdullah_1395

الجنسى أيضاً ـ تخدم كمهرب من الوعى بالفراغ الوجودى . فإذا سادت ارادة المال ، فان البحث عن الوسائل يحل محل البحث عن المعنى . وبدلاً من أن يظل المال وسيلة فانه يصبح هدفاً ، ويتوقف عن خدمة الأغراض .

فماذا يكون معنى المال عندئذٍ ، او يكون السؤال هنا ماذا يصبح معنى امتلاك المال ؟ ان معظم هؤلاء الناس الذين يملكون المال هم فى الحقيقة مملوكون للمال ، يسيطر عليهم حافز الإستزادة ، وهم بذلك يفقدونه معناه . لأن امتلاك المال يجب أن يعنى أن المرء يعيش حالة من الثراء . فيمكنه ألا يأبه بالمال الذى هو وسيلة ، وانما يبحث عن الغايات نفسها ـ تلك الغايات التى يجب أن يكون المال فى خدمتها .

لقد عرض علىّ مرة رئيس أحد الجامعات الأمريكية أن التحق بإحدى كلياته لبضعة أسابيع مقابل تسعة آلاف دولار . ولم يستطع فهم أسباب رفضى. فسألنى « هل تريد المزيد ؟ » ، فأجبت : « على الإطلاق ، ولكنى إذا فكرت فى طريقة لاستثمار تسعة آلاف دولار اعتقد أن الطريقة الوحيدة التى لها قيمة فى استثمار المبلغ هى أن أشترى وقتاً للعمل ، ولكن لدى الآن وقت للعمل ، فلماذا أبيعه بتسعة آلاف دولار ؟ » .

ان المال ليس غاية فى ذاته . فاذا أمكن لدولار أن يخدم معنى وهدفاً اكثر فى يدى أى شخص آخر فلا يجب أن أحتفظ به فى حافظتى . وهذا ليس له علاقة بالغيرية ، فالغيرية فى مقابل الأنانية اختيار عتيق الطراز . وكما سبق أن قلت أن المدخل الأخلاقى للقيم يجب أن يفسح طريقاً للمدخل الأنطولوچى الذى يمكن معه تعريف الخير والشر فى ضوء قدرتهما عى إعاقة أو مساعدة تحقيق المعنى ، بصرف النظر عما إذا كان هذا المعنى خاص بى أو خاص

Twitter: @abdullah_1395

بشخص آخر .

ان الوقت يساوى المال بالنسبة لهؤلاء الذين يتلهفون على امتلاك المال كما لو كان غاية فى ذاته . وهم يظهرون احتياجاً للسرعة ، فبالنسبة لهم تصبح قيادة سيارة سريعة غاية فى حد ذاتها . إن هذا ميكانيزم دفاعى ، محاولة للهرب من المواجهة مع الفراغ الوجودى . وبالقدر الذى يقل به وعى المرء بالهدف ، فانه يسرع باجتياز الطريق . لقد كان الممثل الكوميدى الڤيينى الشهير كالتينجر يمثل دور أحد أفراد الهوليجان ، فجلس على دراجة بخارية وغنى : « اننى لا أعلم فى الواقع إلى أين أنا ذاهب ، ولكنى على أى حال سأصل هناك بسرعة» .

هذا مثال على ما يمكن تسميته بوقت الفراغ الطارد المركزى فى مقابل وقت الفراغ الجاذب إلى المركز . واليوم يسود وقت الفراغ الطارد المركزى . والهروب من الذات يسمح بتجنب المواجهة مع الخواء الموجود بالذات . أما وقت الفراغ الجاذب إلى المركز فيسمح بحل المشكلات ـ وبالبداية بمواجهتها . أما الناس الذين يتأرجحون بين النشاط المهنى المبالغ فيه ووقت الفراغ الطارد المركزى فليس لديهم وقت للإنتهاء من مشاغلهم . فعندما يبدأون بالتفكير تدخل سكرتيرة طالبة توقيعاً ، أو يرن جرس تليفون يجب الرد عليه . وما يحدث بعد ذلك تصفه الترنيمة القائلة : « حتى فى الليل يعاتبه قلبه » . واليوم يمكن أن تقول : فى الليل تعود المشكلات الوجودية المكبوته ، حيث يذكره الضمير بها . وهذا هو أصل ما يمكننى تسميته بالأرق المعنوى . والذين يعانون منه عادة ما يتناولون حبوباً منومة . وهم ينامون بالفعل، ولكنهم أيضاً يسقطون فريسة للتأثير المرضى للكبت . وهو ليس كبت للحقائق الجنسية فى الحياة ، وانما

Twitter: @abdullah_1395

كبت الحقائق الوجودية للحياة .

اننا فى حاجة إلى وقت فراغ يسمح لنا بالتفكير والتأمل . ومن أجل هذه الغاية ، يحتاج الإنسان للشجاعة لأن يكون وحيداً .

ان الفراغ الوجودى فى النهاية متناقض ظاهرياً . فاذا نحن فقط وسعنا أفقنا فسوف نلاحظ أننا نتمتع بحريتنا ، ولكننا لسنا على وعى كامل بعد بمسئوليتنا . واذا كنا كذلك ، فسوف ندرك أن هناك الكثير من المعانى تنتظر أن نحققها ، ولتكن متعلقة بالأفراد غير المتميزين ، أو بالبلاد غير المتقدمة .

من المؤكد أنه يجب علينا توسعة مفهومنا عن واحدية الإنسانoneness of man . والتحدى هنا لا يقتصر على واحدية الإنسان فقط ، بل أيضاً واحدية الجنس البشرى .

لقد طور الجنس البشرى منذ آلاف السنين فكرة التوحيد . والآن هناك خطوة أخرى يجب اتخاذها . ويمكننى أن أسميها : توحيد الجنس البشرى monanthropism . أى لا الإعتقاد بوحدانية الله ، وانما الوعى بوحدانية الجنس البشرى ، الوعى بوحدة الإنسانية ، وهى وحدة تتلاشى فى ظلها اختلافات ألوان بشراتنا [١٣] .

---

(١٣) أنا لست ضد التميز إطلاقاً . وبالتأكيد ، أنا لست مع التميز العنصرى ولكنى مع التميز الراديكالى . بمعنى ، اننى مع الحكم على كل فرد على أساس الجنس الفريد الذى يمثله هو وحده . بعبارة أخرى : أنا مع التميز الشخصى لا التميز العنصرى .

Twitter: @abdullah_1395

الفصل الرابع

فنيات العلاج بالمعني

فى حالات الأعصبة المعنوية يكون العلاج بالمعنى علاجاً نوعياً specific. بعبارة أخرى ، ان ما يحتاجه مريض وقع فريسة لليأس الوجودى نتيجة اللامعنى الواضح فى حياته ، هو العلاج بالمعنى لا العلاج النفسى . على أن هذا لا يصح بالنسبة للأعصبة نفسية المنشأ . فهنا لا يقف العلاج بالمعنى فى مقابل العلاج النفسى ، بل يمثل واحدة من مدارس العلاج النفسى .

ودعونا الآن نناقش كيف يمكن تطبيق العلاج بالمعنى على الحالات نفسية المنشأ ، برغم أنه يجب أن تستند المقدمة الملائمة لتطبيقاته الكلينيكية إلى بيانات مستقاة من دراسة الحالات ، ويفترض مسبقاً وجود جلسات علاجية بالمستشفى . وبالمقارنة بالتدريب من خلال عرض ومناقشة الحالة ، فحتى التحليلات التدريبية تكون غير هامة نسبياً .

ان التطبيقات الكلينيكية للعلاج بالمعنى تنبع فى الحقيقة من تطبيقاته الأنثروبولوجية . وتسمى فنيات العلاج بالمعنى : ايقاف الإمعان الفكرى dereflection ، والمقصد المتناقض ظاهرياً paradoxical intention ، وكلاهما تعتمد على خاصيتين أساسيتين للوجود الإنسانى وهما بالتحديد ، قدرة الإنسان على التسامى بالذات ، وعلى الإنفصال عن الذات[1] .

لقد أشرت عندما كنت أناقش نظرية الدافعية الخاصة بالعلاج بالمعنى إلى

(1) Victor E. Frankl, "Logotherapy and Existential Analysis - A Review, "American Journal of Psychotherapy 20 : 252, 1966 .

Twitter: @abdullah_1395

أن الإهتمام المباشر باللذة يدحض ذاته . فكلما ركز الفرد على اللذة كهدف ، أخطأ الهدف . وفى العلاج بالمعنى نتحدث فى هذا الصدد عن الإفراط فى القصد hyperintention . وقد نلحظ مع هذه الظاهرة المرضية ظاهرة أخرى، وهى التى يسميها العلاج بالمعنى الإفراط فى التفكير hyper - re-flection، والإفراط فى التفكير يعنى الإهتمام المبالغ فيه .

وهناك ظاهرة أخرى من المعقول جداً أن نسميها بالإفراط الجمعى فى التفكير . ومن الممكن ملاحظتها خاصة فى ثقافة الولايات المتحدة حيث يهتم الكثير من الناس بمراقبة أنفسهم دائماً ، وتحليل أنفسهم وصولاً إلى ما يزعمون أنه الدوافع الخبيئة لسلوكهم ، وتفسير هذا السلوك فى ضوء السيكوديناميات اللاشعورية المتضمنة فيه . لقد وجدت البروفيسورة إديث فيسكوف چولسون ـ من جامعة چورچيا ـ أنه بين الطلاب الأمريكيين يعتبر تفسير الذات ، ثم تحقيق الذات صاحبا أعلى قيمة ، وبدلالة احصائية أعلى من أى قيمة أخرى . وبالنمو فى مثل هذا المناخ ، فان الناس يقعون دائماً تحت سيطرة التوقع المميت للآثار المعوقة لماضيهم إلى الحد الذى يصبحون معه معوقين بالفعل . لقد كتب لى قارىء لأحد كتبى رسالة اعترف فيها بالآتى : « لقد عانيت من فكرة اننى قد اكون مصاباً بعقد نفسية اكثر من اصابتى بها بالفعل . وفى الواقع ، اننى ما كنت لأبيع خبراتى بأى ثمن وأؤمن بأن خيراً كثيراً عاد علىّ منهم » .

إن التلقائية والنشاط تتعرضان للإعاقة إذا أصبحا هدفاً للإهتمام المفرط . واعتبروا من قصة أم أربعة وأربعين التى سألتها عدوتها عن التتابع البديع الذى تحرك به أرجلها . وعندما ألقت أم أربعة وأربعين بالاً إلى هذه المشكلة ، لم تستطع أن تحرك أرجلها إطلاقاً . ويقال أنها ماتت جوعاً . أو هل نقول أنها

Twitter: @abdullah_1395

ماتت من التفكير المفرط القاتل ؟

فى العلاج بالمعنى تتم مناقضة الإفراط فى التفكير بفينة إيقاف الإمعان الفكرى . ومن المجالات التى تستخدم فيها هذه الفنية « الأعصبة الجنسية » ، سواء كانت تبلداً أو عجزاً جنسياً . فالأداء أو الخبرة الجنسية تختنق بالقدر الذى تصبح به موضوعاً للإهتمام أو هدفاً للقصد [٢] . ففى حالات العجز الجنسى، يقدم المريض بشكل متكرر على الإتصال الجنسى كما لو كان واجباً عليه . وقد تعرضت لهذا الأمر الخاص بالأسباب المؤدية للعجز الجنسى فى موضع آخر[٣] . كما تم تطوير فنية للعلاج بالمعنى لإزالة خاصية « الواجبية » التى يربط المريض بينها وبين الإتصال الجنسى [٤] .

والعلاج بالمعنى للأعصبة الجنسية قابل للتطبيق بصرف النظر عما إن كان القائم بالعلاج يتبنى نظرية العلاج بالمعنى أم لا . ففى قسم الأعصاب بمستشفى ڤيينا البوليكلينيكى عهدت إلى طبيب ـ ذى نزعة فرويدية خالصة ـ بمرضى القسم الخارجى الذين يعانون من أعصبة جنسية ، ولكن فى الجلسات العلاجية ، حيث تفضل الإجراءات قصيرة المدى فقط ، كان يستخدم فنية

---

(٢) فيما يتعلق بالتبلد الجنسى ، ألفت نظر القارىء إلى حالة توضيحية ضمنتها كتابى : الإنسان يبحث عن المعنى Man's Search for Meaning .

(3) Victor E. Frankl, The Doctor and the Soul : From Psychotherapy to Logotherapy, second, expanded edition, Alfred A. Knopf, New York, 1965, PP. 159 ff .

(٤) لقد ناقشت هذه الفنية فى الكلمة الإفتتاحية أمام حضور ندوة العلاج بالمعنى فى إطار المؤتمر العالمى للعلاج النفسى بلندن .

(Victor E. Frankl, "Logotherapy and Existential Analysis -- A Review," American Journal of Psychotherapy 20 : 252, 1966) .

Twitter: @abdullah_1395

العلاج بالمعنى لا التحليل النفسى .

وفى الوقت الذى تعتبر فيه فنية « إيقاف الإمعان الفكرى » جزء من علاج العصاب الجنسى ، فان « المقصد المتناقض ظاهرياً » يمكن استخدامها فى العلاج قصير المدى لمرضى الوسواس القهرى والفوبيا (٥) .

والمقصد المتناقض ظاهرياً ، تعنى تشجيع المريض على أن يفعل أو يرغب فى حدوث الأشياء التى يخافها بالذات . ولكى ندرك الكفاءة العلاجية لهذه الفنية يجب أن ناخذ فى اعتبارنا الظاهرة المسماة «بالقلق التوقعى» anticipatory anxiety . وأعنى بذلك أن المريض يستجيب لحدث ما بتوقع يملؤه الخوف من أن يتكرر . وبذلك يميل الخوف إلى إحداث الشىء المرهوب بالذات ، وهذه هى الطريقة التى يعمل بها القلق التوقعى . وهكذا تنشأ حلقة مفرغة ، فالعرض يستنهض فوبيا والفوبيا تستثير العرض ، وتكرار حدوث العرض يعزز الفوبيا . فيسجن المريض فى شرنقة ، وينشأ ميكانيزم تغذية راجعة .

---

(٥) شرحت هذه الفنية بالألمانية فى مقال عام ١٩٣٩
("Zur medikamentosen Unterstutzung der Psychotherapie bei Neurosen," Schweizer Archiv fur Neurologie und Psychiatrie 43 : 26 - 31)
ثم بالانجليزية عام ١٩٥٥ فى كتابى
(The Doctor and the Soul : An Introduction to Logotherapy, Alfred A.Knopf, New York)
ثم استفضت فى شرحها فى مقال عام ١٩٦٠
(" Paradoxical Intention : A Logotherapeutic Technique", American Journal of Psychotherapy 14 : 520) .
وقد اعيد نشر المقال فى كتاب آخر لى عام ١٩٦٧
(psychotherapy and Existentialism : Selected papers on Logotherapy, Washington Square Press , New York) .

Twitter: @abdullah_1395

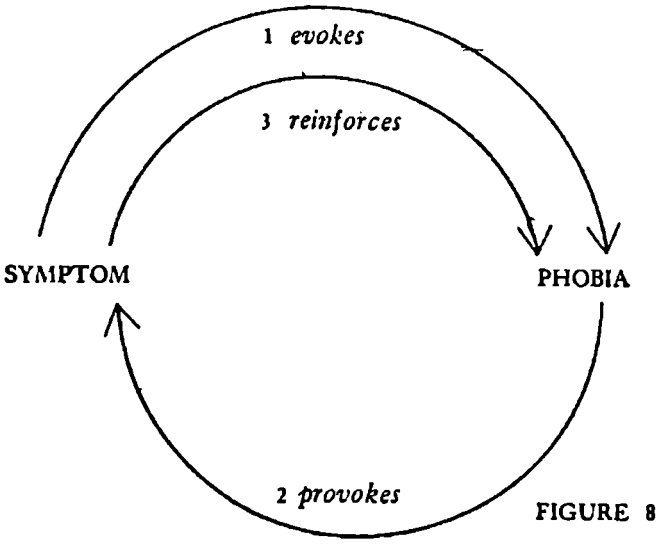

FIGURE 8

الشكل رقم (٨)

كيف يمكننا أن نكسر هذه الحلقة المفرغة ؟ يمكن ذلك إما بالعلاج بالعقاقير أو بالعلاج النفسى أو مزيج من الإثنين . والأخير يكون ضرورياً فى الحالات الخطيرة (٦) .

والعلاج بالعقاقير هو الطريقة المثلى للبدء مع تلك الحالات التى تتضمن أعراض الخوف من الأماكن المفتوحة agoraphobic symptoms فيها

---

(٦) مثل تلك الحالات التى ذكرتها فى الفصل الخاص بفنية المقصد المتناقض ظاهرياً فى كتابى : الطبيب والروح (The Doctor and the Soul, ff. 248 ff.) .

(7) Victor E. Frankl, "Psychische symptome und neurotische Reaktionen bei Hyperthyroese", Medizinische klinik 51 : 1139, 1956 .

Twitter: @abdullah_1395

عامل زيادة إفراز الغدة الدرقية [٧] ، أو حالات الخوف من الأماكن المغلقة claustrophobia الناتجة عن التكزز الكامن latent tetany[٨] . على أى حال ، يجب أن نضع فى اعتبارنا أن العامل العضوى المتضمن فى مثل هذه الحالات لا يقدم سوى مجرد نزعة للقلق ، فى حين أن عصاب القلق مكتمل النمو لا يتطور إلا إذا بدأ عمل ميكانيزم القلق التوقعى . لهذا ، فانه من أجل قطع الدائرة ، يجب مهاجمتها من قطبها النفسى أيضاً كما يهاجم قطبها العضوى . والمهمة الأولى هى بالتحديد ما تقوم به فنية المقصد المتناقض ظاهرياً.

اذن ، ماذا يحدث عندما يتم تطبيق فنية المقصد المتناقض ظاهرياً ؟ ان تشجيع المريض على أن يفعل ، أو يرغب فى حدوث ما يخشاه بالذات يحدث عكساً للقصد . حيث تحل رغبة متناقضة ظاهرياً محل الخوف المرضى .وهكذا باستخدام نفس الوسيلة ، يتم تفريغ أشرعة القلق التوقعى من الرياح .

لقد تحدثت عن عكس القصد . فما هو القصد من جانب المصاب بالفوبيا ؟ القصد هنا هو تجنب تلك المواقف المثيرة للقلق . وفى العلاج بالمعنى نتحدث عن الهروب من الخوف . وقد نلاحظه فى تلك الحالات ـ على سبيل المثال ـ التى يكون القلق نفسه فيها هو مثار الخوف ، حيث يتحدث

---

(٨) تم توضيح الأصل الفسيولوجى لهذه الحالات فى بحث قمت به بالقسم الذى أرأسه بمستشفى فيينا الهوليكلينيكى . وبالمصادفة ، فقد اتفق أن أول مهدىء طور فى القارة الأوروبية قمت أنا بتطويره فى عام ١٩٥٢ .

(Victor E. Frankl, "Zur Behandlung der Angst," Wiener medizinische Wochenschrift 102 : 535, 1952)

وقد أمكن استخدامه فى سياق العلاج بالعقاقير لحالات خواف الأماكن المغلقة وذلك على نحو خاص .

(Victor E. Frankl, " Uber somatogene Pseudoneurosen," Wiener Klinische Wochenschrift 68 : 280, 1956) .

Twitter: @abdullah_1395

المريض عن « الخوف من الخوف » . فهو يخاف فعلاً من النتائج المحتملة للخوف ، كأن يفقد الوعى ، أو يصاب بذبحة صدرية ، أو بالسكته .

ووفقاً لتعاليم العلاج بالمعنى ، فان الهروب من الخوف هو نمط مرضى المنشأ (٩) . وهو النمط العصابى على وجه التحديد . ولكن يمكن تفادى تطور الفوبيا بأن يواجه الفرد الموقف الذى يبدأ بالخوف منه . ولتوضيح هذه النقطة أحب أن أسرد خبرة خاصة بى . فأثناء تسلقى لصخرة فى طقس ضبابى وممطر ، رأيت أحد المتسلقين يسقط . وبرغم أنهم وجدوه أسفل مكان سقطته بحوالى ستمائة قدم ، إلا أنه نجا . وبعد أسبوعين ، تسلقت نفس الطريق للجانب شديد الإنحدار من الجبل . اتفق أن كان الطقس ضبابياً وممطراً مرة أخرى . ومع ذلك وبرغم الصدمة النفسية التى عانيت منها ، فقد تحديت الموقف ، وبذلك تغلبت على الصدمة .

وبالإضافة للهروب من الخوف ، هناك نمطان مرضيا المنشأ ، هما بالتحديد القتال من أجل اللذة ، والقتال ضد الأفكار القهرية والأفعال الحوازية. والقتال من أجل اللذة يتطابق مع القصد المبالغ فيه إلى اللذة ، ويمكن القول أن هذا هو أحد العوامل الرئيسية المتضمنة فى الأعصبة الجنسية . أما القتال ضد الأفكار القهرية ، حيث تعذب مرضى الوسواس القهرى فكرة انهم قد ينتحرون أو حتى يقتلون أحداً ، وقد تكون الأفكار الغريبة التى تنتابهم علامات ذهان وشيك إن لم يكن موجوداً بالفعل . بعبارة أخرى ، انهم يخافون الآثار المحتملة أو الأسباب المحتملة للأفكار الغريبة . ويتوازى النمط الفوبياوى للهروب من

(9) Victor E. Frankl,"Angst und Zwang . Zur Kenntnis pathogener Reaktionsmuster," Acta Psychotherapeutica 1 : 111, 1953 .

Twitter: @abdullah_1395

الخوف مع النمط الوسواسى القهرى . ويظهر مرضى العصاب القهرى أيضاً الخوف . ولكن الخوف هنا لا يكون من الخوف وانما خوف من أنفسهم ، وتكون استجاباتهم هى القتال ضد الأفكار القهرية والأفعال الحوازية . وكلما ازداد قتال المرضى قوة ، ازدادت أعراضهم قوة . بعبارة أخرى ، فانه بالإضافة إلى الدائرة التى تتكون كنتيجة للقلق التوقعى فى حالات الفوبيا ، يوجد ميكانيزم تغذية راجعة آخر قد نلتقى به لدى مرضى العصاب القهرى . ضغط يستنهض ضغطاً مضاداً ، والضغط المضاد بدوره يزيد من الضغط . واذا نجح المرء فى أن يجعل المريض يتوقف عن قتال قهوره وحوازاته ـ وهو ما يمكن انجازه باستخدام المقصد المتناقض ظاهرياً ـ فان هذه الأعراض تتضاءل سريعاً ، وتختفى فى النهاية .

وبعد مناقشة النظرية ، دعونا نرجع إلى ممارسة فنية المقصد المتناقض ظاهرياً. ولنتناول تقريراً عن حالة . حيث تقول إديث ڤايسكوف چولسون [١٠] ، من قسم علم النفس بجامعة چورچيا ، ما يلى :

« لقد استخدمت المقصد المتناقض ظاهرياً مع العديد من مرضاى ، بما فيهم أنا نفسى ، ووجدتها فعالة جداً . فمثلاً ، اشتكى طالب جامعى من كونه قلقاً إزاء اختبار شفهى سيدخله ـ ولنقل ـ الجمعة القادم . ونصحته بأن يأخذ دفتر مواعيده ويكتب على كل صفحة من صفحات الأسبوع بحروف كبيرة كلمة « قلق » . وطلبت منه أن يستعد لأسبوع من القلق . وقد شعر بارتياح كبير بعد أن فعل ذلك لأنه الآن أصبح يعانى من القلق وحده ، ولكن ليس من القلق إزاء القلق » .

---

(10) Edith Weisskopf - Joelson, "The Present Crisis in Psychotherapy," unpublised paper .

Twitter: @abdullah_1395

وهذا مثال آخر على المقصد المتناقض ظاهرياً : رفض المريض أن يغادر منزله لأنه كلما فعل ذلك تهاجمه نوبات خوف من أنه قد ينهار فى الشارع . وكل مرة خرج فيها من المنزل عاد بعد بضعة خطوات يمشيها . لقد كان يهرب من خوفه . وقد دخل إلى القسم الخاص بى فى المستشفى البوليكلينيكى . وأجرى له أطباء القسم فحصاً دقيقاً وتأكدوا من عدم وجود أى عيوب بقلبه . وأخبره أحد الأطباء بذلك . ثم اقترح على المريض أن يخرج إلى الشارع ويحاول أن يصاب بأزمة قلبية . قال له الطبيب : قل لنفسك انك اصبت أمس بأزمتين قلبيتين ، وأن لديك من الوقت اليوم ما يكفى لتصاب بثلاثة أزمات ـ فما زال الوقت مبكراً صباحاً . قل لنفسك انك ستصاب بتضخم ظريف فى الشريان التاجى ، وسكته أيضاً . ولأول مرة استطاع المريض أن يمزق الشرنقة التى سجن نفسه فيها .

وهناك أدلة على أن المقصد المتناقض ظاهرياً تصلح حتى فى الحالات المزمنة [١١] ، فعلى سبيل المثال توجد فى الموسوعة الألمانية للعلاج النفسى[١٢] دراسة حالة لسيدة فى الخامسة والستين كانت تعانى من حواز غسل اليدين لمدة ستين سنة . وقد نجح أحد أفراد فريقى الطبى بتطبيق فنية المقصد المتناقض ظاهرياً مع هذه الحالة .

---

(11) H.O.Gerz, "Treatment of the Phobic and the Obsessive - Compulsive Patient using Paradoxical Intention Sec. Victor E. Frankl," Journal of Neuropsychiatry 3 : 375, 1962 .

(12) K.Kocourek, E. Niebauer, and P.Polak, "Ergebnisse der Klinischen Anwendung der Logotherapie," in Handbuch der Neurosenlehre und Psychotherapie, edited by V.E.Frankl, V.E. von Gebsattel, and J.H. Schultz, Urband & Schwarzenberg, Munich - Berlin, 1959, vol. 3, P. 752.

Twitter: @abdullah_1395

وفى الصحيفة الأمريكية للعلاج النفسى ، نشر كل من رالف ج - ڤيكتور، وكارولين م. كروج [١٣] - من قسم الطب النفسى بجامعة واشنطن فى سياتل - تقريراً عن حالة جازفا فيها باستخدام فنية المقصد المتناقض ظاهرياً على مريض بالمقامرة القهرية . وقد كان المريض البالغ من العمر ست وثلاثون عاماً يقامر منذ سن الرابعة عشرة . وعندما تم نصحه بأن يقامر يومياً خلال ثلاث ساعات محددة ، لاحظ المريض أنه يشعر شعوراً عميقاً - بعد عشرين سنة وخمسة أطباء نفسيين - أن هذا أول إجراء خلاّق تم اتخاذه إزاء مشكلته . وبدأ المريض يخسر مبالغ طائلة حتى أفلس تماماً فى خلال ثلاثة أسابيع . ولكن « المعالج اقترح عليه أن يبيع ساعته » . وفى الحقيقة ، فان هذا المريض بعد العلاج بالمقصد المتناقض ظاهرياً ، « ولأول مرة منذ اكثر من عشرين عاماً حقق أول ربح له : التخفف من حالته » .

وقد حاول ج. ليبمبر استخدام المقصد المتناقض ظاهرياً مع الأطفال فى جامعات اوترخت ونيميجين الهولندية ، وذلك فى قسمى الطب النفسى والأطفال على التوالى . وقد نجح فى معظم الحالات ، وفى تقريره المنشور بدورية بلجيكية [١٤] أشار إلى أن « إبدال العرض لم يلاحظ حتى فى حالة واحدة » .

وفى الإتحاد السوفيتى ، وفقاً لعبارة صرح بها البروفيسور أ.م. سڤيادوستش، فان المقصد المتناقض ظاهرياً قد استخدمت فى مستشفاه بنجاح

(13) Ralph G. Victor and Carolyn M. Krug, "Paradoxical Intention in the Treatment of Compulsive Gambling," American Journal of Psychotherapy 21 : 808, 1967 .

(14) J.Lehembre, "L'intention paradoxale, procede de psychotherapie," Acta Neurologica et Psychiatrica Belgica 64 : 725, 1964 .

Twitter: @abdullah_1395

لعلاج الفوبيات وأعصبة القلق التوقعى (بيانات مستقاة من اتصال شخصى) .

وقد يصدق قول ياسبرز المأثور : « فى الفلسفة يعارض الجديد الصادق » على العلاج النفسى أيضاً . والمقصد المتناقض ظاهرياً كانت موجودة دائماً ، سواء عن غير عمد أو عن غير علم . وقد قدم لى رئيس قسم الطب النفسى فى جامعة مينز بألمانيا الغربية ، مثالاً على الإستخدام غير المتعمد . فعندما كان فى المدرسة العليا كان على فصله أن يقدم مسرحية ، وكان أحد الأدوار لشخص يتلجلج ، ولهذا أسندوا الدور إلى طالب كان يعانى بالفعل من اللجلجة . إلا أنه سريعاً ما تخلى عن الدور بسبب ما اتضح من أنه عندما يقف على المسرح كان يعجز تماماً عن أن يتلجلج . ولذلك استبدلوه بفتى آخر .

أما عن الإستخدام من غير علم ، ففيما يلى مثال على المقصد المتناقض ظاهرياً : كان على أحد طلبتى الأمريكيين أن يؤدى إمتحاناته أمامى ، وفى ذلك الوقت كان عليه أن يشرح المقصد المتناقض ظاهرياً فاستشهد بالقصة التالية من سيرته الذاتية : « كانت معدتى دائماً تصدر أصواتاً عندما أكون بصحبة آخرين ، وبدأت أسلم بأن هذا قد يلازمنى طيلة حياتى ، فلما بدأت اتعايش مع تلك الأصوات وأضحك مع الآخرين عليها ، سرعان ما اختفت » .

فى هذا السياق ، أود أن أؤكد على حقيقة هامة ، هى أن تلميذى قد تبنى اتجاهاً فكاهياً من العرض . وفى الحقيقة ، يجب أن يتم تشكيل فنية المقصد المتناقض ظاهرياً على نحو فكاهى قدر الإستطاعة . فالفكاهة ظاهرة إنسانية بلا

Twitter: @abdullah_1395

أدنى شك [١٥]. فلا يوجد مخلوق آخر عدا الإنسان يستطيع أن يضحك . ولكن الأهم من ذلك ، أن الفكاهة تسمح للإنسان أن يخلق منظوراً ، أن يصنع مسافة بينه وبين ما يواجهه أي كان . وعلى نفس الأساس ، فالفكاهة تسمح للإنسان أن يفصل نفسه عن نفسه ، وبذلك يحصل على إمكانية أكبر للسيطرة على نفسه . وما تقوم به فنية المقصد المتناقض ظاهرياً أساساً هو الإستفادة من القدرة الإنسانية على الإنفصال عن الذات self - detachment فإذا أخذنا هذا فى الاعتبار ، يتضح لنا أن اعتقاد كونراد لورنتز [١٦] الذى صرح به فى أحدث كتبه : « اننا حتى الآن لا نأخذ الفكاهة بالجدية الكافية » لم يعد اعتقاداً صحيحاً .

وبصدد موضوع الفكاهة ، فقد أثار جوردون و.اولبورت سؤالاً هاماً ، بعد إلقائى كلمة فى جامعة هارفارد . وكان السؤال هو : هل روح الفكاهة السليمة الموجودة فى فنية المقصد المتناقض ظاهرياً تتوافر فى كل المرضى ، أم لا ؟ وأجبت بأنه من حيث المبدأ ، فان كل كائن إنسانى ـ بفضل انسانيته ـ يستطيع أن يفصل نفسه عن نفسه ويضحك على نفسه . ولكن بالتأكيد توجد فروق كمية فى الدرجة التى تتراوح فى نطاقها قدرة الإنسان على الإنفصال عن الذات وروح الفكاهة السليمة لديه . وهذا مثال على درجة منخفضة لهذه القدرة :

---

(١٥) وبمناسبة الحديث عن الفكاهة ، فلدى من الأسباب الوجيهة ما يجعلنى أتحدث عن المقصد المتناقض ظاهرياً فى إطار من المزاح : فقد اعتذر صبى تأخر عن المدرسة للمدرس بأن الشوارع المغطاة بالثلوج كانت زلقة لدرجة أنه كلما تحرك خطوة للأمام انزلق خطوتان للخلف . وهنا قال له المدرس : الآن انكشف كذبك ، فلو صح ما قلت لما أمكنك النجاح فى الوصول للمدرسة إطلاقاً . ولكن الصبى أجاب بهدوء : ولم لا ؟ ببساطة استدرت للخلف وبممت إلى المنزل ـ ألم يكن هذا قصداً متناقضاً ظاهرياً ؟ ألم ينجح الصبى من خلال قلبه للقصد الأصلى ؟

(١٦) Konrad Lorenz, On Aggression, Bantam Books, New York, 1967, P.284 .

Twitter: @abdullah_1395

فقد أتى إلى القسم الخاص بى حارس متحف لم يستطع أن يبقى فى وظيفته لأنه كان يعانى من خوف قاتل من أن أحدهم قد يسرق لوحة . وفى جولة قمت بها مع الفريق الطبى ، حاولت أن استخدم المقصد المتناقض ظاهرياً معه ، فقلت له : « قل لنفسك انهم سرقوا لوحة لرمبرانت بالأمس ، وانهم سيسرقون لوحة لرمبرانت وأخرى لڤان جوخ اليوم » ولكنه حدق فى وجهى وقال: « ولكن يا سيدى البروفيسور ، هذا ضد القانون » . ببساطة ، ان هذا الرجل كان من الضعف العقلى بحيث لم يفهم معنى المقصد المتناقض ظاهرياً .

وفى هذا الشأن فان المقصد المتناقض ظاهرياً ، أو حتى العلاج بالمعنى ، ليس استثناءاً . فانها قاعدة فى العلاج النفسى ـ كل مناهج العلاج النفسى ـ ان العلاج النفسى ليس قابلاً للتطبيق مع كل مريض بنفس الدرجة من النجاح . بل اكثر من ذلك ، ليس كل طبيب قادر على استخدام كل مناهج العلاج النفسى بنفس الدرجة من المهارة . ومنهج الإختيار فى كل حالة معطاة يشبه المعادلة ذات المجهولين :

$$س = أ + ب$$

حيث يمثل المجهول الأول الشخصية الفريدة للمريض ويمثل المجهول الثانى الشخصية الفريدة للطبيب . ويجب أخذ كليهما فى الإعتبار قبل اختيار المنهج العلاجى . وما يصدق على مناهج العلاج الأخرى يصدق على العلاج بالمعنى أيضاً .

فالعلاج بالمعنى ليس علاجاً لجميع الأمراض ، ولا أى علاج نفسى آخر أيضاً . وقد قال محلل نفسى ذات مرة عن نوعية علاجه : « هذا التكنيك أثبت

Twitter: @abdullah_1395

أنه المنهج الوحيد الملائم لفرديتى ، ولا أجرؤ على انكار أن الطبيب البشرى الذى تم تكوينه على نحو مختلف تماماً قد يشعر بأنه مجبر على تبنى اتجاه مختلف تجاه مرضاه والمهام التى عليه أن يؤديها » . ان صاحب هذا الإعتراف هو سيجموند فرويد .

ونظراً لأن العلاج بالمعنى ليس علاجاً عاماً لجميع الأمراض ، فلا اعتراض على الجمع بينه وبين مناهج أخرى ، وذلك كما يقترح أطباء نفسيون أمثال ليدرمان (تنويم مغنطيسى) (١٧) ، وباتزى (تدريب الإسترخاء وفقاً لطريقة شولتز) (١٨) ، وڤيلوج (العلاج السلوكى) (١٩) ، وڤوربوش (٢٠) ، وجيرتز (العلاج بالعقاقير) (٢١) .

من جانب آخر ، فان النتائج الجديرة بالإهتمام التى تم التوصل إليها باستخدام المقصد المتناقض ظاهرياً لا يمكن تفسيرها فى إطار أنها مجرد ايحاء . ففى الواقع ، عادة ما يشرع المرضى فى استخدام المقصد المتناقض ظاهرياً باعتقاد جازم أنها لن تفعل شيئاً ، ومع ذلك فانهم ينجحون لا بسبب الإيحاء وانما

---

(17) F.K.Ledermann , "Clinical Applications of Existential Psychotherapy," Journal of Existential Psychiatry 3 : 45, 1962 .
(18) T.Bazzi, Paper read before the International Congress of Psychotherapy, Barcelona, 1958 .
(19) B. Kvilhaug, "Klinische Erfahrungen mit der Logotherapeutischen Technik der paradoxen Intention beziehungsweise deren Kombination mit anderen Behandlungsmethoden (Bericht uber 40 Falle)," Paper read before the Austrian Medical Society of Psychotherapy, Vienna, July 18, 1963 .
(20) H. J. Vorbusch, Die Behandlung schwerer Schlafstorungen mit der paradoxen Intention," Paper read before the Austrian Medical Society of Psychotherapy, Vienna, june 1, 1965 .
(21) H.O.Gerz, "Severe Depressive and Anxiety States ," Mind 1 : 235, 1963 .

Twitter: @abdullah_1395

بالرغم من الإيحاء . لقد أخضع بندكت [٢٢] مرضاه لبطارية اختبارات من أجل تقييم قابليتهم للإيحاء . فأظهر المرضى قابلية للإيحاء أقل من المتوسط ، ولكن المقصد المتناقض ظاهرياً نجحت فى حالاتهم .

وقد أثبت كل من جيرتز [٢٣][٢٤] ، وليبزلتيرن وتويدى [٢٥][٢٦] أن المقصد المتنافض ظاهرياً لا يجب أن تمزج بالإقناع . ومع ذلك أعتقد أنه فى بعض الحالات لا يمكن البدء بالمقصد المتناقض ظاهرياً إلا إذا سبقها الإقناع . وهذا يصدق بشكل خاص على الأفكار القهرية الخاصة بادعاء الألوهية ، والتى ابتكرت لعلاجها فنية خاصة فى العلاج بالمعنى [٢٧] .

ويوافق معظم المؤلفين الذين مارسوا المقصد المتناقض ظاهرياً ونشروا نتائج

---

(22) Fritz Benedikt, "Zur Therapie angst - und zwangsneurotischer Symptome mit Hilfe der 'Paradoxin Intention' und 'Dereflexion' nach V.E.Frankl," Dissertation, University of Munich Medical School, 1966 .

(23) H.O.Gerz, "The Treatment of the Phobic and the Obsessive - Compulsive Patient Using Paradoxical Intention Sec. Victor E.Frankl," Journal of Neuropsychistry 3 : 375, 1962 .

(24) H.O.Gerz, "Experience with the Logotherapeutic Technique of Paradoxical Intention in the Treatment of Phobic and Obsessive - Compulsive Patients," Paper read before the Symposium on Logotherapy at the Sixth International Congress of Psychotherapy, London, 1964. American Journal of Psychiatry 123 : 548, 1966 .

(25) D.F.Tweedie, Logotherapy and the Christian Faith : An Evaluation of Frankl's Existential Approach to Psychotherapy, Baker Book House, Grand Rapids, Michigan, 1961 .

(26) D.F.Tweedie, The Christian and the Couch : An Introduction to Christian Logotherapy, Baker Book House, Grand Rapids, Michigan, 1963 .

(27) Victor E. Frankl, The Doctor and the Soul : From Psychotherapy to Logotherapy, Alfred A.Knopf, New Youk, 1965, P. 239.

Twitter: @abdullah_1395

أعمالهم على انها إجراء قصير المدى . وعلى أى حال ، وكما كتب إميل أ. جثيل[٢٨] ـ المحرر الراحل بالمجلة الأمريكية للعلاج النفسى ـ « فان الإفتراض بأن قوة النتائج تتوافق مع طول مدة العلاج انما هو واحد من الأوهام الفرويدية التقليدية» . وكما كتب ج.هـ. شولتز [٢٩] ـ الأب الروحى العظيم للعلاج النفسى فى ألمانيا ـ أنه « لا يوجد أى أساس يمكن أن يبنى عليه التأكيد بأن إزالة العرض لابد وأن يعقبه إبدال الأعراض » .

وقد عبرت المحللة النفسية إديث ڤابسكوف چولسون [٣٠][٣١] عن نفس الرأى فى مقال كتبته عن العلاج بالمعنى ، حيث قالت : « ان المعالجين النفسيين تحليلى الوجهة قد يدعون أنه لا يمكن تحقيق تحسن حقيقى بمناهج مثل العلاج بالمعنى ، حيث يبقى المرض فى الرقاقات الأعمق دون أن يمس ، فى حين يقتصر دور المعالج على تقوية أو استنهاض الدفاعات . مثل هذه الاستنتاجات لا تخلو من خطر . فقد تحول بيننا وبين ادراك أعظم مصادر الصحة العقلية ، لأن هذه المصادر لا يمكن صبها فى قوالب نظرية معينة . ولا يجب أن ننسى أن تصورات من قبيل الدفاعات ، والطبقات الأعمق ، والأداء الوظيفى الملائم على مستوى سطحى مع المرض الكامن ، انما هى مفاهيم نظرية وليست

---

(28) E.A.Gutheil, "Proceedings of the Association for the Advancement of Psychotherapy," American Journal of Psychotherapy 10 : 134, 1956 .

(29) J.H.Schultz, "Analytische und organismische Psychotherapie," Acta Psychotherapeutica 1 : 33, 1953 .

(30) Edith Weisskopf - Joelson, "Some Comments on a Viennese School of Psychiatry, " Journal of Abnormal and Social Psychology 51 : 701, 1955 .

(31) Edith Weisskopf- Joelson, "Logotherapy and Existential Analysis," Acta Psychotherapeutica 17 : 554, 1963 .

Twitter: @abdullah_1395

ملاحظات امبيريقية » . وعلى العكس من ذلك ، فان النتائج التى يتم الحصول عليها بواسطة المقصد المتناقض ظاهرياً تستحق بالفعل أن تعتبر ملاحظات امبيريقية.

وهناك محلل نفسى آخر هو جلين ج. جولواى من مستشفى ايسلانتى العام ، وهو يعتقد أن المقصد المتناقض ظاهرياً لا يحل « الصراعات الكامنة » . ولكنه يقول أن هذا لا ينتقص من قدر المقصد المتناقض ظاهرياً كفنية ناجحة «فليست إهانة للجراحة أنها لا تشفى المرض فى المرارة التى تستأصلها ، فالمريض يشعر بالتحسن بعد ذلك» .

« إذن ما الذى تفعله المقصد المتناقض ظاهرياً . هذا السؤال سأله لنفسه ليستون ل. هافينز [٣٢] ـ من جامعة هارفارد بكلية الطب قسم الطب النفسى ـ وأجاب : « باللغة المألوفة ـ أى من قبيل المصطلحات السيكودينامية ـ يطلب من المريض تفريغ الدفعات المحظورة ، أى أنه يعطى التصريح بذلك . وعلى نحو اكثر تحدداً ، فان كفوفه تستبعد ... وبالتأكيد ان ما يوصى به فرانكل يمكن أن يتم تصنيفه تحت فئة المصطلح القديم « تعديل الأنا الأعلى » .... فالطبيب يتدخل لكى يزود المريض بضمير اكثر تسامحاً . فالذى يتأثر هو معايير المريض ومثله . فالمريض الذى يفتقر إلى المثل ، يساعده فرانكل على أن يجد مثلاً جديدة . أما المريض الذى تكون أعراضه هى المعاناة من المُثل العقوبية ، فان فرانكل يحاول تعديل هذه المثل » .

لهذا السبب بدأ العديد من المحللين النفسيين يستخدمون فنية المقصد

(32) Leston L. Havens, "Paradoxical Intention," Psychiatry and Social Science Review, 2 : 2, 1968, PP. 16 - 19 .

Twitter: @abdullah_1395

المتناقض ظاهرياً بنجاح . ويحاول بعض العاملين فى هذا المجال أن يقدموا تفسيراً لهذا النجاح فى ضوء بعض المفاهيم السيكوديناميه [٣٣] وآخرون ـ أمثال د. مولر هيجمان [٣٤] ـ وصفوا المقصد المتناقض ظاهرياً على أنها « مدخل ذو وجهة عصبية فسيولوچية » ، فقد كتب أنه لاحظ نتائج هامة فى السنوات الأخيرة لدى المرضى الذين يعانون من الفوبيا ، ولذلك فهو يعتبر المقصد المتناقض ظاهرياً فنية ذات جدارة عليا . ومرة أخرى ، يجب هنا تسجيل ملاحظة أنه حتى الأطباء ـ الذين يلتزمون بنظريات مختلفة عن تلك المتضمنه فى العلاج بالمعنى ـ يضمون المقصد المتناقض ظاهرياً إلى ما يتسلحون به من أدوات وفنيات .

وقد بذلت بعض المحاولات لتوضيح دلالات العلاج بالمعنى . فعلى سبيل المثال ، يشعر چيرتز ـ مدير القسم الكلينيكى بمستشفى كونيكتكت ڤالى ـ بأن المقصد المتناقض ظاهرياً تعتبر بمثابة علاج نوعى فعال فى حالات الفوبيا والعصاب القهرى ، « وتصلح للإستخدام فى الحالات الحادة كعلاج قصير المدى [٣٥] .

---

(33) Victor E.Frankl, Psychotherapy and Existentialism : Selected Papers on Logotherapy , Washington Square Press, New York, 1967; H.O.Gerz, "The treatment of the Probic and the Obsessive - Compulsive Patient Using Paradoxical Intention Sec. Victor E. Frankl," Journal of Neuropsychiatry 3 : 375, 1962 .

(34) The director of the Neuropsychiatric Clinic of Karl Marx University in Leipzig , East Germany . See his article, "Methodological Approach in Psychotherapy," American Journal of Psychotherapy 17 : 554, 1963 .

(35) H.O.Gerz, "Experience with the Logotherapeutic Technique of Paradoxical Intention in the Treatment of Phobic and Obsessive - Compulsive Patients," Paper read before the Symposium on Logotherapy at the Sixth International Congress of Psychotherapy, London, 1964 . American Journal of Psychiatry 123 : 548, 1966.

Twitter: @abdullah_1395

وعن الإحصاء يقول چيرتز : « أن ٢ر٨٨٪ من كل المرضى الذين يحققون الشفاء أو التحسن الملموس . فى معظم هذه الحالات عانى هؤلاء من مرضهم لحوالى أربع وعشرين عاماً .. هؤلاء الذين استمر مرضهم لسنوات عديدة يحتاجون لجلستين اسبوعياً لمدة اثنى عشر شهراً من أجل تحقيق الشفاء . وفى معظم الحالات الحادة التى استمر فيها المرض لبضعة أسابيع أو شهور قليلة استجاب المرضى للمقصد المتناقض ظاهرياً بعد ما يتراوح بين أربع جلسات واثنى عشرة جلسة تقريباً »(٣٦) .

ويضيف د. چيرتز : « ومن المفهوم أن طبيباً نفسياً تلقى تدريب على التحليل النفسى لسنوات عديدة قد يميل إلى الحكم المسبق ويتجاهل المقصد المتناقض ظاهرياً دون أن يجربها »(٣٧) . وبدون شك ، ان كثيراً من المقاومة للمقصد المتناقض ظاهرياً ـ ومن ثم للعلاج بالمعنى ـ تنبع من خلفيات انفعالية من قبيل الولاء والطاعة للطائفة التى ينتمى إليها . ولكن هذا الطائفى يجب أن يضع فى اعتباره اعتراف فرويد بأن « الإنحناء احتراماً أمام عظمة عبقرى هى شىء عظيم بالتأكيد ، ولكن الإنحناء احتراماً أمام الحقيقة يجب أن يكون اكبر »(٣٨) .

ومع أهمية تحديد دلالات العلاج بالمعنى والمقصد المتناقض ظاهرياً ، فإنه من الأكثر أهمية تحديد الدلالات المضادة contraindications . حيث

(36) H.O.Gerz, "The Treatment of the Phobic and the Obsessive - Compulsive Patient Using Paradoxical Intention Sec. Victor E. Frankl", Journal of Neuropsychiatry 3 : 375, 1962 .

(37) نفس المرجع السابق

(38) Sigmund Freud, "Book Review", Wiener medizinische Wochenschrift, 1889 .

Twitter: @abdullah_1395

تنقلب دلالة المقصد المتناقض ظاهرياً للضد تماماً فى حالات الإكتئاب الذهانى . ولمثل هؤلاء المرضى توجد فنية علاج بالمعنى خاصة مبدأها الهادى هو تقليل مشاعر الذنب التى يعانى منها المريض بسبب ميله إلى لوم الذات [٣٩] . فالطب النفسى الوجودى يخطىء إذا فهم ميول لوم الذات هذه كدليل على أن المريض مذنب بالفعل « مذنب وجودياً » ، وبالتالى مكتئب . فان هذا يكون من قبيل الخلط بين السبب والنتيجة. واكثر من ذلك ، أن مثل هذا التفسير قد يعزز مشاعر الذنب لدى المريض إلى الحد الذى قد يؤدى إلى انتحاره . وبالمناسبة ، فان العلاج بالمعنى قدم اختباراً خاصاً لتقدير احتمال الإنتحار فى كل حالة فردية[٤٠] .

وإذا تعلق الأمر بمرضى فصاميين ، فان العلاج بالمعنى بعيد عن تقديم علاج سببى . إلا أن فنية العلاج بالمعنى المسماة بايقاف الإمعان الفكرى dereflection ـ والتى تستخدم كإضافة علاجية مساعدة ـ يمكن أن تستخدم مع هؤلاء المرضى [٤١] . ويتضمن الجزء المعنون بالممارسة العلاجية الحديثة [٤٢] بعض التسجيلات لجلسات علاجية مع مرضى فصاميين ، وذلك لتوضيح كيفية استخدام ايقاف الإمعان الفكرى .

---

(39) Victor E.Frankl, The Doctor and The Soul : From Psychotherapey to Logotherapy, second, expanded edition, Alfred A . Knopf, New York, 1965, PP. 261 ff .

(40) نفس المرجع السابق

(41) نفس المرجع السابق

(42) Victor E.Frankl , "Fragments from the Logotherapeutic Treatment of Four Cases," in Modern Psychotherapeutic Practice : Innovations in Technique, edited by Arthur Burton, Science and Behavior Books, Palo Alto, California, 1965 .

Twitter: @abdullah_1395

وقد صرح بيرتون [٤٣] مؤخراً « أن الخمسين عاماً الأخيرة من الطب النفسى العلاجى صنعت فتيشاً * للتاريخ الشخصى العميق للمريض . حيث قادتنا الشفاءات الفجائية للهيستيريات المتواصلة المزعومة إلى البحث عن خبرة صدمية شبيهة لدى كل مريض ، وإلى اعتبار الإستبصار شيئاً شافياً ، وهذا شيء بدأنا نتخلص منه الآن » . ولكن حتى لو افترض المرء أن الأعصبة أو حتى الأذهنة تنتج عن ما يفترض أنه سببها من وجهة نظر الإفتراضات السيكودينامية ، فان العلاج بالمعنى سيظل معروفاً من حيث هو علاج لاسببى noncausal [٤٤] . وطالما يوجد لدى المريض فراغ وجودى فان الأعراض سوف تتدفق إليه لتملأه . وكما يعتقد كرامبو [٤٥] فان هذا هو السبب فى أن « الإلتقاء » فى العلاج بالمعنى يستمر إلى ما هو أبعد مما تتوقف عنده معظم العلاجات ، خاصة المناهج تحليلية الوجهة : فالعلاج بالمعنى يؤمن بأنه ما لم يتم التوصل إلى أهداف محددة والإلتزام تجاهها ، فان العلاج يصبح بلا طائل ، كما أن الأسباب المرضية سوف تبقى كما هى ، وسوف تعاود الأعراض الظهور بعد فترة .

---

(43) Arthur Burton, "Beyond Transference," Psychotherapy : Theory, Research and Practice 1 : 49, 1964 .

* الفتيش fetish : شيء يعتقد أن له قدرة سحرية على حماية الشخص أو مساعدته أو تحقيق الإشباع له . (هامش ترجمة) .

(44) Edith Weisskopf - Joelson, "Some Comments on a Viennese School of Psychiatry," Journal of Abnormal and Social Psychology 51 : 701, 1955; Logotherapy and Existential Analysis", Acta Psychotherapeutica 17 : 554, 1963 .

(45) J.C. Crumbaugh, "The Application of Logotherapy," Journal of Existentialism 5 : 403, 1965 .

Twitter: @abdullah_1395

ويرى بعض المؤلفين [٤٦] أن العلاج بالمعنى ـ كأحد مدارس الطب النفسى الوجودى ـ كان المدرسة الوحيدة التى طورت فنيات علاجية . بل واكثر من ذلك ، فقد قيل أن العلاج بالمعنى يضيف بعداً جديداً للعلاج النفسى : حيث يضيف إليه بعد الظاهرة الإنسانية المميزة . وفى الحقيقة ، إن ظاهرتين إنسانيتين على وجه الخصوص ـ هما القدرة على التسامى على الذات والقدرة على الإنفصال عن الذات ـ يتم تنشيطهما وتوظيفهما جيداً باستخدام فنيتى العلاج بالمعنى : إيقاف الإمعان الفكرى ، والمقصد المتناقض ظاهرياً على الترتيب ويعزو البروفيسور پتريلوڤيتش ـ من قسم الطب النفسى بجامعة مينز فى ألمانيا الغربية ـ النتائج المذهلة التى تم الحصول عليها من فنيتى العلاج بالمعنى إلى حقيقة أن العلاج بالمعنى لا يظل حبيس بعد الأعصبة ، الذى هو بعد الديناميات أو عمليات التشريط . فعلى العكس من العلاج السلوكى ـ مثلاً ـ فان العلاج بالمعنى لا يقنع باعادة التشريط ، وانما يستشرق آفاق البعد الإنسانى للإنسان ويتقدم إلى المصادر الغنية التى توفرها إنسانية الإنسان المريض .

ولعل هذا هو ما كان يقصده پول أ. چونسون [٤٧] عندما قال : « ان العلاج بالمعنى ليس علاجاً منافساً للعلاجات الأخرى ، ولكنه يمكن أن يشكل تحدياً لها بما يضيفه من إضافات » .

---

(46) See among others , Joseph Lyons , "Existential Psychotherapy : Fact, Hope, Fiction," Journal of Abnormal and Social Psychology 62 : 242, 1961 .

(47) Paul E.Johnson, "The Challenge of Logotherapy," Journal of Religion and Health 7 : 122, 1968 .

Twitter: @abdullah_1395

الفصل الخامس

الخدمات الطبية

الخدمات الطبية هو ذلك المجال الذى يضطلع فيه العلاج بالمعنى بعلاج الحالات جسمية المنشأ . لا الأعصبة معنوية المنشأ أو نفسية المنشأ . ولعله من نافلة القول أن نذكر أن الحالات جسمية المنشأ يتم التعامل معها من قبل العلاج بالمعنى فقط طالما أنها لا يمكن تناولها بالعلاج بمعناه الدقيق ، أى طالما كانت الأسباب الجسمية للمشكلة غير قابلة للإزالة . فما يهم إذن هو الموقف الذى يتخذه المريض حيال محنته ، أى الإتجاه الذى يختاره نحو معاناته . بعبارة أخرى ، تحقيق المعنى الممكن للمعاناة . ومن نافلة القول أيضاً أن نذكر أنه يجب علينا أن نعطى الأولوية للعلاج السببى للمرض ، ولا نلجأ للخدمات الطبية إلا إذا ثبت أن العلاج السببى لا طائل من ورائه . عندئذ يكون علاج اتجاه المريض نحو مرضه هو الشىء الوحيد الممكن والضرورى .

ويرجع الفضل إلى چويس تراڤيلبى ـ من جامعة نيويورك ـ فى استكشاف مسئوليات وفرص ، لا الطبيب وحسب ، وانما أيضاً الممرضة ـ وذلك فيما يتعلق بهذا الموضوع . فقد نجحت فى كتاب ألفته ـ استندت فيه إلى مفاهيم وتصورات العلاج بالمعنى ـ فى أن تنظم منهجية مصممة لكى تساعد المرضى على الوصول إلى معنى [١] . وهى تقول أن « أعظم معتقداتها هو أن الكائنات الإنسانية يدفعها البحث عن المعنى فى كل خبرات الحياة ، ويمكن للمعنى أن يكون فى خبرة المرض والمعاناة والألم [٢] . ولكى نوضح الخطوط العريضة التى تتبعها البروفيسورة

(1) Joyce Travelbee, Interpersonal Aspects of Nursing, F.A.Davis Company, Philadelphia, 1966, P. 171 .

(٢) نفس المرجع السابق .

Twitter: @abdullah_1395

تراڤيلبى ، دعونى أقدم عبارة مقتبسة عن أحد المناهج التى سجلتها وهو بالتحديد « منهج القصة الرمزية » parable method [٣] .

« يبدو منهج القصة الرمزية مناسباً بشكل خاص لبعض المرضى . وباستخدام هذا المنهج فان الممرضة أثناء تعاملها مع المريض تربط قصة رمزية أو تروى قصة توضح نقطة أنه لا يوجد كائن إنسانى بمنأى عن المرض . وهناك قصة رمزية مفيدة بوجه خاص هى (قصة حبة الخردل) : ولدت جوتا فى الهند ، وتزوجت وذهبت لتعيش فى بيت أهل زوجها . ثم ولدت طفلاً ولكنه مات . فبدأت تعيش حالة من الأسى . وحملت ابنها من مكان لآخر تطلب له دواءاً . فهزأ الناس منها وضحكوا عليها . ورأف بها رجل ونصحها أن تطلب معونة أعظم الناس حكمة . فأخذت ابنها معها وسألت المعلم العظيم عن دواء لابنها ، فأخبرها الحكيم بأنها أحسنت صنعاً إذ جاءته تطلب الدواء . وقال لها أن تجوب المدينة ، وفى أى منزل تجده حيث لا يكون أحد قد عانى أو مات ، عليها أن تحضر ـ من هذا المنزل ـ حفنة من حبوب الخردل . فذهبت من بيت إلى بيت، ولم تنجح أبداً فى العثور على منزل لم يعانى فيه أحد . فأدركت أن ابنها لم يكن الطفل الوحيد الذى عانى ومات ، وأن المعاناة قانون سائد بين بنى البشر » .

وأحد الأمثلة على معنى المعاناة عرفته من خلال ممارساتى العلاجية الخاصة هو ذلك الممارس العام المسن الذى جاء يطلب استشارتى نظراً لاكتئابه بعد وفاة زوجته . وباستخدام صيغة الحوار السقراطى ، سألته ماذا كان ليحدث لو أنه هو الذى مات أولاً لا زوجته ، فأجاب : « كم كانت لتعانى » . فقلت : « ألا ترى

---

(٣) نفس المرجع السابق .

Twitter: @abdullah_1395

يا دكتور ، لقد وفر عليها ذلك كثيراً من المعاناة ، وأنت الذى حملت عنها هذه المعاناة ، والان عليك أن تدفع الثمن بأن تعيش وتحزن من أجلها [٤] . لقد أدى به حوارنا إلى اكتشاف معنى لمعاناته ، معنى التضحية من أجل زوجته .

وقد رويت هذه القصة أمام مجموعة فى أمريكا ، وعلق محلل نفسى أمريكى تعليقاً يوضح الإتجاه الإختزالى للمعنى والقيم وكان تعليقه هو : « أفهم وجهة نظرك يا دكتور فرانكل ، ومع ذلك ، فاذا بدأنا من حقيقة أنه من الواضح أن مريضك لم يكن يعانى بعمق من وفاة زوجته إلا لأنه كان يكرهها دائماً .. » وهنا قلت : « ويمكن أيضاً بعد أن يستلقى المريض على أريكة تحليلك النفسى ـ ولنقل ـ لمدة خمسمائة ساعة ، يمكن أن تنجح فى الوصول به إلى النقطه التى يعترف عندها ـ مثل الشيوعى خلف الستار الحديدى فى إطار ما يسمونه بالنقد الذاتى ـ : نعم يا دكتور ، أنت على صواب ، لقد كنت اكره زوجتى دائماً . ولكنك عندئذٍ أيضاً ستكون قد حرمت المريض من الكنز الوحيد فى حوزته ، وهو الوعى بالحب الفريد والحياة الزوجية التى أقامها هو وزوجته » .

لقد شرحت فى أحد كتبى [٥] إجراء العلاج بالمعنى صمم من أجل تدعيم اكتشاف المعنى والقيم . وهو تكنيك القاسم المشترك commondi-nominator كما أسميته . فوفقاً لماكس شيللر ، يعنى التقييم تفضيل قيمة أعلى على قيمة أدنى . وفى اعتقادى أنه من السهل مقارنة رتب القيم إذا استخرجنا قاسماً مشتركاً .

(4) Victor E. Frankl, Man's Search for Meaning : An Introduction to Logotherapy, Washington Square Press, New York, 1963, P. 179 .

(5) Victor E. Frankl, The Doctor and The Soul : From Psychotherapy to Logotherapy, second, expanded edition, Alfred A.Knopf, New York, 1965, PP. 277 ff .

Twitter: @abdullah_1395

إن زوالية الحياة تنتمى إلى ما أسميته بالثالوث المأساوى للوجود الإنسانى . لهذا فهى أيضاً مشكلة تزعج المريض بمرض لا شفاء منه ، ذلك الذى لا يواجه المعاناة فحسب وانما أيضاً الموت الوشيك . فى مثل هذه الحالات يكون السؤال هو كيف نوصل إلى المريض اقتناعنا بأنه لا شىء يضيع فى الماضى ، ولكن كل شىء يحفظ كما لو كان وديعة فى مخزن أمين . فالماضى هو اكثر أنواع الكينونة أمناً . فما مضى تم الإحتفاظ به واستنقاذه فى الماضى . ويتضمن جزء (الممارسة العلاجية الحديث) [٦] مقابلة مسجلة صوتياً كنت قد أجريتها مع مريضة فى الثمانين . وكانت تعانى من سرطان لم يكن ممكناً علاجه بنجاح . وبسبب هذه الحقيقة التى كانت تعلمها ، اصيبت بالإكتئاب . وقد عرضت هذه الحالة على الطلبة الذين حضروا محاضرتى الكلينيكية عن العلاج بالمعنى .

وقد كان دورى ارتجالياً صرفاً فى حوارنا الذى دار كالتالى :

فرانكل : فيم تفكرين عندما تسترجعين صور حياتك ؟ هل كانت الحياة تستحق أن تعاش ؟

المريضة : حسناً يا دكتور ، يجب أن أقول أن حياتى كانت جيدة ، لقد كانت الحياة طيبة بالفعل . ويجب أن أشكر الله على ما حملته لى . لقد ذهبت إلى مسارح ، وحضرت حفلات موسيقية .. إلى آخره. اتعلم يا دكتور ، لقد ذهبت هناك مع الأسرة التى خدمت فى منزلها لفترة طويلة كخادمة ، فى براج أولاً وبعد ذلك فى ڤيينا . ومن أجل هذه المنح الإلهية فى كل هذه الخبرات ، أنا

(6) Victor E. Frankl, "Fragments from the Logotherapeutic Treatment of Four Cases," in Modern Psychotherapeutic Practice : Innovations in Technique, edited by Arther Burton, Science and Behavior Books, Palo Alto, California, 1965 .

Twitter: @abdullah_1395

ممتنة لله .

(وبالرغم من ذلك ، شعرت أنها كانت تشعر بالشك فى المعنى النهائى لحياتها ككل ، وأردت أن أحولها تجاه شكوكها . ولكن كان علىّ أولاً أن استثير هذه الشكوك ، ثم أصارعها بعد ذلك ـ أصارعها كما صارع يعقوب الملاك حتى باركه : هكذا أردت أن أتصارع مع اليأس الوجودى اللاشعورى المكبوت لدى مريضتى من أجل أن تستطيع هى أيضاً فى النهاية أن « تبارك » حياتها ، وأن تقول « نعم » لحياتها برغم كل شىء . وهكذا فان مهمتى كانت مكونة من إيقاظ تساؤلها عن معنى حياتها على مستوى الشعور بدلاً من كبت شكوكها) .

ف : انك تتحدثين عن بعض الخبرات الرائعة ، ولكن كل هذا سوف ينتهى الآن ، أليس كذلك ؟

م : (بتفكير) نعم ، كل شىء ينتهى .

ف : حسناً ، هل تعتقدين الآن أن كل هذه الأشياء الرائعة فى حياتك سوف يطويها العدم ؟

م : (ما زالت تفكر اكثر) كل هذه الأشياء الرائعة .

ف : ولكن اخبرينى ، هل تعتقدين أن أى أحد يمكنه أن يمحو السعادة التى شعرت بها ؟ هل يستطيع أى أحد أن يطمسها ؟

م : لا يا دكتور ، لا يستطيع أحد أن يطمسها .

ف : أو هل يستطيع أحد أن يطمس الخير الذى لقيته فى الحياة ؟

Twitter: @abdullah_1395

م : (أصبحت اكثر انفعالاً بالحديث) لا يستطيع أحد أن يطمسه .

ف : وما حققته وانجزته ـــ

م : لا يستطيع أحد أن يطمسه .

ف : أو ما عانيته بشجاعة وإخلاص ، هل يستطيع أى أحد أن يزيله من العالم ـ يزيله من الماضى حيث احتفظتِ به ؟

م : (الآن بدأت تبكى) لا يستطيع أحد أن يزيله ! (توقفت) هذا صحيح ، لقد عانيت الكثير ، ولكنى أيضاً حاولت أن اكون شجاعة وثابتة فى تحمل ما يجب أن أتحمله . أتعلم يا دكتور ، أنا أعتبر معاناتى عقوبة . أنا أؤمن بالله .

(العلاج بالمعنى هو فى ذاته مدخل دنيوى (غير دينى) للمشكلات الكلينيكية . ومع ذلك ، عندما يقف المريض على أرضية ثابتة من الإعتقاد الدينى، فلا يمكن الإعتراض على الإستفادة من الآثار العلاجية لمعتقداته الدينية، وبذلك يمكن الكشف عن مصادره الروحية . ومن أجل هذه الغاية ، يمكن للمعالج بالمعنى أن يحاول أن يضع نفسه محل المريض . وهذا بالضبط ما فعلته الآن) .

ف : ولكن ألا يمكن أن تكون المعاناة أحياناً نوعاً من التحدى ؟ ألا يمكن ادراكها على أن الله أراد أن يرى كيف تتحملها انستاسيا كوتك ؟ وقد يقول : « نعم لقد فعلت ذلك بشجاعة كبيرة » . والآن أخبرينى ، هل يستطيع أى أحد أن يزيل مثل هذا الإنجاز من العالم يا سيدة كوتك ؟

Twitter: @abdullah_1395

م : بالطبع لا يستطيع أحد أن يفعل ذلك .

ف : فهذا يبقى ، أليس كذلك ؟

م : انه يبقى .

ف : بالمناسبة ، لم يكن لديك أبناء ، أليس كذلك ؟

م : لم أرزق بأطفال .

ف : حسناً ، هل تعتقدين أن الحياة تكون ذات معنى فقط عندما يكون للمرء أطفال ؟

م : إذا كانوا أطفالاً طيبين ، لم لا تكون هذه نعمة ؟

ف : هذا صحيح ، ولكن يجب ألا تنسى ـ مثلاً ـ أن أعظم الفلاسفة فى كل العصور ايمانويل كانط، لم يكن له أطفال . ولكن هل يجروء أى أحد على أن يشك فى أن حياته كانت ذات معنى على نحو يفوق العادة ؟ فإذا كان الأطفال هم كل معنى الحياة لكانت الحياة بلا معنى لأن انتاج شىء بلا معنى فى ذاته سوف يكون بالتأكيد اكثر الأشياء افتقاراً للمعنى . فما يهم فى الحياة هو انجاز شىء . وهذا بالتحديد هو ما فعلته أنت . لقد استفدت من معاناتك أفضل استفادة . لقد أصبحت مثلاً لمرضانا بسبب الطريقة التى تتحملين بها معاناتك . اهنئك على هذا الإنجاز ، وأيضاً اهنىء المرضى الآخرين الذين اتيحت لهم الفرصة ليشهدوا مثل هذا النموذج (مخاطباً نفسى الآن أمام طلبتى) إنسان متفرد ! Ecce Homo (واندفع الحضور الآن فى تصفيق تلقائى) هذا التصفيق من أجلك يا سيدة كوتك (انها تبكى الآن) . هذا من أجل حياتك

Twitter: @abdullah_1395

التى كانت انجازاً عظيماً . لك أن تفخرى بها يا سيدة كوتك . وكم هم قليلون من يمكنهم أن يفخروا بحياتهم .. يمكن القول ، أن حياتك كالنصب التذكارى . لا يمكن لأحد أن يزيله من العالم .

م : (مستعيدة سيطرتها على نفسها) إن ما قلته يا بروفيسور فرانكل هو بمثابة عزاء لى . انه يريحنى . لم تتح لى أبداً الفرصة لسماع شىء مثل هذا (ثم انسحبت ببطء وهدوء من قاعة المحاضرات) .

من الواضح أنها شعرت بالطمأنينة . وبعد اسبوع توفيت ـ كما يقول چوب Job ـ « بعد تمام العمر » in a full age . وعلى أى حال، فأثناء آخر أسبوع لها فى الحياة لم تعد مكتئبة ، ولكن على العكس ، مليئة بالإيمان والفخر . قبل هذا ، كانت قد اعترفت للدكتورة چيردا بيكر التى كانت تشرف عليها فى العنبر بأنها شعرت بعذاب الإحتضار ، وعلى وجه الخصوص اجتاحها القلق بأنها كانت بلا نفع . ومع ذلك ، فقد جعلتها مقابلتنا تدرك أن حياتها ذات معنى وأن معاناتهالم تكن سدى . وقد كانت آخر كلماتها قبل وفاتها مباشرة : « ان حياتى كنصب تذكارى ، هكذا قال البروفيسور فرانكل ، لكل الحضور ، لكل الطلبة فى قاعة المحاضرات . ان حياتى لم تكن بلا طائل .. » .

هكذا يقول تقرير الدكتورة بيكر . ويحق لنا افتراض ـ مثل چوب أيضاً ـ ان السيدة كوتك « وصلت إلى نهايتها كما تتفجر حبة القمح فى تفتحها فى موسم ايناعها » .

لقد قلت اننى فى هذه الحالة كشفت عن المصادر الروحية فى مريضتى . بعبارة أخرى ، لقد تركت البعد النفسى لكى أدخل إلى البعد المعنوى ، أى البعد

Twitter: @abdullah_1395

الذى يهتم فيه الإنسان بالمعنى النهائى (المطلق) ويبحث عنه . وقد كانت هذه الطريقة الوحيدة الملائمة لتناول الحالة . وإنى لأتساءل عن النتيجة التى كانت ستحدث لو اننا استدعينا معالجاً سلوكياً لكى يحل عمليات إعادة تشريط محل عمليات التشريط .. وأتساءل عن النتيجة التى كنا سنحصل عليها إذا اقتصر محلل نفسى صرف على تفسير الحالة فى ضوء الديناميات المتضمنة . ان هذا كان ليعد بمثابة روغان من الموضوع الفعلى ، وتدعيم لهروبية المريضة .

وفى الحقيقة ، ان التحليل التدريبى بمعناه التقليدى لا يزود المحلل بما يحتاجه لمساعدة مرضى مثل السيدة كوتك . وتقول البروفيسورة تراڤيلبى « هؤلاء الذى يجب أن يكونوا قادرين على مساعدة الفرد المريض ، إما أنهم لا يستطيعون أو لا يعرفون كيف يفعلون ذلك . وماذا يمكن أن يكون اكثر تحطيماً لمعنويات الفرد المريض من أن يعتقد أن مرضه ومعاناته بلا معنى ؟ وليست المأساة فى أن العاملين فى مجال الصحة ليسوا بالدرجة الكافية من الحكمة لكى يقدموا المساعدة . وانما المأساة هى أن مثل هذه النوعية من المشكلات ليست حتى معروفة لدى هؤلاء المرضى الذين من مسئولياتهم أن يساعدوا ويريحوا المرضى »(٧) .

وقد أعربت مريضة أخرى لى أجريت معها مقابلة فى إحدى محاضراتى ، أعربت عن اهتمامها بزوالية الحياة . وقالت « عاجلاً أو آجلاً سوف ينتهى كل شىء ، ولن يبقى أى شىء » . وحاولت أن أجعلها تدرك أن زوالية الحياة لا تنقص من كونها ذات معنى ، ولكنى لم أنجح فحاولت تجربة الحوار السقراطى .

---

(7) Joyce Travelbee, Interpersonsl Aspecs of Nursing , F. A. Davis Company, Philadelphia, 1966, P. 170 .

Twitter: @abdullah_1395

سألتها : « هل سبق لك مقابلة رجل يشعر المرء بالإحترام تجاه مآثره ومنجزاته ؟ » فأجابت : « بالطبع ، ان طبيب العائلة كان شخصاً فريداً ، كم كان يعتنى بمرضاه ، كم كان يعيش من أجلهم » ، فسألتها : « هل مات ؟ » قالت : « نعم ، ولكن حياته كانت ذات معنى بشكل تام » قلت « أليس كذلك ؟ » فقالت « إذا كانت حياة أى أحد ذات معنى فان حياته كانت كذلك » فسألتها : « ولكن ألم ينتهى هذا المعنى فى اللحظة التى انتهت فيها حياته ؟ » فأجابت « على الإطلاق ، لا شيء يمكن أن يغير من حقيقة أن حياته كانت ذات معنى » . ولكنى استمررت فى تحديها « وماذا لو أن ولا مريض تذكر بماذا يدين لطبيب عائلتك بسبب نكران الجميل ؟ » فغمغمت قائلة « سوف تبقى » ، فقلت « أو بسبب قصور فى التذكر ؟ » قالت « سوف تبقى » ، قلت « وبسبب حقيقة أنه فى يوم ما سوف يموت آخر مرضاه » فقالت « سوف تبقى » .

على أنه يجب ألا نخلط بين ذلك الجانب من العلاج بالمعنى الذى اسميه بالخدمات الطبية وبين الرعاية الدينية . وسوف نعرض للفرق الأساسى بينهما فى الفصل التالى . وإلى ذلك الحين دعونا نسأل أنفسنا ما إن كانت الخدمات الطبية طبية بالفعل أم لا . هل تنتمى بالفعل إلى مسئوليات مهنة الطب فى مداواة المريض ؟ لقد تبرع الامبراطور جوزيف الثانى ببناء مستشفى فى ڤيينا ـ وهى حتى اليوم مقر لمعظم العيادات الجامعية ـ من أجل « العناية بالمرضى ومواساتهم » .

وأنا أعتقد أن كلمات : « الإرتياح لكم ، الإرتياح لكم ، يا شعبى » (أشعيا ٤٠ : ١) ما تزال صادقة كما كانت وقت كتابتها ، وقد خوطب بها الأطباء بين « شعبه » [٨] . وهذه هى الطريقة التى يجب أن يفهم بها كل

(٨) « ياشعبى » هنا صيغة نداء وليست فى محل مفعول به ، أما « شعبه » فليست مفعولاً به وانما « فاعل » للمواساة (المؤلف) .

Twitter: @abdullah_1395

طبيب جيد مسئولياته دائماً . وعلى مستوى اللاشعور ، فحتى المحلل النفسى يقدم المواساة . ولننظر إلى تلك الحالات التى أشار إليها آرثر بيرتون [٩] حيث كان الخوف من الموت يحلل دائماً ـ أو يتم إختزاله ـ فى صورة مجرد مخاوف خصاء.

ويمكننا فى النهاية أن نعزو هذا إلى تشخيص خاطىء أغفل الإكتئاب معنوى المنشأ معتبراً إياه اكتئاباً نفسى المنشأ . وبنفس الطريقة الخاطئة من المألوف تشخيص اكتئاب جسمى المنشأ بدلاً من اكتئاب نفسى المنشأ . وفى مثل هذه الحالات ، لا تقدم المواساة للمريض فيتعاظم لديه الشعور بالذنب واتهام الذات لأنه يشعر أنه مسئول عن حالة البؤس التى يجد نفسه فيها . بعبارة أخرى ، يضاف اكتئاب نفسى المنشأ إلى العصاب جسمى المنشأ .

وعلى العكس من ذلك ، يمكن تحقيق قدر كبير من الإرتياح بإطلاع المريض على النشأة ذات الأصل الجسمى لحالة البؤس لديه . وقد صاغ شولته بيانات حالة وثيقة الصلة بهذا الموضوع فى مقال ضمن انتاجه العلمى المنشورحديثاً ـ وشولته هو رئيس قسم الطب النفسى بجامعة توبنجن .

وتساعد فنية إيقاف الإمعان الفكرى المريض على التوقف عن مصارعة العصاب أو الذهان ، وتجنبه تعزيز العصاب أو الذهان ، كما تجنبه أى معاناة إضافية . ويمكن توضيح كيفية حدوث هذا من خلال المقتطفات التالية المقتبسة

---

(9) Arthur Burton, "Death as a countertransference," Psychoanalysis and the Psychoanalytic Review 49 : 3, 1962 - 1963 .

Twitter: @abdullah_1395

عن مقابلة مسجلة صوتياً مع فتاة فصامية فى التاسعة عشرة [١٠] كانت طالبة فى أكاديمية الفنون . وقد أدخلت إلى القسم الخاص بى فى المستشفى البوليكلينيكى لأنها أظهرت اعراضاً حادة للفصام الأولى incipient ، كالهلاوس السمعية . كما أنها أظهرت اعراض التموج corrugator ، تلك التى وصفتها عام ١٩٣٥ [١١] . وهى حالة تتميز بارتعاشات بالألياف فى العضلات المتموجة ، وهى سمة نموذجية فى حالات الفصام الوشيك .

فى البداية كانت المريضة تشكو من اللامبالاة ثم بدأت تشكو من « كونها مشوشة » وطلبت منى المساعدة . وهكذا بدأت استخدم ايقاف الإمعان الفكرى معها :

فرانكل : انك فى أزمة ، ولهذا لا يجب أن تشغلى نفسك بأى تشخيص معين ، دعينى فقط أقول أنها أزمة . أنا أعلم أن الأفكار والمشاعر الغريبة تضايقك، ولكننا حاولنا تهدئة هذا البحر المائج بالإضطراب الإنفعالى . وبواسطة الآثار المهدئة للعلاج الحديث بالعقاقير حاولنا مساعدتك على الإستعادة التدريجية لاتزانك الإنفعالى . وأنت الآن فى مرحلة تنتظرك فيها مهمة إعادة بناء حياتك ولكن المرء لا يستطيع إعادة بناء حياته ما لم يكن هناك هدف للحياة ، أو ما لم يكن هناك تحدٍ يواجهه .

المريضة : أنا أفهم ما تعنيه يا دكتور ، ولكن ما يستغرق اهتمامى هو السؤال :

---

(10) Victor E. Frankl, "Fragments from the Logotherapeutic Treatment of Four Cases," in Modern Psychotherapeutic Practice : Innovations in Technique, edited by Arthur Burton, Science and Behavior Books, Palo Alto, California, 1965, PP. 368 ff .

(11) Victor E. Frankl, "Ein haufiges Phanomen bei Schizophrenic", Zeitschrift fur die gesamte Neurologie und Psychiatrie 152 : 161, 1935 .

Twitter: @abdullah_1395

مالذى يحدث بداخلى ؟

ف : لا تبالغى بالإنشغال بذاتك ، ولا تنهمكى فى محاولة معرفة مصدر مشكلتك . دعى هذا لنا نحن الأطباء . نحن سوف ننتشلك . حسناً ، ألا يوجد هناك أمل يداعبك ـ وليكن مثلاً انتاج فنى ؟ ألا توجد هناك أشياء عديدة تختمر فى داخلك ، أعمال فنية لم تتم ، لوحات لم ترسم تنتظر أن تبدعيها ، لوحات تنتظر أن تقدميها ؟ فكرى فى هذه الأشياء .

م : ولكن هذا الإضطراب الشديد داخلى .

ف : لا تمعنى النظر إلى اضطرابك الداخلى ، ولكن حولى نظرتك إلى ما ينتظرك . فليس المهم هو ما يكمن فى الأعماق ، ولكن المهم هو ما ينتظرك فى المستقبل ، ما ينتظر أن يتحقق من خلالك . أنا أعلم أن هناك أزمة عصيبة تضايقك ، ولكن دعينا نسكب الزيت على المياة المضطربة . هذه هى مهمتنا نحن الأطباء . اتركى المشكلة للطبيب النفسى . وعلى أى حال ، لا تجعلى من نفسك هدفاً لمشاهدتك ، لا تسألى عما يحدث فى داخلك ، ولكن بدلاً من ذلك إسألى عما ينتظر لكى يتحقق من خلالك . ولذلك دعينا لا نناقش ماذا علينا أن نتعامل معه فى حالتك: فسواء كان عصاب قلق أو عصاب قهرى ، أو أى شىء كان ـ دعينا نفكر فى حقيقة إنك « آنا » التى ينتظرها شىء ما فى المستقبل . لا تفكرى فى نفسك ، ولكن هبى نفسك لذلك العمل الذى لم يولد بعد ، والذى عليك أن تخرجيه إلى النور . فعندما تخلقيه فقط سوف تعرفين ماذا تكونين . فسوف تتحدد هوية « آنا » كفنانة أخرجت هذا العمل . وهى هوية لا تنتج عن التركيز على الذات ، انما بالأحرى عن الإيمان بقضية ، وعن العثور على الذات من خلال انجاز العمل الخاص بالذات . وإن لم أكن

Twitter: @abdullah_1395

مخطئاً فقد كان هولدر لين هو من كتب : « ماذا نكون نحن هو لا شيء ، فالمهم هو إلى أين نذهب » . ويمكننا أن نقول أيضاً : ان المعنى اكثر من مجرد الكينونة .

م : ولكن ما هو مصدر مشكلتى .

ف : لا تركزى على مثل هذه الأسئلة . فمهما كانت العمليات الپاثولوچية المسببة لآلام المرض لديك ، فإننا سوف نشفيها . لهذا لا تشغلى بالك بالمشاعر الغريبة التى تجتاحك . تجاهليها حتى تجعلك تتخلصين منها . لا تمعنى النظر إليها ، ولا تتصارعى معها .

(فبدلاً من أن أعزز الميول الفصامية لدى المريضة فى اتجاه الذاتوية autism ، وذلك من خلال الإنخراط فى التأويلات السيكوديناميه ، حاولت أن استثير لدى المريضة إرادة المعنى) .

ف : تخيلى أن هناك عدة أشياء عظيمة ، أعمال تنتظر أن تبدعها « آنا » ، وأنه لا يوجد أحد آخر بإمكانه اتمام هذه الأعمال سوى « آنا » . لا يستطيع أحد أن يحل محلها فى هذا الجهد . انها ستكون إبداعاتك ، فإذا لم تقومى بابداعها فانها ستظل فى الظلام إلى الأبد . أما إذا أبدعتها ، فحتى الشيطان لن تكون لديه القوة لمحوها . بهذا تكونى قد انقذتها بأن أتيتى بها إلى الواقع . وحتى لو تفتت أعمالك إلى قطع فى متحف الماضى ـ كما أحب أن أسميه ـ فانها ستبقى إلى الأبد . فلا شيء يمكن سرقته من هذا المتحف، لأن لا شيء فعلناه فى الماضى يمكن محوه .

م : يا دكتور ، أنا أؤمن بما تقوله . وما تحمله كلماتك يسعدنى (وبتعبير

Twitter: @abdullah_1395

مشرق كسا وجهها ، نهضت من على الأريكة وغادرت حجرة مكتبى) .

فى خلال أسابيع قليلة ، ومع استمرار العلاج النفسى وعلاج العقاقير ، تحررت المريضة من أعراض الفصام إلى الدرجة التى استطاعت معها أن تعود إلى عملها ودراستها .

ومريض فصامى آخر كان شاباً يهودياً فى السابعة عشرة [١٢] . وقد طلب أبوه البديل استشارة علاجية فردية للشاب . وكان الأب قد أنقذ الشاب أثناء الحرب العالمية الثانية عندما أعدمت مجموعة من اليهود على أيدى النازى . ومع ذلك فد أودع المريض أحد المعاهد فى اسرائيل لمدة عامين ونصف بسبب أعراض فصامية حادة . وهو الآن يناقشنى فى مشكلاته ، واحدى مشكلاته هى انفصاله عن خلفيته الدينية اليهودية ، وهى العالم الذى نشأ فيه .

فرانكل : متى بدأت شكوكك تنمو ؟

المريض : بدأت الشكوك عندما كنت معزولاً ، أثناء إقامتى فى مستشفى فى اسرائيل . أتعلم يا دكتور ، لقد قبض البوليس علىّ وأودعنى أحد المعاهد . وقد لمت الله على أن جعلنى مختلفاً عن الناس العاديين .

ف : ولكن ، ألا يبدو حتى لذلك هدف على نحو أو آخر ؟ فماذا عن يونس ، ذلك النبى الذى ابتلعه الحوت ، ألم يكن هذا عزلاً أيضاً ؟ ولماذا كان هذا العزل ؟

---

(12) Victor E. Frankl, "Fragments from the Logotherapeutic Treatment of Four Cases, in Modern Psychotherapeutic Practice : Innovations in Technique, edited by Arthur Burton, Science and Behavior Books, Palo Alto, California, 1965, PP. 370 ff .

Twitter: @abdullah_1395

م : لأن الله قد رتب ذلك بالطبع .

ف : حسناً ، ولم يكن شيئاً سارًا بالتأكيد ليونس أن يجد نفسه حبيساً فى أحشاء الحوت ، ولكن حينئذ فقط أمكنه أن يدرك رسالة حياته ، تلك المهمة التى سبق أن نبذها . وأعتقد أنه من الصعب الآن أن نعزل الناس فى أحشاء الحيتان ، أليس كذلك ؟ ولم يكن عليك أن تبقى فى بطن حوت على أى حال ، ولكن فى معهد . أليس من المعقول أنه أثناء السنتين والنصف من العزل أن الله قد أراد أن يواجهك أنت أيضاً بمهمتك ؟ ولعل عزلك كان تكليفاً لفترة خاصة من حياتك . وفى النهاية ، ألم تواجهها بالطريقة الملائمة ؟

م : (وقد أصبح الآن أكثر انفعالاً بالحديث لأول مرة) هل تعلم يا دكتور، إن هذا هو السبب فى اننى لا أزال أؤمن بالله .

ف : استرسل فى حديثك .

م : ربما أراد الله كل ذلك ، ربما أراد لى الشفاء .

ف : يمكننى القول بأنه لم يرد لك الشفاء وحسب ، فالشفاء ليس فيه انجاز. المطلوب منك اكثر من مجرد الشفاء . يجب أن يرتفع مستواك الروحى عما كان قبل مرضك . ألم تكن فى بطن الحوت لعامين ونصف كيونس صغير؟ والآن تحررت مما كان عليك أن تكابده هناك . لقد رفض يونس قبل عزله أن يذهب إلى نينوى Nineveh ليدعو إلى الله ، ولكنه فعل ذلك فيما بعد. أما عنك ، فقد يكون فى إمكانك من الآن فصاعداً أن تغوص فى أعماق حكمة التلمود . لا أود أن أقول أنه يجب عليك أن تدرس اكثر مما درست حتى الآن ، ولكن دراستك سوف تكون اكثر إثماراً وأبعد معنى . لأنك الآن قد

Twitter: @abdullah_1395

أصبحت نقياً، مثل الذهب والفضة ، وكما يقولون فى إحدى الترنيمات (أو فى مكان آخر) لقد عملت النار على تنقيتك .

م : أوه يا دكتور ، أنا أفهم ما تعنى .

ف : ألم تبكِ أحياناً خلال إقامتك بالمستشفى .

م : أوه ، كم فعلت !

ف : حسناً ، بواسطة هذه الدموع التى بكيتها من أعماقك قد تكون الأغلال أزيلت من نفسك .

.. لقد كان تأثير هذه المقابلة الوحيدة ملحوظاً فى تقليل عدوانية المريض تجاه أبيه البديل ، وفى زيادة اهتمامه بدراسة التلمود . ولفترة من الوقت عولج المريض بعقار الفينوثيازين ، وبعد ذلك لم يعد فى حاجة إلى المزيد من هذا العلاج سوى جرعات ضئيلة . وقد أصبح اجتماعياً تماماً واستطاع العودة إلى ممارسة عمله اليدوى . وباستثناء ضآلة روح المبادرة لديه ، فقد كان سلوكه وأداءه طبيعيين . وخلال هذه المقابلة الوحيدة التى عرضتها نجحت فى أن أجعل المريض يعيد تقييم أزمته فى ضوء المعنى والغرض اللذين فى متناوله ، ليس فقط بالرغم من ذهانه وانما بسبب ذهانه أيضاً . ومن يشكك فى شرعية الإستفادة من المصادر الدينية الواضحة المتوافرة فى هذه الحالة ؟ على أى حال ، لقد تعمدت الإحجام عن تحليل الجدران ـ إن صح التعبير ـ التى تفصل المريض عن العالم . ففى هذا الشأن ، لم أهتم بأصولها جسمية كانت أو نفسية . ولكننى حاولت استثارة روح التحدى لدى المريض لكى يتخطى هذه الجدران . بعبارة أخرى ، حاولت أن أمده بأرض صلبة يقف عليها .

Twitter: @abdullah_1395

أحياناً لا يتجنب المريض مزيداً من المعاناة وحسب ، وانما أيضاً يعثر على مزيد من المعنى فى المعاناة . حتى أنه ربما ينجح فى تحويل المعاناة إلى انتصار . ومع ذلك ، فان المعنى ـ مرة أخرى ـ يستند إلى الإتجاه الذى يختاره المريض من معاناته . والحالة التالية قد توضح هذه النقطة :

راهبة كرملية كانت تعانى من اكتئاب جسمى المنشأ . وقد أدخلت إلى قسم الأعصاب فى المستشفى البوليكلينيكى . وقبل أن يقلل علاج العقاقير من اكتئابها ، كانت صدمة نفسية قد زادت منه . وقال لها قس كاثوليكى أنها لو كانت راهبة كرملية حقيقية لكانت تغلبت على اكتئابها من فترة طويلة . وهذا هراء بالطبع ، إلا أنه أضاف اكتئاباً نفسى المنشأ (أو ـ بالدقة ـ « عصاباً كنسياً » كما يسميه شيتزنج) إلى الإكتئاب جسمى المنشأ . ولكننى تمكنت من تحرير المريضة من آثار الخبرة الصدمية وبالتالى التخفيف من اكتئابها لكونها مكتئبة . لقد قال لها القس أن الراهبة الكرملية لا يمكن أن تصاب بالإكتئاب . وأنا قلت أنه ربما أن الراهبة الكرملية فقط هى التى يمكنها أن تسيطر على الإكتئاب بهذه الطريقة الجديرة بالإعجاب كما فعلت هى . وفى الحقيقة ، لن أنسى أبداً تلك السطور التى وصفت بها فى مذكراتها الموقف الذى اتخذته تجاه الإكتئاب :

« الإكتئاب هو رفيقى الدائم . إنه يثقل روحى . أين مثالياتى ؟ اين العظمة والجمال والخير الذين وهبت لهم نفسى ذات يوم ؟ ليس هناك سوى الملل ، وأنا حبيسة أسواره . أنا أعيش كما لو كنت قد ألقى بى إلى الفراغ . لدرجة أنه أحياناً ما تكون حتى خبرة الألم بالنسبة لى بعيدة المنال . وحتى الرب يكون صامتاً. عندئذٍ أتمنى الموت بأسرع ما يمكن . ولو لم أكن أؤمن بأننى لست صاحبة السيادة على حياتى ، لأنهيتها . ومع ذلك ، فبايمانى تحولت المعاناة إلى

Twitter: @abdullah_1395

نعمة . إن الناس الذين يعتقدون أن الحياة يجب أن تكون ناجحة يشبهون رجلاً أمام موقع بناء لا يستطيع أن يفهم أن العمال يحفرون الأرض إذا أرادوا بناء كاتدرائية . والرب يبنى كاتدرائية فى كل روح . وفى روحى أنا يوشك أن يحفر للأساس . وما على أن أفعله هو فقط أن أظل ساكنة كلما أصابتنى مجرفته » .

أعتقد أن هذا اكثر من مجرد تقرير عن حالة ، بل أنه وثيقة إنسانية document humain .

كما أنه لا يوجد ما يبرر فى كل حالة افتراض المرء أن العصاب أو الذهان لابد وأن يكون ضاراً بالحياة الدينية للمريض . فالمرض ليس إعاقة بالضرورة ، ولكنه قد يكون تحدياً أو مثيراً يستنهض الإستجابة الدينية . وحتى لو كان دافع الفرد للدين عصابًا ، فان التدين قد يصير أصيلاً على المدى البعيد ، ويساعد الفرد فى النهاية على التغلب على العصاب . ولهذا فلا مبرر لأن نستبعد مسبقاً الأفراد أصحاب السمات العصابية من المهن الدينية . ووعد التوراة بأن الحق سوف يجعلنا أحراراً لا يتضمن ما يعنى أن الشخص المتدين حقاً يكون فى وضع يسمح له بأن يحرر نفسه من العصاب . ولكن العكس ليس صحيحاً أيضاً. بمعنى أن التحرر من العصاب ليس بحال من الأحوال ضماناً تقدمه الحياة الدينية . وهذه الحرية ليست شرطاً ضرورياً ولا كافياً للدين .

ومؤخراً فقط سنحت لى الفرصة لكى أناقش هذا الموضوع مع رئيس دير « رهبان الإحسان » الذى صار شهيراً جداً لأنه يقبل أى شخص يريد الإلتحاق بالدير على شرطين : أولهما أنه سيبحث عن الله ، والثانى أنه يقبل الخضوع للتحليل النفسى . وأثناء محادثتنا أخبرنى أنه لم يقرأ سطراً واحداً من كتابات

Twitter: @abdullah_1395

فرويد أو آدلر أو يونج . لكنه فقط خضع للتحليل النفسى لمدة خمس سنوات . وأنا أشك أن هناك أى مبرر للإلحاح الشديد على تشريب أفكار اتجاه معين من الطب النفسى إذا كان هذا الإلحاح مبنى على خبرة شخصية لا ممارسة طبية . والأولى قد تكون مكملة للأخيرة ولكنها لا يمكن أن تكون بديلة لها . وما هو أهم من ذلك ، هو أن نقص التدريب الطبنفسى ، أى نقص الفرصة على المقارنة بين مدرسة وأخرى ، هو السبب وراء التشيع المتعصب بين فئات الطب النفسى .

وقد قال رئيس الدير فى مقابلة مع مجلة أمريكية : « فيما بين عامى ١٩٦٢ ـ بداية عهد التحليل النفسى ـ و ١٩٦٥ ، رشح خمسة وأربعون ، بقى منهم أحد عشراً ، أو اكثر قليلاً من عشرين بالمائة [١٣] وفى مواجهة هذا الرقم لا يسعنى إلا أن أتساءل كم يكونوا قليلين من يبقون أطباء نفسيين ـ إذا بقى منهم أحد ـ لو أنهم أيضاً خضعوا للغربلة والإختيار على أساس العيوب العصابية . أنا عن نفسى مقتنع بأنه مالم نلتق على الأقل بشىء من العصابية فى أنفسنا لما أصبحنا أطباء نفسيين لأنه لولا ذلك لما كان لنا اهتمام بعلوم الطب النفسى من الأصل . وما كنا لنظل أطباء نفسيين لأننا ما كنا لنشعر بالتفهم والتعاطف الذى نحتاجه كى نكون أطباء نفسيين على مستوى جيد .

لقد أظهرت دراسة حديثة أن « الأطباء اكثر عرضة للإنتحار من الرجال فى المهن الأخرى » ، وما هو أهم من ذلك أن « الأطباء النفسيين على ما يبدو

---

(13) Robert Serron, "Monks in Analysis , "This Week, July 3, 1966, PP. 4 - 14 .

Twitter: @abdullah_1395

فى مقدمة هؤلاء [١٤] . وتعليقاً على النسبة المرتفعة للإنتحاريين الأطباء جاءت مقالة فى الصفحة الأولى لجريدة بريطانية تقول [١٥] : « من بين جميع التخصصات ، يعكس الطب النفسى نسبة أعلى بشكل غير متكافىء فى حالات الإنتحار . وقد يكون التفسير فى اختيار التخصص لا فى مواجهة متطلباته . لأن بعض الذين يمارسون الطب النفسى قد يمارسونه لأسباب مرضية » . وقد يفترض البعض أن هذه النتيجة تأتى لصالح التحليل النفسى الشخصى من أجل منع مثل هؤلاء المتدربين من أن يصبحوا أطباءاً نفسيين ، أو على الأقل لمساعدتهم على التغلب على مشكلاتهم المرضية . ولكن مع الأسف ، فعلى العكس « قد يكون حادث الإنتحار المشئوم بين الأطباء النفسيين نتيجة للإعتقاد السائد بأن الخضوع للتحليل النفسى الشخصى هو مطلب أساسى [١٦] . وإذا عدنا للإقتباس عن والتر فريمان « فان التأكيد الحالى على التحليل النفسى الشخصى بوصفه ضرورة للتقدم المهنى للطبيب النفسى الشاب له أخطار لم يتم التعرف عليها بشكل مناسب . فقد يكون الإلحاح على الإستبصار الكامل للفرد بشخصيته غير محتمل لكل من يحاول ذلك » .

وليس لى اعتراض مسبق اعترض به على المداخل السيكومترية فى مجال الدين بصفة خاصة ، وبالنسبة للقبول فى الوظائف بصفة عامة . فعلى سبيل

---

(14) Walter Freeman, "Psychiatrists Who Kill Themselves : A Study in Suicide, " American Journal of Psychiatry 124 : 154, 1967 .
This is an abridged versioin of a paper read at the 123d annual meeting of the American Psychiatric Association, Detroit, Michigan, May 8 -12 , 1967 .
(15) "Suicide Among Doctors," British Mdical Journal 1 : 789, 1964 .
(16) Ruth Norden Lowe, "Sucide by Psychiatrists," American Journal of Psychotherapy 21 : 839, 1967 .

Twitter: @abdullah_1395

المثال ، مشروع بحث طرحه چيمس كرامبو ـ مدير بحوث خدمات علم النفس بمستشفى ڤيترناس ادمينستريشن فى جلفپورت ، المسيسيبى ، والأخت مارى رافاييل مديرة شئون الطلاب بكلية سانت مارى دومينيكان فى نيواورليانز ، لويزيانا ، ويستند البحث إلى الإفتراض الذى مؤداه أن إرادة المعنى من شأنها أن تكون أعلى بصورة واضحةبين العوامل التى تؤثر على أعضاء الرهبنة الدينية . ولهذا فان عينة من راهبات الدومينيكان اللائى تم اعتبارهن ـ بناءً على طبيعة مهنتهن ـ ضمن هؤلاء الذين يميلون إلى إظهار إرادة المعنى ، سوف يتم إجراء الدراسة عليهن باستخدام منهج المجموعات المتضادة . وسوف يتم استخدام كل من الدلالات السيكومترية للشخصية ، ونظام القيم ، والهدفية كما تقاس باختبار الهدف ـ فى ـ الحياة [١٧] للمقارنة بين مجموعة متفوقة فى مقابل مجموعة عكس ذلك من الراهبات المتدربات . وتفترض الدراسة أن المجموعة المتفوقة سوف تظهر دلائل سلوكية قوية يمكن بسهولة تفسيرها على أنها تعبير عن إرادة المعنى ، فى حين أن المجموعة الأقل تفوقاً سوف تظهر افتقاراً واضحاً لمثل هذه الدلائل السلوكية . والمتوقع أن مقاييس إرادة المعنى ومقاييس التدريب المهنى سوف تميز بين المجموعتين على نحو اكثر حدة من مقاييس الشخصية ، وأن المضامين الإحصائية لدى الراهبات المتدربات سوف تعكس ارتباطاً أعلى بين مقاييس إرادة المعنى ومقاييس التدريب المهنى اكثر من الإرتباط بين مقاييس الشخصية ومقاييس التدريب المهنى . والدكتور كرامبو والأخت مارى افاييل

(17) James C. Crumbaugh and Leonard T. Maholick, "An Experimental Study in Existentialism : The Psychometric Approach to Frankl's Concept of Noogenic Neurosis", Journal of Clinical Psychology 20 : 200, 1964 .

Twitter: @abdullah_1395

مقتنعان بأن ذلك الدافع إلى العثور على المعنى فى الحياة موجود وهو مستقل ـ على الأقل إلى حد ملائم ـ عن متغيرات الشخصية . وإذا تم مشروع بحثهما هذا ، فإنهما يعتقدان بأنه من الممكن عندئذ استخدام مقاييس ارادة المعنى فى إجراءات الإختيار المختلفة شأنها شأن الإختبارات التشخيصية النفسية .

والحقيقة أن هذا المدخل ذو التوجه المعتمد على العلاج بالمعنى هو أيضاً مدخل سيكومترى التوجه ، أى أنه مدخل كمى . بعبارة أخرى ، أنه يأخذ فى اعتباره محتمات مختلفة ، فهو يستند ـ بصورة ما ـ إلى تصور له طابع الحتمية للإنسان deterministic لكن هذا التصور للإنسان لا يعنى الحتمية الشاملة pan - deterministic .

أما فى سياق التصور الذى يعتمد على مفهوم الحتمية الشاملة للإنسان ، فيفترض أن الحياة الدينية للشخص محتومة بصورة الأب لديه . ومع ذلك ، لا يمكن ارجاع سبب عدم الإيمان دائماً إلى تشوه فى صورة الأب . وقد قمت بتحليل مادة إحصائية وثيقة الصلة بالموضوع جمعها فريق الأطباء الذى يعمل معى ، وقد عرضتها فى أحد كتبى [١٨] حيث تشير الدلالات التى توصلنا إليها إلى أن الدين ليس مسألة تعلم وحسب ، وانما أيضاً مسألة اتخاذ قرار .

والتكنيك الذى استخدمناه كان بسيطاً . فقد قمت أنا ومعاونىّ باستعراض المرضى الذين حضروا إلى عيادتى الخارجية فى يوم معين . فأظهر هذا الإستعراض أن ثلاثة وعشرين مريضاً كانت صورة الأب لديهم ايجابية ، وأن ثلاثة عشرة كانت صورة الأب لديهم سلبية . ولكن ستة عشر مريضاً فقط ممن

(18) Victor E. Frankl, Psychotherapy and Existentialism : Selected Papers on Logotherapy, Washington Square Press, New York,1967.

Twitter: @abdullah_1395

كانت صورة الأب لديهم ايجابية واثنان فقط ممن كانت صورة الأب لديهم سلبية سمحوا لأنفسهم بالخضوع التام للحتمية بهذه الصورة فى تطورهم الدينى . وقد طور نصف العدد الكلى من المرضى الذين تم استعراضهم تصوراتهم الدينية فى استقلال عن صورة الأب لديهم . ونحن نعرف أن ابن السكير لا يكون سكيراً بالضرورة . وعلى نفس النحو لا يمكن دائماً إرجاع سبب فقر الحياة الدينية إلى تأثير الصورة الأبوية السلبية . فحتى أسوأ الصور الأبوية لا تكون بالضرورة عائقاً أمام إنشاء علاقة سليمة بالله (لاحظ الأحد عشر مريضاً أصحاب صورة الأب السلبية) . وهكذا فان نصف أفراد العينة أظهروا ما صنع منهم التعلم ، وأظهر النصف الآخر ماذا صنعوا من أنفسهم عن طريق اتخاذ القرار (١٩) .

إن الحقائق ليست قدراً . فالمهم هو الموقف الذى نأخذه تجاهها . فليس بالضرورة أن يصبح البعض رهباناً سيئين أو راهبات سيئات بسبب العصاب ، ولكنهم قد يصبحون رهباناً جيدين وراهبات جيدات بالرغم من العصاب . وفى بعض الحالات ، فانهم قد يصبحون رهبانا جيدين وراهبات جيدات « بسبب » العصاب . وأنا أرى فى هذا انجازاً ، لأنهم بهذه الطريقة لم يتغلبوا على

---

(١٩) هنا أنا مستعد لمواجهة اعتراض من علماء الدين ، نظراً لأنه قد يقول أحدهم أن بناء المعتقد الدينى للفرد برغم الظروف التعليمية غير الصالحة لا يمكن تصوره بدون تدخل العناية الإلهية . فإذا كان للإنسان أن يؤمن بالله ، فلابد أن تساعده العناية الإلهية . ولكن يجب ألا ننسى أن دراستى تتحرك فى إطار مرجعى سيكولوجى ، أو بالأحرى انثروبولوجى : بمعنى ، أنها على المستوى الإنسانى . أما العناية الإلهية ، فانها تقع فى البعد فوق ـ الإنسانى . ولهذا فانها تظهر على المسطح الإنسانى فى صورة اسقاط فقط . بعبارة أخرى ، ما يكون على المسطح الطبيعى متبدياً فى مظهر القرار الذى يتخذه الإنسان ، يمكن تفسيره على المسطح فوق ـ الطبيعى بأنه المساعدة التدعيمية من الله .

(المؤلف)

Twitter: @abdullah_1395

أعصبتهم وحسب ، وانما أيضاً علموا الأطباء كيف يساعدوا مرضاهم كى يتغلبوا على أعصبتهم . فبؤس إنسان واحد يتحول إلى تضحية من أجل الجنس البشرى . ويكون السؤال الوحيد هو ا إن كان العصاب لدى كل طبيب نفسى معبراً عن الزمان الذى يعيش فيه . فإذا كان كذلك ، فان معاناته تكون نموذجاً لمعاناة الإنسانية . فلابد أن يمر الفرد بيأسه الوجودى الخاص إذا كان له أن يتعلم كيف يحصن مرضاه ضد اليأس الوجودى .

ولنرجع إلى إعتقادى بأن العصابى قد يكون دينياً أو لا دينى بصرف النظر عن كونه عصابياً . فالعصاب ليس بالضرورة من محتمات الدين . والعصابى قد يكون متديناً سواء بالرغم من العصاب أو بسبب العصاب . وهذه الحقيقة تعكس استقلالية وأصالة authenticity الدين . مهما كانت المظاهر فالدين غير قابل للإتلاف أو الإزالة . وحتى الذهان لا يستطيع أن يدمره .

لقد أحضروا لى رجلاً يقارب الستين لأنه كان يعانى من هلاوس سمعية استمرت معه عشرات السنين . وكنت عندئذٍ أواجه شخصية محطمة ، اعتبره كل أفراد بيئته أبلهاً . ومع ذلك فكم كان هذا الرجل يشع بهجة ! وكالطفل كان يريد أن يصبح قساً . ولكن كان عليه أن يقنع بالمتعة الوحيدة التى كانت فى متناوله ، وهى الغناء فى جوقة الكنيسة فى صباح كل أحد . وقد قالت أخته ـ التى كانت تصحبه ـ أنه برغم سهولة استثارته فقد كان دائماً قابلاً لاستعادة السيطرة على نفسه . وانصب اهتمامى فى ذلك الوقت على السيكوديناميات المتضمنة فى الحالة ، لأنى اعتقدت أن المريض كان مثبتاً بقوة على أخته ، ولهذا سألته عن الكيفية التى يستطيع بها استعادة سيطرته على نفسه : « من أجل من تفعل ذلك ؟ » عندئذ صمت المريض لبرهة ثم أجاب:

Twitter: @abdullah_1395

« من أجل الله » .

لقد قال « من أجل الله » ، أى من أجل أن يرضى الله . أحب هنا أن أقتبس عن كيركجارد قوله ذات مره : « حتى لو كسانى الجنون بثوب الأبله ، فاننى أستطيع أن أنقذ روحى كى أرضى الله » . بمعنى ، حتى لو قهرنى الذهان فاننى أستطيع أن أختار اتجاهى نحو محنتى ، وبذلك أجعل منها انجازاً .

وعلى سبيل التغيير ، دعونى أتحدث عن حالة ذهان هوسى ـ اكتئابى بدلاً من الفصام . فلن أنسى أبداً أجمل فتاة قابلتها . كانت يهودية ، ولكنها بقيت فى ڤيينا لبعض الوقت حتى تحت حكم هتلر لأن والدها كان يعمل موظفاً لدى الجمعية اليهودية . وأثناء إحدى نوبات الهوس التى كانت تعانى منها جاءنى والدها يستشيرنى فى حالة الخلط التى تنتابها . وأشرت إلى وجود خطرين هامين يرتبطان بنوبات الهوس ، وهما العدوى بأمراض تناسلية والحمل. وفى حالتها كان هناك خطراً ثالثاً : وهو الخطر على حياتها . فقد كانت ترتاد الملاهى الليلية بصحبة رجال الحرس الحديدى ، وكانت تراقصهم وتضاجعهم ، معرضة إياهم للخطر أيضاً كما كانت تعرض نفسها . وفى النهاية ، أرسلت إلى معسكر للإعتقال . وهناك رأيتها مرة أخرى . ولن أنسى قط هذا المشهد ، ولا يسعنى إلا مقارنته بالمشهد الأخير من الجزء الأول لفاوست التى كتبها جوته . فقد كان ـ مثل جريتشين ـ تجثو على القش فى قبو تحت الأض فى وسط جمع من الذهانيين المتمرغين فى القاذورات . كانت باسطة ذراعيها وناظرة إلى أعلى تغمغم بالصلاة . وعندما رأتنى تعلقت بى ورجتنى أن أغفر لها ، فحاولت أن أهدئها . وعندما تركتها عادت تغمغم بالصلاة بالعبرية . وباستثناء هذا الظرف فقد ماتت ـ مثل جريتشين ـ بعد

Twitter: @abdullah_1395

ساعة تقريباً . لقد كانت مجهدة جسمياً ومشوشة عقلياً وفاقدة الإتجاه تماماً . لم تكن تعرف أين كانت ، أو لماذا . لكنها فقط عرفت كيف تصلى .

وأمام حالة مثل الرجل الفصامى المسن والفتاة الهوسية ـ الإكتئابية ، لا يسع المرء إلا أن يعيد تأويل ذلك المقطع من الترنيمة الذى يقول : « إن الرب قريب من كسيرى القلب ومنقذ ذوى الأرواح النادمة » . أليس انكسار القلب من خصائص المنحنى التطورى لمرضى الفصام ؟ وأليس الندم من خصائص مرضى ذهان الهوس ـ الإكتئاب ؟ وألا يكون مرضى الفصام والهوس ـ الإكتئابى أحياناً أكثر قرباً من الدين عن العاديين ؟

وحتى الطفل المتخلف يحتفظ بإنسانية الكائنات الإنسانية . ويجدر بنا أن ننصت إلى كارل ج . روت ـ القس المقيم بمعهد يضم ٤٣٠٠ مريض متخلف عقلياً ـ حيث يقول : « لقد علمنى المتخلفون اكثر مما أستطيع أن أقول. فعالمهم لا رياء فيه ، إنه مملكة الإبتسامة فيها هى جواز المرور إلى حبك ، والنور فى عيونهم يذيب أقسى القلوب . ولعلها طريقة يذكرنا بها الله بأن العالم يجب أن يعيد اكتشاف الصفات التى لم يفقدها المتخلفون عقلياً أبداً (٢٠) .

ولا يستطيع المرء إلا أن يرجع إلى العبارة التى قالها و. م. ميللر ـ استاذ الصحة النفسية بجامعة أبردين باسكوتلاندا : « هناك بالتأكيد خطأ ما فى فكرة أن الكمال لابد وأن يكون متسقاً مع الصحة العقلية ، وأن الفرد لا يكون كاملاً فى نظر الله إلا إذا حاز شهادة اللياقة من طبيب نفسى . فماذا عن الطفل الغبى ، أو الفصامى الإنسحابى ، أو مريض عته الشيخوخة ؟ أى مداواة

(20) Carl J. Rote, "Mental Retardation : The Cry of Why ?" Association of Mental Hospital Chaplains Newsletter 2 : 41, 1965 .

Twitter: @abdullah_1395

يمكن أن نساعدهم بها إذا ألزمنا أنفسنا بنظرية التكامل الجسمى ـ العقلى ؟ بالتأكيد لابد وأن يوجد إدراك واع يمكن من خلاله أن تكون مخلوقات الله هذه كلاً، برغم أنه لا يوجد أمل فى شفائهم طبياً » (٢١) .

وفى ضوء العلاج بالمعنى لا يتضمن هذا اتخاذ جانب معين فى المسألة بين الإيمانية والإنسانية . لأن الدين فى ضوء العلاج بالمعنى ظاهرة إنسانية ، وكظاهرة إنسانية يجب أن يؤخذ على محمل الجد . يجب أن يؤخذ بمعناه الظاهرى لا أن يتم اسقاطه من الإعتبار باختزاله إلى ظاهرة دون ـ إنسانية فى إطار اتجاه النزعة الإختزالية .

وأخذ الدين على محمل جدى يتيح لنا الإستفادة من المصادر الروحية لدى المريض . وفى هذا السياق فان لفظ « روحية » يعنى ما هو إنسانى على نحو فريد وحقيقى . وبهذا المعنى فان الخدمات الطبية تكون مهمة مشروعة للأطباء .

بالطبع يمكننا التصرف بدونها ونظل مع ذلك أطباء ، ولكن ـ بالإشارة إلى عبارة حاذقة صرح بها پول دوبوا ـ يجب أن ندرك عندئذٍ أن الشىء الوحيد الذى يجعلنا نختلف عن الأطباء البيطريين هو الزبائن .

---

(21) W. M. Millar, "Mental Health and Spiritual Wholeness," Journal of Societal Issues 1 : 7, 1964 .

Twitter: @abdullah_1395

Twitter: @abdullah_1395

الخلاصـــة

Twitter: @abdullah_1395

Twitter: @abdullah_1395

أبعاد المعنى

يجب أن نأخذ فى الاعتبار حقيقة أنه ليس كل ما سأقدمه فى إطار هذا الفصل هو من معتقدات العلاج بالمعنى ـ ونظراً لطبيعة الموضوع لا أستطيع إلا أن أضمن حديثى الإعتراف بالعديد من الإقتناعات الشخصية على الخط الفاصل بين علم اللاهوت والطب النفسى .

يوجد عديد من الأطباء النفسيين يعملون فى مجال علم اللاهوت ، وكثير من علماء اللاهوت يعملون فى مجال الطب النفسى . ويشير أ. فريدريك بروبلز ـ القس المقيم بإصلاحية مدينة نيويورك ـ إلى « أولئك القساوسة ـ السيكولوجيين (نصف المطهيين) الذين ينبذون اسلحتهم الدينية » ، ويستطرد قائلاً : « لابد وأن يخجلوا من أنفسهم أمام بعض الأطباء الذين كانو ينجزون أعمالاً عظيمة فقط باستخدام وسائل دينية ، عندما عادوا ليلتقطوا ما أغفله علماء اللاهوت الذين اختلط عليهم الأمر [١] ومع ذلك ، يمكننى القول أن على الأطباء النفسيين أن يقاوموا إغراء الإنشغال بالعمل فى مجالات اللاهوت . وأنا أتساءل المرة تلو المرة : « أين مكان العناية الإلهية فى العلاج بالمعنى ؟ » وأجيب بأن الطبيب الذى يكتب وصفة طبية أو يجرى عملية جراحية يجب أن يقوم بذلك بأكبر قدر من اليقظة، ولكن يجب ألا يسرف فى التعويل على العناية الإلهية وحدها . فكلما ازداد اهتماماً بما يفعل وقل تعويله على العناية الإلهية ، إزداد إحساناً كرسول للعناية الإلهية.

---

(١) E. Fredrick Proells, "Reflections of the Social, Moral, Cultural, and Spirtual Aspects of the Prison Chaplain's Ministry", Journal of Pastoral Care 12 : 69, 1958 .

Twitter: @abdullah_1395

والعلاج بالمعنى لا يعبر الحدود بين العلاج النفسى والدين . ولكنه يترك الباب مفتوحاً للدين ، ويترك الأمر للمرضى إن أرادوا المرور من هذا الباب أو لم يريدوا . إنه المريض الذى عليه أن يقرر ما هو تفسيره لمعنى المسئولية سواء كانت مسئولية تجاه الإنسانية ، أو المجتمع ، أو الضمير ، أو الله . فهو الذى يقرر أنه مسئول عن ماذا وعن من وأمام من .

وقد أشار الكثير من الكتاب فى مجال العلاج بالمعنى إلى أنه يتسق مع الدين . ومع ذلك فالعلاج بالمعنى ليس بروتستانياً أو كاثوليكياً أو يهودياً (٢) . وبالحس السليم ، فإن العلاج النفسى الدينى شىء لا يمكن تصوره بسبب الفرق الرئيسى بين العلاج النفسى والدين ، الذى هو فرق فى الأبعاد . وكبداية ، فالهدف لدى الاثنين يختلف ، حيث يهدف العلاج النفسى إلى الصحة العقلية ، فى حيث يهدف الدين إلى الخلاص . ومن الصحيح كما كتب هاوارد شاندلر روبينز ـ أن العبادة تهدئ العقل . ولكن لا يمكن استخدامها فى الممارسة العلاجية لهذا الغرض بدون أن يتحطم هذا الغرض ذاتياً . فنحن لا ننشد الترانيم الدينية على أمل الشفاء من الأرق أو التخلص من سوء هضم مزمن . ولكننا ننشدها لتمجيد الرب .

وأكثر من ذلك ، فالعلاج بالمعنى يجب أن يكون فى متناول كل مريض وقابل للإستخدام فى يد كل طبيب سواء كانت نظرته العالم ايمانية أو إلحادية . وهذا شىء بديهى على أساس من قسم هيبوقراط إن لم يكن من أجل أى سبب آخر .

---

(٢) يمكن فهم اعتقاد الراحل ليوبيك بأن العلاج بالمعنى هو العلاج النفسى اليهودى فى ضوء حقيقة أنه ترجم مرة التوراة على أنها مهمة الحياة life task (المؤلف)

Twitter: @abdullah_1395

وعلى الجانب الآخر ، ففى حين لا يكون الطبيب النفسى ـ وينبغى ألا يكون ـ منشغلاً بالحياة الدينية للمريض ، فقد يضيف إليها كتأثير جانبى غير مقصود . وبيانات الحالات وثيقة الصلة بهذا الموضوع متضمنة فى مجلد العلاج النفسى والوجودية (٣) .

وهناك ناتج جانبى مشابه هو الإسهام الدينى النفيس للصحة العقلية ، فالدين على أى الأحوال يمد الإنسان بملاذ روحى ، وبشعور بالأمن لا يمكن أن يجد مثيله فى أى مكن آخر (٤) .

والخلط بين العلاج النفسى والدين يؤدى بالضرورة إلى التشوش ، لأن مثل هذا الخلط يمزج بين بعدين مختلفين هما بعدى الأنثروبولوچيا والثيولوچيا (اللاهوت) . وبالمقارنة ببعد الأنثروبولوچيا فإن بعد اللاهوت يكون هو الأعلى من حيث أنه الأكثر شمولاً .

فكيف يمكن إذن للإنسان أن يدرك الفرق فى الأبعاد بين العالم الإنسانى والعالم الإلهى ؟ من أجل فهم هذا الفرق نحتاج فقط لأن نأخذ فى الإعتبار العلاقة بين الإنسان والحيوان . فعالم الإنسان يشمل عالم الحيوان . فعلى نحو ما يستطيع الإنسان أن يفهم الحيوان لكن الحيوان لا يستطيع فهم الإنسان . وفى اعتقادى الآن أن النسبة بين الإنسان والحيوان تشبه إلى حد ما

---

(٣) Victor E. Frankl, Psychotherapy and Existentialism : Selected Papers on Logotherapy, Washington Square Press, New York, 1967 .

(٤) VictorE. Frankl, TheDoctor and the Soul : From Psychotherapy toLogotherapy, second, expanded edition, Alfred A. Knopf, New York, 1965 .
(Paperback edition : Bantam Books, New York, 1967) .

Twitter: @abdullah_1395

النسبة بين الله والإنسان .

لقد صغت فى أحد كتبى [٥] هذا القياس المنطقى : إن القرد الذى يستخدم لتطوير مصل شلل الأطفال ، ولهذا السبب يحقن المرة تلو الأخرى ، لا يستطيع ادراك معنى معاناته ، لأنه بذكائه المحدود غير قادر على دخول عالم الإنسان ، وهو العالم الوحيد الذى يمكن فيه للمعاناة أن تكون شيئا مفهوماً . أليس أمراً قابلاً للتصديق أن يكون هناك بعد آخر ، عالم آخر فيما وراء عالم الإنسان ، عالم يمكن فيه للسؤال عن المعنى المطلق للمعاناة الإنسانية أن يجد إجابة ؟

دعونا الآن نأخذ مثالاً آخر ، عن كلب . فإذا أشرت باصبعى إلى شىء لا ينظر الكلب إلى الإتجاه الذى أشرت إليه ، ولكنه ينظر إلى إصبعى ، وأحياناً يطبق على إصبعى بأسنانه . إنه لا يستطيع أن يفهم الوظيفة السيمانتية للإشارة إلى شىء ما . وماذا عن الإنسان ؟ ألا يكون هو أيضاً فى بعض الأحيان غير قادر على أن يفهم معنى شىء ما ، وليكن معنى المعاناة ، وألا يتصارع أيضاً مع قدره ويطبق بأسنانه على اصبعه ؟

إن الإنسان غير قادر على فهم المعنى المطلق للمعاناة الإنسانية لأن « مجرد التفكير لا يمكنه أن يكشف لنا الغرض الأعلى » كما قال ألبرت أينشتين فى أحد المرات . ويمكننى القول بأن المعنى المطلق ـ أو المعنى الأسمى supra meaning كما أفضل أن أسميه ـ لم يعد مسألة تفكير

---

(٥) Victor E. Frankl, Man's Search for Meaning : An Introduction to Logotherapy, Washington Square Press, New York, 1963, P.187

Twitter: @abdullah_1395

وإنما بالأحرى مسألة إيمان . فنحن لا نمسك به على أساس عقلانى وإنما على أساس وجودى ، من خلال شيء خارج عن كل كينونتنا ألا وهو الإيمان .

ولكنى أعتقد أن الإيمان بالمعنى المطلق تسبقه الثقة بالكينونة المطلقة ، أى الثقة بالله . تخيل كلباً ـ كلب آخر ـ وهو كلب مريض . وأنت تذهب به إلى الطبيب البيطرى الذى يؤلم الكلب ، فينظر الكلب إلى أعلى ـ إليك ـ ثم يدع الطبيب يجرى عليه الكشف ويعالجه . وبرغم الألم فإنه يظل ساكناً. إنه لا يستطيع أن يفهم معنى الألم ، أو الغرض من حقنة أو ضمادة ، ولكن الطريقة التى ينظر بها إليك تكشف عن ثقة بلا حدود فيك من خلالها يشعر بأن الطبيب لن يؤذيه .

إن الإنسان لا يستطيع النفاذ عبر الإختلاف فى الأبعاد بين العالم الإنسانى والعالم الإلهى ، ولكنه يستطيع أن يلمس المعنى المطلق من خلال الإيمان الذى تتوسطه الثقة بالكينونة المطلقة (الله) . ولكن الله « يسمو فوق كل البركات والتراتيل والصلوات والسلوى التى تجرى فى العالم » وذلك كما تقول صلاة الموتى العبرية الشهيرة. وهذا يعنى مرة أخرى أننا نلتقى باختلاف فى الأبعاد ، إختلاف يمكن مقارنته بما يسميه مارتن هايدجر بالاختلاف الأنطولوچى ، وهو الإختلاف الرئيسى بين الأشياء والكينونة . فهايدجر يعتقد بأن الكينونة ليست شيئًا ضمن أشياء أخرى . لقد جاءنى منذ سنوات قليلة صبى صغير أخبر زوجتى أنه يعرف ماذا سيصبح عندما يكبر . فسألته ماذا سيكون ، فأجاب : « إما أن أكون لاعب ترابيز أو أكون الله » . فقد كان يتعامل مع مفهوم الله كما لو كان مهنة ضمن المهن الأخرى .

إن الإختلاف الانطولوچى بين الكينونة والأشياء ، أو فيما يتعلق بهذه

Twitter: @abdullah_1395

المسألة ، الإختلاف فى الأبعاد بين الكينونة المطلقة والكينونات الإنسانية ـ يحول دون أن يتحدث الإنسان حقاً عن الله . فالحديث عن الله يتضمن تحويل كينونة إلى شيء . إنه يتضمن التشيىء reification أما التجسيد أو التشخيص personification فقد يكون شيئاً معقولاً . بعبارة أخرى ، لا يستطيع الإنسان أن يتحدث عن الله ولكنه يستطيع أن يتحدث إلى الله . فله أن يصلى .

ويقول لودفيج بينزفانجر فى جملة يختتم بها واحداً من أشهر كتبه : « حيث لا يستطيع الإنسان أن يتحدث ، هنا يجب أن يصمت » . وقد ترجمت هذه العبارة إلى لغات عديدة . ودعونى أترجمها من اللغة الإلحادية إلى اللغة الإيمانية ، عندئذ ستكون : « إليه ، الذى لا يستطيع أحد الحديث عنه ، يجب أن نصلى » .

ومع ذلك ، فإن إدراك الفرق بين العالم الإنسانى والعالم الإلهى لا ينتقص من قدر المعرفة وحسب وإنما أيضاً يضيف إليها ويؤدى إلى الحكمة . فإذا استعصت مشكلة على الحل فإننا على الأقل نفهم لماذا لم تبلغ الحل . ونتذكر القول المأثور بأن الله يكتب على خطوط معقوفة كتابة مستقيمة . وهذا شيء لا يمكن تصوره على ورقة مسطحة نتخيل أن الله يكتب عليها . فالكتابة المستقيمة تعنى وضع حروف متوازية متعامدة على السطور . ولكن على الخطوط المعقوفة لا يمكن أن تتوازى الحروف .

الشكل رقم (٩)

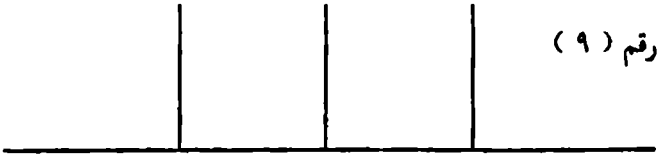

الكتابة المستقيمة على خطوط مستقيمة

Twitter: @abdullah_1395

الشكل رقم (١٠)

الكتابة على خطوط معقوفة

ولكن إذا وضعنا فى اعتبارنا المجسم ثلاثى الأبعاد بدلاً من المسطح ثنائى الأبعاد للصفحة ، فإنه يصبح من الممكن تماماً وضع حروف متوازية على خطوط معقوفة . بعبارة أخرى ، على أساس الإختلاف فى الأبعاد بين العالم الإنسانى والعالم الإلهى يمكننا أن نأخذ خطوة للأمام فيما وراء الخطوة التى أخذها سقراط الذى قال أن كل ما يعرفه هو أنه لا يعرف شيئاً . فنحن نعرف الآن السبب فى أننا لا نستطيع أن نعرف كل شىء . نحن نفهم لماذا لا نستطيع أن نفهم كل شىء . والأكثر أهمية من ذلك ، إننا نفهم أن شيئاً مايبدو مستحيلاً على بعد أدنى ، يصبح ممكناً تماماً على بعد أعلى .

الشكل رقم (١١)

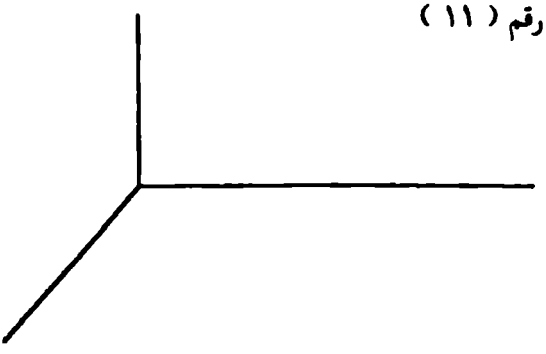

الكتابة المستقيمة على خطوط معقوفة

Twitter: @abdullah_1395

إن حاجز الأبعاد بين العالم الإنسانى والعالم الإلهى لا يمكن محوه من خلال الحديث عن الوحى ، فالوحى لا يسبب الإيمان بالله . ذلك لأن التسليم بأن الوحى مصدر إعلام يفترض مسبقاً الإيمان بالله . وغير المؤمن لا يعترف أبداً بأن الوحى حقيقة تاريخية .

والجدل على أساس من المنطق هنا ليس اكثر مصداقية من الجدال على أسس تاريخية . فقد يمكنك أن تستدل على وجود الديناصورات فى الماضى من الحفريات ، ولكنك لا تستطيع أن تستدل على وجود كينونة فوق ـ طبيعية supra - natural من أشياء طبيعية . فالغائية ليست جسراً آمناً بين الأنثروبولوچيا واللاهوت .

وليست الطريقة التاريخية أو الطريقة المنطقية بالنسبة لغير المؤمن سوى حاجزين يتعثر فيهما . ولكن هناك أيضاً طريقة ثالثة ، وهى الأنثروبومورفيزم anthropomorphism . ويمكن تعريف الأنثروبومورفيزم على أنه علم الدين فى إطار من الأنثروبولوچيا . أو بعبارة أكثر بساطة ، هو الله فى صورة الجد الأكبر . وهاكم مثال لتوضيح هذه النقطة من خلال النكتة التالية :

قص مدرس بمدرسة أحد لتلاميذه قصة رجل فقير ماتت زوجته أثناء الولادة ، ولم تكن لديه المقدرة ليدفع مالاً لمرضعة . ولكن الله صنع معجزة فأنبت ثديين فى صدر الرجل الفقير كى يستطيع الوليد أن يرضع . فاعترض هنا أحد الصبية قائلاً بأنه لم تكن هناك حاجة إلى حدوث معجزة ، فلماذا لم يرتب الله الأمر كى يعثر الرجل الفقير على ظرف به ألف دولار كى يدفع المال للمرضعة ؟ ولكن المدرس أجاب : يا لسخافتك ، طالما أن الله يستطيع

Twitter: @abdullah_1395

صنع المعجزات فما الذى يجعله يبعثر المال » .. لماذا نضحك الآن ؟ لأن هناك خاصية إنسانية وهى الحرص على المال نسبت إلى دوافع الله .

وهكذا ، فإن تلك الأحجار العشرة الثلاثة : الفاشية authoritarianism ، والتعقيل rationalism ، والميل للتفسير الدينى فى إطار من الانثروبولوچيا anthropomorphism ـ هى المسئولة عن كثير من الكبت فى مجال الدين . ويمكننى هنا اقتباس حالة كبتت فيها المشاعر الدينية ، وكشف الأمر عن طريق صور الأشعة السينية X. rays وأدين بفضل الحصول على هذا التقرير إلى هـ. أ. بلومنثال من الجامعة العبرية بالقدس . « والحالة تتعلق بامرأة متوسطة العمر دخلت المستشفى تشكو من مغص حاد ، واكدت للطبيب فى قسم الأشعة على أنها ليست امرأة متدينة ، ولكن نوبة المغص كانت تداهمها بعد تناول لحم الخنزير على وجه الخصوص . وبعد وجبة باريوم كشفت صورة الأشعةعن أن القولون طبيعى تماماً . وفى المرة الثانية اعطيت وجبة الباريوم وقيل لها أنها تحوى لحم خنزير ، وكانت النتيجة هى نوبة مغص حاد بعد الأشعة . وفى المرة الثالثة ، خلط لحم الخنزير بالفعل مع وجبة الباريوم ولكن بدون علم المريضة . وفى هذه المرة كشفت صورة الأشعة عن أن القولون طبيعى تماماً ، ولم تصب المريضة بنوبات مغص بعد ذلك [٦] .

وفى أحد كتبى التى لم تترجم بعد للإنجليزية [٧] عرضت لأحلام دينية

(٦) H. E. Blumenthal, " Jewsh Challenge to Freud, " Here and Now, 1 : 24, 1955, P. 12.

(٧) Victor E. Frankl, Der unbewusst Gott, Amandus - Verlag, Wien 1948 .

Twitter: @abdullah_1395

(على المستوى اللاشعورى) لمرضى ملحدين (على المستوى الشعورى) يرقدون على فراش الموت ويعرفون أنهم سوف يموتون ، ومع ذلك فقد كانوا يحسون بنوع من الحماية لا يمكن تفسيرها من خلال فلسفتهم اللادينية فى الحياة [٨] . ولكن يمكن تفسيرها بافتراض ما أسميه الثقة الأساسية فى معنى مطلق . وقد أعطى ألبرت آينشتين تعريفاً مؤداه أن الوصول إلى إجابة شافية للسؤال : « ما هو معنى الحياة ؟ » يعنى أن يكون صاحب الإجابة متديناً . فإذا سلمنا بتعريفه للدين يصبح من حقنا أن نعتبر الإنسان متديناً بشكل أساسى .

وبالمعنى الدقيق لمفهوم ايمانويل كانط عن النزعة إلى التسامى transcendentalism[٩] ، فإن ثقة الإنسان فى المعنى تستحق أن نعتبرها متسامية . وإذا سمح لى لأسباب تعليمية أن أبالغ فى تبسيط الأمور، فإن الإنسان لا يستطيع حقاً أن يدرك الأشياء منفصلة عن المكان والزمان ، وموزعة على فئات الأسباب والنتائج . وهكذا فعل كانط . وأنا أعتقد الآن أن

---

(٨) عادة ما يقارن الموت بالنوم . ولكنى أعتقد أن الموت يجب مقارنته بالصحو . فهذه المقارنة على الأقل تجعل من فكرة أن الموت يقع فيما وراء الفهم ، شيئاً مفهوماً . فلننظر إلى أب عطوف يوقظ ابنه بلمسه يهزه بها . فالطفل يصحو فى البداية بانفعال الخوف ، لأن فى دنيا الحلم الذى قطعته هذه اللمسة لم يتمكن من فهم هذه اللمسة على نحو سليم . والإنسان أيضاً يستيقظ من الحياة إلى الموت بانفعال الخوف . وإذا أمكن انقاذ حياته بعد اعتباره ميتاً كلينيكياً يكون شيئاً مفهوماً أنه لا يتذكر أى شىء . فالذى يصحو يتذكر حلمه ولكن الحالم لا يعرف أنه نائم .

(٩) فى رأيى أن كانط بنزعته إلى التسامى حوّل قضية quaestio iuris إلى قضيةquaestio facti حيث أن السؤال عما إن كان من المشروع أن نستخدم فئات معينة ، هو سؤال قد أجيب عليه بالفعل لأننا لا نستطيع الاستغناء عن هذه الفئات ، ولأننا كنا نستخدمهم دائماً . فلا معنى إذن لطرح التساؤل حول ما ينبغى أن نفعله.

Twitter: @abdullah_1395

الإنسان ما كان له أن يتحرك قيد أنملة إلا إذا كان متشرباً بالثقة الأساسية فى المعنى المطلق إلى أعمق أعماق وجوده ومن أعماق كينونته . تلك التى بدونها لكان قد توقف عن التنفس . فحتى الشخص الذى يقدم على الإنتحار لابد وأنه مقتنع بأن هذا شيء له معنى معقول .

وهكذا ، فإن الثقة بالمعنى والإيمان بالكينونة ، مهما كانا فى حالة هدوء وسكون ، فإنهما ينتميان إلى التسامى ، ولهذا فلا غنى عنهما ولا يمكن التضحية بهما . لقد ناقشنا حالات كبتا فيها لأن الشخص شعر بالخجل من مشاعره الدينية . لقد ووجه مثل هذا الشخص بصورة الدين دون إعطاء الفروق فى الأبعاد بين العالم الإنسانى والعالم الإلهى ما تستحقه من اعتبار . ولكن هناك أيضاً أناس لا يعون هذه الفروق جيداً . وأعنى بهذا هؤلاء الذين يصرون على أنه لا يوجد شيء حقيقى إلا ما هو مادى ملموس . هؤلاء لا يعون حتى الفرق فى الأبعاد بين الظاهرة الجسمية والظاهرة النفسية . ولكن ما زال من الممكن التفاهم معهم بالرجوع إلى ما كانوا يفترضونه مسبقاً طيلة الوقت. ودعونى أوضح هذه الفكرة :

فى جلسة للمناقشة سأل شاب عما إذا كان من المعقول أن نتحدث عن الروح فى حين أنه لا يمكن رؤيتها . فحتى لو تفحصنا نسيج المخ بالميكروسكوب ـ كما قال ـ لن نجد أبداً مثل هذه الروح . عندئذٍ طلب منى رئيس الجلسة أن أتناول هذا الموضوع . وبدأت بأن سألت الشاب عن الدافع الذى أدى به إلى إثارة هذا السؤال ، فأجاب : « إخلاصى العقلى » . فاستطردت متحدياً إياه : « حسنا ، هل هذا شيء جسمى ؟ أو شيء مادى؟

Twitter: @abdullah_1395

هل يمكن رؤيته بالميكروسكوب ؟ » فاعترف « بالطبع لا ، لأنه شيء عقلي » . فقلت : « نعم ، وبعبارة أخرى ، إن ما كنت تبحث عنه تحت الميكروسكوب بلا جدوى هو الشرط المسبق لبحثك ، وكنت تفترضه مسبقاً طيلة الوقت ، أليس كذلك ؟ » .

وعندما زار مارتن هايدجر ڤيينا للمرة الأولى فى حياته نظم له سيمنار خاص لاثنى عشر دارساً . وفى أمسية نفس اليوم أخذت أنا والپروفيسور ج.ـ من قسم الفلسفة بجامعة ڤيينا ـ هايدجر إلى حانة من نوع خاص (مكان من أمكنه تشتهر بها ڤيينا حيث يبيع مالكه النبيذ الذى ينتجه بنفسه) . وقد اصطحبنا زوجاتنا معنا . ونظراً لأن زوجةالپروفيسور ج. لم تكن تشتغل بالفلسفة وإنما كانت نجمة أوپرا سابقة ، فقد طلبت منى أن أشرح بكلمات بسيطة ماذا كانت نتيجة السيمنار مع هايدجر . فارتجلت القصة التالية: « كان ياما كان رجل وقف خلف تلسكوب ، وكان يائساً لأنه ـ كما قال ـ بحث فى أرجاء السماء عن كوكب ما فى المجموعة الشمسية ولكنه لم يستطع العثور عليه . وبالتحديد كان اسم هذا الكوكب هو (الأرض) . ونصحه صديق بالرجوع إلى حكيم يدعى مارتن هايدجر . وسأل هايدجر الفلكى : عم تبحث ؟ فقال الرجل باكياً : الأرض ، وقد بحثت عنها فى السماء كلها ولم أجدها . فقال هايدجر : هل لى أن أسألك أين قمت بتثبيت قوائم منظارك ؟ فجاء الرد مباشراً : على الأرض بالطبع . فاختتم هايدجر الحديث قائلاً : حسناً ، ها هى ذى » .

مرة أخرى ، فما كان الفرد يبحث عنه ، كان يفترض وجوده مسبقاً طيلة الوقت . ولغوياً فإن كلمة يفترض مسبقاً pre-sup-posed تعنى

Twitter: @abdullah_1395

استقر (posde-laid) تحت (sup-under) أى ضمّن بحثه، حتى قبل أن يستقر عليه .

وأستأذن منى مارتن هايدجر كى يستخدم هذا التشبيه فى محاضراته . لقد جعل من علم دراسة أصل الكلمات etymologies هادياً له ، فلم لا أجعل من القياس المنطقى analogies هادياً لى ؟

فالذين يقصرون الواقع على ما يمكن لمسه ورؤيته ، ولهذا يميلون إلى الإنكار المسبق لوجود الكينونة المطلقة ، هم أيضاً يكبتون مشاعر دينية . وبالإضافة إلى أولئك الذين هم من التعقد إلى درجة لا يعتنقون معها تصورات دينية ساذجة ، هناك من هم من عدم النضج إلى الدرجة التى لا يستطيعون معها التغلب على وجهات نظرهم البدائية ، فيصرون على أن الله يجب أن يكون مرئياً . ولكن إذا قدر لأحدهم أن يقف على المسرح لتعلم درساً ، فالواقف على خشبة المسرح تعميه الأضواء الساطعة حتى أنه لا يستطيع رؤية المشاهدين ، وبدلاً من المشاهدين يرى فجوة سوداء ضخمة . إنه لايستطيع أن يرى الناس الذين يشاهدونه . وكذلك الإنسان الذى يقف على مسرح الحياة ويلعب دوراً فى الحياة ، أنه لا يستطيع أن يرى أمام من يلعب الدور ، لا يستطيع أن يرى أمام من هو مسئول عن الأداء الجيد للدور . وفى الأضواء الساطعة لما يجرى فى مقدمة مسرح الحياة اليومية ، قد ينسى المرء أحياناً أن هناك من يشاهده ، وأن هناك شخصا يجلس مختبئاً فى صندوق يشاهده . إنه هو الذى « جعل من الظلام مكان اختباءه » كما يقال فى الترنيمة . وكثيراً ما نشعر بدافع قوى لأن نذكره بأن الستار مرفوع ، وأن كل مايفعله يمكن مشاهدته

Twitter: @abdullah_1395

وقد قيل للمعتقلين فى معسكرات اعتقال كوريا الشمالية بأنه إذا لم يخضعوا لغسيل مخ فسوف يموتون دون أن يعرف أحد شيئاً عنهم أو عن بطولتهم . فبالنسبة للشخص غير المتدين ليس غريباً ألا يكون هناك معنى للبطولة دون أن يكسب شيئاً من وراء ذلك ، أو دون أن يعرف شخص واحد أى شىء عن هذه البطولة (١٠) .

إن الفجوة السوداء الضخمة تمتلىء بالرموز . والإنسان هو الكائن الذى يستطيع خلق الرموز ، وهو الكائن الذى يحتاج إلى الرموز . فلغاته هى نظم من الرموز ، وكذلك تدينه . وما يصدق على اللغات صحيح أيضاً بالنسبة للأديان . هذا يعنى أنه لا يحق لأحد ـ بناء على عقدة تفوق لديه ـ أن يدعى أن إحدى اللغات تتفوق على الأخرى ، لأنه يمكن لكل لغة أن تصل إلى الحقيقة ـ الحقيقة الواحدة ـ ويمكن لكل لغة أيضاً أن تخطىء وأن تكذب .

ولا أعتقد أن الاتجاه الطائفى trend بعيد عن الأديان . ولكنى اعتقد أن الاتجاه الطائفى بعيدعن تلك الأديان ـ أو بالأحرى تلك الطوائف الدينية ـ التى لا يهتم ممثلوها إلا بالهجوم على بعضهم البعض والتقاتل فيما بينهم . وقد كانت هذه هى إجابتى على محرر مجلة « تايم » عندما تحدث إلىّ عبر الهاتف وسألنى : هل مات الله ؟ وأخبرنى أن هذا السؤال سيكون موضوع الغلاف . فبادرته بالسؤال عما إن كان ينوى فى نهاية الموضوع أن يختار الله « كرجل العام » Man of the Year .

---

(١٠) Joost A. Meerloo, "Pavlovian Strategy as a Weapon of Mentiide," American Journal of Psychiatry 110 : 809, 1954 .

Twitter: @abdullah_1395

وبعد أن أوضحت أن الإتجاه الطائفى ليس بعيداً عن الدين ، ولكنه بعيد فقط عن التأكيد على الفروق بين الطوائف الدينية المختلفة ، سألنى محرر « التايم » عما إن كنت أقصد ابتعاد الإتجاه الطائفى trend عن الطائفية الدينية denominations هو لصالح نوع من الدين العالمى ، فأنكرت هذا تماماً . فالعكس هو الصحيح بالأحرى . فالاتجاه الطائفى يتحرك فى اتجاه دين شخصى على نحو عميق ، بالدرجة التى يصل معها كل إنسان إلى لغة خاصة به ، ويعثر على كلمات خاصة به ، حين يتوجه مباشرة إلى التواصل مع الكينونة المطلقة .

ولكن ماذا عن الموضوع الذى فى أيدينا ؟ هل مات الله ؟ ويمكننى القول أن الله لم يمت ولكنه صامت . وهو صامت رغم أنه موجود منذ الأزل. إن الله الحى كان مستوراً منذ الأزل. ولا يجب أن تتوقع منه أن يجيب على ندائك . فإذا كنت تسبر أعماق البحر ، فإنك ترسل موجات صوتية وتنتظر الصدى من أعماق البحر . وإذا كان الله موجوداً فهو غير متناهى ، وستظل تنتظر الصدى بلا جدوى . وحقيقة أن لا إجابة تعود إليك هى دليل على أن النداء وصل إلى المرسل إليه ، إلى اللامتناهى .

وإذا نظرت إلى السماء فإنك لا تستطيع أن تراها لأن أى شىء تراه فى السماء ليس هو السماء نفسها ، ولكنه على العكس ، يخفى السماء ـ ولتكن سحابة مثلاً . فمن الإرتفاع اللامتناهى المسمى بالسماء لا ينعكس أى ضوء (يقال أن طرق الله ترتفع عن طرق الإنسان كما ترتفع السماء عن الأرض) ،ومن الأعماق اللامتناهية لا يرتد أى صوت .

ويشير جوردون و. اولبورت فى كتابه الشهير « الفرد ودينه » إلى دين

Twitter: @abdullah_1395

شخصى على نحو عميق عندما يتحدث عن الهندوسية . فهم « يعددون مفاهيم الألوهية التى يعتنقها الأفراد المختلفون والتى يعتنقها الفرد الواحد فى فترات مختلفة . فعندما نحتاج إلى العاطفة فالله محبة ، وعندما نحتاج إلى المعرفة فالله هو العليم بكل شىء ، وعندما نحتاج إلى السلوى فهو مانح السلام الذى يفضى إلى التقبل والتسليم . وعندما نأثم فهو التواب ، وعندما نحتاج الهداية فهو الروح القدس . وتحضرنى الآن شعيرة طريفة من شعائر الديانة الهندوسية . فعند حوالى سن السادسة عشرة أو الثامنة عشرة يتلقى الشاب الهندوسى من معلمه اسماً لله يستخدمه الشاب الهندوسى طوال حياته كوسيلة خاصة للصلاة ولتوثيق صلته بالله . والهندوسية تؤمن فى هذه العادة بأن الأمزجة والحاجات والقدرات لدى الهندوسى نفسه يجب أن تحدد إلى درجة كبيرة اتجاهه من الحقائق الدينية . فى هذه الممارسة نجد لدينا مثال نادر لدين عرفى يعترف بالتفردية المطلقة للوجدانات الدينية . ففى الهند لا يكفى أن يكون لكل فرد اسم إلهى يتفق مع حاجاته الشخصية ، ولكن ينصح بإلحاح أن يظل هذا الاسم سراً يخفيه الفرد حتى عن أقرب أصدقائه وعن قرينه . ففى النهاية يواجه كل فرد إلهه فى عزلة، ومن المرغوب أيضاً ترميز هذه الحقيقة خاصة بين أهل كثيرى العدد وفى التجمعات ، وختمها بخاتم السرية[١١] » .

هل يعنى ذلك أن الطوائف الفردية ـ أو فيما يتعلق بهذه المسألة التنظيمات والمؤسسات ـ فى مجال الدين سوف تختفى ؟ على الإطلاق .

---

(١١) Gordon W. Allport, The Individual And His Religion. The Macmillan Company, New York, 1956. PP. 10 ff.

Twitter: @abdullah_1395

فبرغم ما يمكن أن تكون عليه الأنماط الشخصية من اختلاف من حيث تعبير الإنسان عن نفسه وعلاقته بالكينونة المطلقة ، فهناك رموز مشتركة ، وسوف تبقى دائماً رموز مشتركة . ألا تشترك بعض اللغات فى نفس الحروف الهجائية برغم اختلافاتها .

وفى النهاية دعونى اذكر نفسى بأننى طبيب فى المقام الأول . فأنا أواجه يوماً بعد يوم بأناس ميئوس من شفائهم ، رجال يصبحون شيوخاً ، ونساء يظللن عقيمات ، ويحاصرنى بكاءهم طلباً للإجابة على السؤال عن المعنى المطلق للمعاناة .

لقد مررت أنا نفسى بهذه الخبرة المطهرة للنفس عندما وجدت نفسى فى معسكر اعتقال وفقدت مخطوطة أول نسخة لأول كتبى . وفيما بعد ، عندما بدا موتى وشيكاً ، سألت نفسى فيم كانت حياتى ، ولمَ ؟ فلم يبق أى شىء يذكر العالم بى . لا طفل يخلفنى ، ولا حتى طفل روحى مثل تلك المخطوطة . ولكن بعد صراع مع يأسى لساعات ، وارتجاف من حمى التيفوس، سألت نفسى فى النهاية أى نوع من المعنى ذلك الذى يعتمد على ما ان طبعت مخطوطتى أم لم تطبع. أنا لا أبالى به . ولكن إذا كان هناك معنى ، فإنه يكون معنى غير مشروط ، ولا يمكن للمعاناة أو الموت أن ينتقص من قيمته .

وما يحتاجه مرضانا هو إيمان غير مشروط بمعنى غير مشروط . وتذكروا ما سبق أن قلته عن زوالية الحياة . فلا يوجد فى الماضى شىء يفقد إلى الأبد، ولكن كل شىء يتم حفظه إلى الأبد . فالناس لا يرون إلا الحقل العارى بعد أن تحصده الزوالية ، ولكنهم يتغافلون عن صوامع الماضى المليئة

Twitter: @abdullah_1395

التى خزنت فيها الغلال ، حيث حفظوا حصادهم .

ولكن ماذا عن تلك المخلوقات التعسة ، أولئك الذى تخلو صوامعهم من الغلال ، أولئك الرجال الذين بلغوا الشيخوخة ، وأولئك النساء العقيمات ، وأولئك الفنانون والعلماء الذين تخلو مكاتبهم وأدراجهم بدلاً من أن تمتلىء بالمخطوطات ؟ ماذا عنهم ؟ لعل الإيمان غير المشروط بالمعنى غير المشروط يحول الفشل التام إلى انتصار بطولى . وكون هذا ممكناً لم يؤكده العديد من المرضى فى حياتنا وحسب ، وإنما يؤكده أيضاً الفلاح الذى عاش فى عصور التوراة ، فى مكان ما بفلسطين . فقد كان لديه صوامع بالمعنى الحرفى للكلمة ، وكانت خالية بالمعنى الحرفى للكلمة . ومع ذلك ، ونتيجة لثقة غير مشروطة بمعنى مطلق وإيمان غير مشروط بكينونة مطلقة ، أنشد حباكوك Habakkuk ترنيمة النصر :

« رغم أن شجرة التين لن تزدهر ، وأن الثمار لن تنضج ، وأن العمل فى حقول الزيتون سوف يفشل ، وأن المزارع لن تنتج لحماً ، وأن القطيع سوف يختفى من الحظيرة ولن يرعى فى مراعيه . مع ذلك ، سوف ابتهج فى الله ، وسوف أسعد برب خلاصى »

... لعل هذا يكون الدرس المستفاد من كتابى .

Twitter: @abdullah_1395

ثبت المراجع

1 - Allers, Rudolf. (1961) .

"Ontoanalysis: A New Trend in Psychiatry," Proceedings of the American Catholic Philosophical Association .

2 - ..... (1962) .

"The Meaning of Heidegger," The New Scholasticism 26 : 445 .

3 - Allport, Gordon W. (1955) .

Becoming : Basic Considerations for a Psychology of Personality, Yale University Press, New Haven .

4 - ..... (1956) .

The Individual and His Religion, The Macmillan Company, New York .

5 - ..... (1960) .

Personality and Social Encounter, Beacon Press, Boston .

6 - ..... (1962) .

"Psychological Models for Guidance", Harvard Educational Review 32 : 373 .

Twitter: @abdullah_1395

7 - Binswanger, Ludwig. (1956) .

Erinnerungen an Sigmund Freud, Francke, Bern .

8 - ..... (1957) .

Reminiscences of a Friendship, Grune & Stratton, New York .

9 - Blumenthal, H. E. (1955) .

"Jewish Challenge to Freud", Here and Now, 1 : 24 .

10 - Brentano, Franz. (1924) .

Psychologie vom empirischen Standpunkt, Meiner, Leipzig .

11 - Buhler, Charlotte. (1959) .

"Theoretical Observations about Life's Basic Tendencies", American Journal of Psychotherapy 13 : 561 .

12 - ..... (1960) .

"Basic Tendencies in Human Life :

Theoretical and Clinical Considerations", in Sein und Sinn, edited by R. Wisser, Tubingen .

13 - ..... (1962) .

Values in Psychotherapy, Free Press of Glencoe, New York .

Twitter: @abdullah_1395

14 - ..... (1964) .

"The Human Course of Life in its Goal Aspects", Journal of Humanistic Psychology, 4 : 1 .

15 - ..... (1965) .

"Some Observations on the Psychology of the Third Force", Journal of Humanistic Psychology 5 : 54 .

16 - Burton, Arthur. (1963) .

"Death as a Countertransference", Psychoanalysis and the Psychoanalytic Review .

17 - ..... (1965) .

Modern Psychotherapeutic Practice :

Innovations in Technique, Science and Behavior Books, Palo Alto, California .

18 - Crumbaugh, James C., and Maholick, Leonard T. (1963) .

"The Case for Frankl's Will to Meaning", Journal of Existential Psychiatry 4 : 43 .

19 - Crumbaugh, James C., and Maholick, Leonard T. (1964) .

"An Experimental Study in Existentialism : The Psychometric Approach to Frankl's Con-

Twitter: @abdullah_1395

cept of Noogenic Neurosis", Journal of Clinical Psychology 20 : 200 .

20 - Crumbaugh, James C. (1965) .

"The Application of Logotherapy", Journal of Existentialism 5 : 403 - 412 .

21 - ..... (1966) .

"The Purpose-in-Life Test as a Measure of Frankl's Noogenic Neurosis", delivered before Devision 24, American Psychological Association, New York City, September 3, 1966 .

22 - ..... (1968) .

"Cross-Validation of Purpose-in-Life Test Based on Frankl's Concepts", Journal of Individual Psychology 24: 74 .

23 - Dreikurs, Rudolf. (1960) .

"The Current Dilemma in Psychotherapy", Journal of Existential Psychiatry 1 : 187-206 .

24 - Eddy, Edward D. (1959) .

The College Influence on Student Character, American Council on Education , Washington, D. C.

Twitter: @abdullah_1395

25 - Fabry, Joseph B. (1968) .

The Pursuit of Meaning : Logotherapy Applied to Life, Preface by Victor E. Frankl, Beacon Press, Boston .

26 - Frankl, Victor E. (1935) .

"Ein haufiges Phanomen bei Schizophrenie", Zeitschrift fur die gesamte Neurologie und Psychiatrie 152 : 161 .

27 - ---------- (1950) .

Patiens : Versuch einer Pathodizee, Franz Deuticke, Wien .

28 - ---------- (1953) .

"Angst und Zwang. Zur Kenntuis Pathogener Reaktionmuster", Acta Psychotherapeutica 1 : 111 .

29 - ---------- (1962) .

Man's Search for Meaning : An Introduction to Logotherapy, Preface by Gordon W. Allport, Beacon Press, Boston .

30 - ---------- (1963) .

"Luncheon Adress to the Third Annual Meeting of the Academt of Religion and Mental

Twitter: @abdullah_1395

Health". Journal of Existential Psychiatry 4 : 27 .

31 - ..... (1963) .

The Doctor and the Soul : An Introduction to Logotherapy, revised edition, Alfred A. Knopf, New York .

32 - ..... (1965) .

"The Concept of Man in Logotherapy", Journal of Existentialism 6 : 53 .

33 - ..... (1965) .

"Fragments from the Logotherapeutic Treatment of Four Cases", in Modern Psychotherpeutic Practice : Innovations in Technique, edited by Arthur Burton, Science and Behavior Book, Palo Alto, California .

34 - ..... (1967) .

"Logotherapy and Existential Analysis - A Review", American Journal of Psychotherapy 20 : 252 .

35 - ..... (1967) .

Psychotherapy and Existentialism, Selected Papers on Logotherapy, Washington Square Press, New York .

Twitter: @abdullah_1395

36 - Freeman, Walter. (1967) .

"Psychiatrists Who Kill Themselves : A Study in Suicide", American Journal of Psychiatry 124 : 154 .

37 - Freud, Sigmund. (1889) .

"Book Review", Wiener medizinische Wochenschrift .

38 - ..... (1889) .

"Uber Forel : Der Hypontismus, seine Bedeutung und seine Handhabung", Wiener medizinische Wochenschrift 34 : 1098 .

39 - ..... (1960) .

Briefe 1873 - 1939, S. Fischer - Verlag, Frankfurt am Main .

40 - Gehlen, Arnold. (1961) .

Anthropologische Forschung, Rowohlt, Hamburg .

41 - Gerz, H. O. (1962) .

"Treatment of the Phobic and Obsessive - Compulsive Patients Using Paradoxical Intention Sec. Victor E. Frankl", Journal of Neuro-

Twitter: @abdullah_1395

psychiatry 3 : 375 .

42 - ..... (1963) .

"Sever Depressive and Anxiety States", Mind 1 : 235 .

43 - Grollman, Earl A. (1964) .

"Victor E. Frankl : A Bridge Between Psychiatry and Religion", Conservative Judaism 19 : 19 .

44 - Gutheil, E. A. (1956) .

"Proceedings of the Association for the Advancement of Psychotherapy", 10 : 134 .

45 - Havens, Leston L. (1968) .

"Paradoxical Intention", Psychiatry & Social Science Review, 2 : 2 .

46 - Haworth, D. Swan. (1965) .

"Victor Frankl", Judaism 14 : 351 .

47 - Heuscher, Julius. (1964) .

"Book Review", Journal of Existentialism 5 : 229.

48 - Kocourek, K., Niebauer, E., and Polak, P. (1959) .

"Ergebnisse der Klinischen Anwendung der Logotherapie", in Handbuch der Neurosenleh-

Twitter: @abdullah_1395

re und Psychotherapie, Vol. 3, edited by V. E. Frankl von Gebsattel, and J. H. Schultz, Urban & Schwarzenberg, Munich-Berlin .

49 - Kotchen, Theodore A. (1966) .

"Existential Mental Health : An Emperical Approach", Journal of Individual Psychology 16 : 174 .

50 - Kratochvil, S. (1961) .

"K psychoterapii existencialni frustrace", Ceskoslovenska psychiatria 57 : 186 .

51 - ..... (1966) .

"K Problemu existencialni frustrace", Ceskoslovenska psychiatria, 62 : 322 .

52 - Ledermann, F. K. (1962) .

"Clinical Applications of Existential Psychotherapy", Journal of Existential Psychiatry 3 : 45 .

53 - Lehembre, J. (1964) .

"L'intention paradoxale, procede de psychotherapie", Acta Neurologica et Psychiatrica Belgica 64 : 725 .

54 - Leslie, Robert C. (1965) .

Jesus and Logotherapy : The Ministry of Jisus as Interpreted Through the Psychotherapy of

Twitter: @abdullah_1395

Vikctor Frankl, Abingdon Press, New York .

55 - Lifton, Robert J. (1954)

"Home by Ship Reaction Patterns of American Prisoners of War Repatriated from North Korea", American Journal of Psychiatry 110 732

56 - Lorenz, Konrad. (1967)

On Aggression, Bantam Books, New York .

57 - Lowe, Ruth Norden. (1967) .

"Suicide by Psychiatrists". American Journal of Psychotherapy 21 : 839 .

58 - Lyons, Joseph. (1961) .

"Existential Psychotherapy : Fact, Hope, Fiction". Journal of Abnormal and Social Psychology 62 : 242 - 249 .

59 - Maslow, Abraham H. (1954) .

Motivation and Personality, Harper & Brothers, New York

60 - ..... (1962)

"Lessons from the Peak-Experiences", Journal of Humanistic Psychology 2 : 9

Twitter: @abdullah_1395

61 - ..... (1963) .

"Fusion of Facts and Values", Lecture read before the Association for the Advancement of Psychoanlysis on March 28, 1963 .

62 - May, Rollo. (1961) .

"Will, Decision and Responsibility", Review of Existential Psychology and Psychiatry 1 : 249.

63 - Meerloo, Joost A. M. (1954) .

"Pavlovian Strategy as a Weapon of Menticide", American Journal of Psychiatry 110 : 809 .

64 - Millar, W. M. (1964) .

"Mental Health and Spiritual Wholeness". Journal of Societal Issues 1 : 7 .

65 - Nardini, J. E. (1952) .

"Survival Factors in American Prisoners of War", American Journal of Psychiatry 109 : 244 .

66 - Nielsen, CF. Kai. (1966) .

"Linguistic Philosophy and Beliefs", Journal of Existentialism 6 : 421 .

67 - Pervin, Lawrence A. (1960) .

"Existentialism, Psychology, and Psychotherapy", American Psychologist 15 · 305-309

Twitter: @abdullah_1395

68 - Pleune, F. Gordon. (1965) .

"All Dis-Ease Is not Disease : A Consideration of Psycho-Analysis, Psychotherapy, and Psycho-Social Engineering", International Journal of Psycho-Analysis 46 : 358 .

69 - Polak, Paul. (1949) .

"Frankl's Existential Analysis", American Journal of Psychotherapy 3 : 517-522 .

70 - Prill, H. J. (1955) .

"Organneurose und Konstitution bei chronish-funktionellen Unterleibsbesch werden der Frau", Zeitschrift fur Psychotherapie 5 : 215 .

71 - Proells, E. Frederick. (1958) .

Reflections of the Social, Moral, Cultural, and Spiritual Aspects of the Prison Chaplain's Ministry", Journal of Pastoral Care 12 : 69 .

72 - Redlich, F. C. and Freedman, Daniel X. (1966) .

The Theory and Practice of Psychiatry, Basic Books, NewYork .

73 - Rote, Carl J. (1965) .

"Mental Retardation : The Cry of Why ?" Association of Mental Hospital Chaplains Newsletter 2 : 41 .

Twitter: @abdullah_1395

74 - Scheler, Max. (1960) .

On the Eternal in Man, Harper & Brothers, NewYork .

75 - Schultz, J. H. (1953) .

"Analytische und organismische Psychotherapie", Acta Psychotherapeutica 1 : 33 .

76 - Spiegelberg, Herbert . (1960) .

The Phenomenological Movement, Nijhoff, The Hague .

77 - Strunk, Orlo. (1965) .

"Religious Maturity and Victor E. Frankl", in Mature Religion, Abingdon Press, NewYork.

78 - Thompson, William Irwin. (1962) .

"Anthropology and the Study of Values", Main Currents in Modern Thought 19 : 37 .

79 - Trautmann, Richard. (1952) .

"Book Review", American Journal of Psychotherapy 5 : 821 .

80 - Travelbee, Joyce. (1966) .

Interpersonal Aspects of Nursing, F. A. Davis Company, Philadelphia .

81 - Tweedie, D. F. (1963) .

Twitter: @abdullah_1395

The Christian and the Couch : An Introduction to Christian Logotherapy, Baker Book House, Grand Rapids, Michigan .

82 - ..... (1965) .

Logotherapy and the Christian Faith : An Evaluation of Frankl's Existential Approach to Psychotherapy, Baker Book House, Grand Rapids, Michigan.

83 - Ungersma, Aaron J. (1961) .

The Search for Meaning : A New Approach to Psychotherapy and Pastoral Psychology, Foreward by Victor E. Frankl, The Westminister Press, Philadlphia .

84 - Victor, Ralph G. and Krug, Carolyn M. (1967) .

"Paradoxical Intention in the Treatment of Compulsive Gambling", American Journal of Psychotherapy 21 : 808 .

85 - Volhard, R. and Langen, D. (1953) .

"Mehrdimensionale Psychotherapie", Zeitschrift fur Psychotherapie 3 : 1 .

86 - Weisskopf-Joelson, Edith . (1955) .

"Some Comments on a Viennese School of Psychiatry", Journal of Abnormal and Social Psychology 51 : 701 .

Twitter: @abdullah_1395

87 - ..... (1963) .

"Logotherapy and Existential Analysis", Acta Psychotherapeutica 17 : 554 .

88 - Werner, T. A. (1961) .

Opening paper read before the Symposium on Logotherapy, International Congress of Psychotherapy, Vienna .

89 - Wertheimer, M. (1961) .

"Some Problems in the Theory of Ethics", in Documents of Gestalt Psychology, edited by M. Henle, University of California Press, Berkeley .

90 - West, Louis Jolyon. (1964) .

"Psychiatry, Binswanger, and the American Character", American Journal of Psychiatry 120 : 842 .

91 - Zutt, Jurg. (1965) .

"Book Review". Jahrbuch fuf Psychologie, Psychotherapie und medizinische Anthropologie 13 : 362 .

Twitter: @abdullah_1395

Twitter: @abdullah_1395

الفهـرس

الموضـــوع	الصفحة
• تقديم	أ
• تقديم الترجمة	٣
• الجزء الأول : أسس العلاج بالمعنى	١٩
• الفصل الأول : المضمون الميتاكلينيكى للعلاج النفسى	٢١
• الفصل الثانى : التسامى على الذات كظاهرة إنسانية	٤٠
• الفصل الثالث : ما المقصود بالمعنى	٦٣
• الجزء الثانى : تطبيقات العلاج بالمعنى	١٠٠
• الفصل الثالث : الفراغ الوجودى : تحد يواجه الطب النفسى	١٠١
• الفصل الرابع : فنيات العلاج بالمعنى	١٢٠
• الفصل الخامس : الخدمات الطبية	١٤٢
■ الخلاصة	١٧١
■ ثبت المراجع	١٩١

رقم الإيداع :

٩٨ / ١١٦٣١

I. S. B. N. 977- 5789- 99 - 0

مطبعة العمرانية للأوفست

ت : ٥٨١٧٥٥٠

Twitter: @abdullah_1395

مطبعة العمرانية للإوفست
الجيزة ت: ٥٨١٧٥٥٠

SR 38.00
307330
DAR AL-ZAHRAA 2203

Twitter: @abdullah_1395